بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية - غـــزة

عمـادة الدراســات العليـــا

كـلـيـــة الـــــــــآداب

قســـم اللـــغة العربيـــة

البطولة في شعر الخوارج

إعداد الباحث /

ثائر شعبان محمد أبو ركبة

إشراف فضيلة الدكتور /

ماجد محمد النعامي

أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية – غزة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد
(بحث تكميلي) في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة الإسلامية – غزة .

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

Abstract

The research studies and analyzes the championship in the poetry of Al-Khawarij, in order to determine the technical and objective manifestations with tracking its forms and taste its senses, with disclosure of its dimensions and levels of cognitive psychology; that contributed to the formation of the championship picture, and graphic features and their implications on the language of the Kharijites poets , I have divided the research into an introduction and four chapters. Where I dealt with the existence and the history of Al-Khawarij in the first chapter, in the second chapter, I dealt with the championship and its phases on Al-Khawarij, in the third chapter, I dealt with stylistic phenomena that emerged to their poetry. In the fourth chapter, I dealt with imagination and poetic image that had a prominent presence in their poetry, then there were the results that I ended to. I concluded the research by mentioning the sources and references that I used in order to complete this research .

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدرس والتحليل البطولة في شعر الخوارج؛ للوقوف على تجلياتها الفنية والموضوعية مع تتبع صورها وتذوق معانيها للكشف عن: أبعادها المعرفية ومستوياتها النفسية؛ التي أسهمت في تشكيل صور البطولة، ورسم ملامحها وانعكاساتها على لغة الشعراء الخوارج، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، حيث تناولت في الفصل الأول تاريخ ونشأة الخوارج، وفي الفصل الثاني تناولت البطولة وصورها عند الخوارج، وفي الفصل الثالث تناولت الظواهر الأسلوبية التي برزت في شعرهم، وفي الفصل الرابع تناولت الخيال والصورة الشعرية التي كان لها الحضور البارز في شعرهم، ثم كانت النتائج التي توصلت إليها، وختمت البحث بذكر المصادر والمراجع التي استعنت بها على إتمام هذا البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(المجادلة: ١١)

صدق الله العظيم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الإهـداء

❖ إلى روح أخي الشهيد "محمد" رحمه الله .

❖ إلى رمز المحبة والعطاء أمي وأبي . . .

❖ إلى رفيقة دربي ، وأغلى ما لدي ، إلى منارة حياتي وبسمة عمري زوجتي الحبيبة . . .

❖ إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة . . . إخوتي وأخواتي .

❖ إلى ابنتي الغالية "جنى" لها مني كل الحب والحنان .

❖ إلى القابضين على جمرتي الدين والوطن .

❖ إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي المتواضع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

قال تعالى ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾(النمل: ١٩).

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات والأرض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد:

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على ما أنعم عليَّ من إكمال هذه الدراسة وأصلي وأسلم على نبي الأمة المعلم الأول محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبعد أن مَّن عليَّ الرحمن من إتمام دراستي يسعدني أن أتقدم بأعمق آيات الشكر والعرفان إلى الدكتور/ ماجد محمد النعامي؛ لتفضله بالإشراف على هذه الدراسة، ولما قدمه لي من النصائح والتوجيهات الرشيدة منذ كانت فكرة حتى أصبحت الآن ثمرة، جزاه الله خير الجزاء، وأحاطه وآل بيته برعايته وحفظه.

كما لا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور/ كمال غنيم، أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية، والعميد الأسبق لشؤون الطلبة، والدكتور/ رياض أبوراس، أستاذ الأدب والنقد غير المتفرغ في الجامعة الإسلامية بغزة، على جهودهما المباركة في قراءة هذه الرسالة العلمية، وإثرائها من فيض خبرتهم.

كما أسجل وافر شكري وعظيم امتناني إلى الأستاذ الدكتور حماد أبوشاويش، الذي فتح لي آفاقاً من المعرفة طوال مسيرتي العلمية، ولم يتوانَ عن رفدي بفيض معرفته الجمة، وخبرته الطويلة وحكمته البالغة، وتوجيهه السديد .

ولا يفوتني أن أشكر جميع أساتذة قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بغزة، وجميع الأخوة والأصدقاء الذين مدوا لي يد العون والمساعدة وكان لهم دور في إنجاز هذا العمل.

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

والله من وراء القصد...

الباحث ثائر شعبان أبو ركبة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الذي فرض الجهاد في سبيله، ووعد عباده المجاهدين بالأجر العظيم، والنصر المبين ، والصلاة والسلام على خير عباده وأكرم خلقه وخاتم أنبيائه ورسله محمد الأمين، القائل: " إِنَّ في الجنّةِ مِائَةَ دَرَجةٍ أعدّها الله لِلمُجاهِدين في سَبيل الله، ما بَيْن الدّرَجَتَين كَما بَيْن السَّماءِ والأَرْض" [1].

أما بعد ..

البطولة لفظة تدل على القوة والشجاعة، ونجد كل عربي يتمنى أن يتصف بها، وتصبح صفةً ملازمةً له، وهي ميدان للتنافس، يتنافس فيها الأبطال على البقاء، وإثبات الذات لإظهار قوتهم وبراعتهم؛ إذ إنها تحتل مكانة عالية عند العرب، والبطل مقدم على الشاعر عندهم، فالبطولة كانت ولا زالت معيناً عذباً للشعراء يستقون منه موضوعاتهم ومعانيهم ، لذلك وقع اختياري مع سعادة المشرف على موضوعٍ لهذه الدراسة، له صلة وثيقة بالبطولة، فكان عنوانه: **(البطولة في شعر الخوارج)** .

وقد وجدت في شعرهم تمثيلاً صادقاً للبطولة بكل ضروبها وخلالها، فالبطولة تمثل الكثير من حياتهم ، ولقد منحهم الله قوة البأس، وفصاحة القول، فأغلبهم (بطل ، شاعر)..

بطل : قاتل قتال الفرسان الشجعان، وخاض معارك كثيرة، وكان له منزلة كبيرة فيها .

شاعر: عبّر عن بطولته تعبيراً صادقاً، فوصف المعارك التي خاضها، ووصَف الخيل، والسيوف، والقنا ..

لقد نشأ الخوارج في ظل حركة دينية سياسية، لها أفكارها، ومبادؤها، وقد جاهدت في سبيل تحقيق هذه المبادئ بالسيف واللسان وقد لعب الشعر دوراً مهماً في الدعوى لتلك المبادئ، والدفاع عنها، خاصة وأن زعماء هذا المذهب هم أنفسهم الشعراء، وقد كانوا من المحاربين والفرسان، فلم يكن الشعر عندهم حرفة ولا غاية، بل وسيلة آمنة، يعبرون بها عمّا يعتمل في صدورهم، وما يدور في خلدهم.

---

(١) صحيح بخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ضبطه ورقمه : مصطفى ديب البغا ، ط٥ ، (دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) ، باب الجهاد، ص ١٠٢٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بدأت البحث بمقدمة، أشرتُ فيها إلى أهمية البحث، وسبب اختيار موضوع البحث وأهدافه، ثم ذكرت الصعوبات التي واجهتني أثناء قيامي بكتابة هذا البحث ثم ذكرت الدراسات السابقة، ومنهج البحث، ثم قسمت البحث إلى أربعة فصول، حيث تناولت في الفصل الأول: الفكر والنشأة عند الخوارج، ثم انتقلت إلى الفصل الثاني: الذي تناولت فيه مفهوم البطولة عند الخوارج وصورها المختلفة والتي توزعت ما بين البطل الشهيد، والبطل المجاهد، والبطل السياسي، والبطل الزاهد، والبطل العاشق، ثم تناولت في الفصل الثالث: الظواهر الأسلوبية التي برزت في شعرهم، ثم انتقلت إلى الفصل الرابع: وتناولت فيه الخيال والصورة الشعرية عند الخوارج، ثم كانت الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها، وبعد ذلك ذيَّلتُ في نهاية البحث المصادر والمراجع التي استعنت بها على إتمام هذا البحثِ.

آمِلاً من الله أن ينفعَ بهذا البحثِ طلاب العلم ورواده، ولا أدَّعي أنني أحطت بالموضوع من كل جوانبه، ولا أنَّني بلغت به الكمال، ولكنني أعتقد أنَّني قمتُ بشيءٍ من واجبي والله المستعان .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في:

١- أنه يسلِّط الضوء على قضية حيوية ذات فاعلية واضحة في شعر الخوارج ألا وهي قضية البطولة.

٢- أنه يشمل الأدب الخارجي والإمكانات الشعرية والفكرية في تراث الخوارج وموقعها الفعال في الثقافة العربية والإسلامية.

٣- أنه يحدد المحاور الأساسية التي قامت عليها البطولة في شعرهم والتي عبر عنها الشعراء الخوارج في أشعارهم.

سبب اختيار الموضوع :

١- الرغبة في دراسة أدب الخوارج ، لما وجدت في شعرهم من حسن الصياغة وسلاسة التعبير.

٢- أن هذا الموضوع لم يطرق من قبل كدراسة مستقلة، بيد أن مجمل الدراسات التي تناولت أدب الخوارج كانت تسير على مناهج الدراسات الموضوعية التي تعتمد على مناهج سياقية حيناً أو مذهبية حيناً آخر.

٣- جدة الموضوع وحيويته وتناوله لقضية البطولة التي برزت في شعرهم بشكل ملحوظ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف الدراسة:

١-دراسة حياة الخوارج وآثارهم الأدبية .

٢-التعرف على البطولة وصورها في شعر الخوارج.

٣-التعرف على الموضوعات التي ركز عليها شعراء الخوارج.

٤-معرفة الأساليب التي استخدمها الخوارج في حديثهم عن البطولة.

٥-رفد المكتبة العربية بإضاءة بحثية هامة.

الصعوبات التي واجهها الباحث:

لقد واجهت بعض الصعوبات في البحث أذكر منها:

١- قلة المصادر والمراجع التي تناولت شعر الخوارج وهي من أهم الصعوبات التي واجهتني، خاصةً أن ما حصلت عليه من شعر الخوارج يعد شيئاً يسيراً بالنسبة إلى حزب مشهور بكثرة شعرائه، الأمر الذي أدى إلى توصية الأخوة والباحثين الأحباب الذين تمكنوا من السفر للخارج البحث عن هذه المراجع وشراء ما توفر منها، وقد تم ذلك بحمد الله.

٢- أن الدراسات التي تناولت أدب الخوارج وشعرهم كانت عامة، ولم تتطرق إلى دور البطولة في شعر الخوارج.

٣- صعوبة الفصل بين مضامين البطولة، لذلك آثرت أن أذكر الغالب منها؛ حتى لا أقع في التكرار.

الدراسات السابقة:

وتنقسم الدراسات السابقة إلى نوعين:

أ- دراسات ذات صلة غير مباشرة بموضوع البحث ، مثل:

١- دراسة للدكتور شوقي ضيف:

وكانت الدراسة بعنوان: " العصر الإسلامي " حيث قسم دراسته إلى جزأين، اختص أولهما: بعصر صدر الإسلام وثانيهما: بعصر بني أمية، وقد تحدث في الجزء الأول عن الإسلام وقيمه: الروحية، والعقلية، والاجتماعية، والإنسانية، وتأثر كل من الشعر والنثر بتلك القيم، ثم انتقل في الجزء الثاني للحديث عن عصر بني أمية وبيئته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وما واكبها من ظهور الأحزاب السياسية المختلفة، وتأثر كل من الشعر والنثر بذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- دراسة للدكتور أحمد الحوفي:

كانت الدراسة بعنوان (أدب السياسة في العصر الأموي)

وقد خص دراسته بدراسة أدب السياسة في العصر الأموي، حيث تناول فيها الأحزاب السياسية : نشأتها، ومذاهبها، وغاياتها ثم أورد نماذج شعرية ونثرية مختلفة، لكل حزب من تلك الأحزاب، ثم عقب بدراسة عامة لخصائصها، ثم أتبعها بدارسة بواعث ازدهارها.

٣- دراسة للدكتورة سهير القلماوي:

كانت بعنوان (أدب الخوارج في العصر الأموي).

وقد مرت في دراستها على تاريخ الخوارج مروراً عابراً، ولم تقف إلا على الوقائع التي كان لها تأثير خاص على الخوارج ومذهبهم كموقعة (النهروان)، حيث رأت أن السبب في انقسام الخوارج لم يكن خلافاً فقهياً، وإنما خطة مدبرة للهجوم على الدولة، ثم تحدثت عن شخصية الخوارج الأدبية والعوامل المؤثرة فيها، وأعلام الأدب الخارجي وآثارهم، ثم تحدثت عن مكانة الشعر الخارجي من الشعر السياسي الأموي.

٤- دراسة للدكتور ماجد النعامي:

كانت الدراسة بعنوان (الخطابة الأدبية عند الخوارج ودورها في تشكيل الرأي العام)، وتحدث فيها عن الجانب المهم للدور الدعائي والإعلامي المميز للخطابة عند الخوارج ، وقدرتها الفائقة في التأثير على الرأي العام وتشكيله ، باعتباره من الأساليب التي استخدمها الخوارج في التأثير على الرأي العام ، مما كان له أكبر الأثر في رسم ملامح الحياة السياسية في ذلك العصر .

ب- **دراسات ذات صلة مباشرة بموضوع البحث.**

١- دراسة للدكتور عبد الرازق حسين:

كانت الدراسة بعنوان (شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة) وقد تناول في دراسته شعر الخوارج من الناحية الموضوعية، والتي انحصرت في التأثر بالقرآن الكريم وأخلاق الخوارج من الناحية الأدبية والشعرية، أما من حيث الناحية الفنية فاقتصرت دراسته على معاني التجديد في شعرهم وإجراء مقارنة بين بعض شعراء الخوارج والشيعة ولم يشر إلى القضايا الفنية الهامة التي برزت في شعرهم بشكل أو بآخر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- دراسة للدكتور جاسم الصميدعي:

كانت الدراسة بعنوان (شعر الخوارج دراسة أسلوبية)، وتقوم هذه الدراسة على اعتماد المنهج الأسلوبي في دراسة شعر الخوارج، وقد تطرق في دراسته إلى الحديث عن البنية الدلالية لشعر الخوارج من الناحية الأسلوبية، والبنية التركيبية لشعرهم مع الحديث عن بعض المنبهات الأسلوبية، ثم تناول البنية الصوتية في شعرهم والتي تمثلت بدراسة البنية العروضية ممثلة بالبحور الشعرية والقافية.

٣- دراسة للدكتور محمد كلاب:

كانت الدراسة بعنوان (البطولة في شعر الشهيد ابراهيم المقادمة)، وتقوم هذه الدراسة على اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعني بدراسة البطولة في شعر الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة، والوقوف على: ملامحها، مقوماتها، أنماطها، صورها، واستنباط أبعادها الدلالية والجمالية، وتجلياتها المادية والمعنوية، مع معرفة فعاليتها في تشكيل لغة الشاعر وصوره، وموسيقاه، وانعكاساتها على الفرد والمجتمع.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يسير الباحث وفق المنهج التكاملي فهو أنسب المناهج للوصول إلى الغايات المنشودة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول
الخوارج الفكر والنشأة

- نشأة الخوارج وظهورهم.
- سبب تسميتهم.
- أسباب خروجهم.
- أشهر فرقهم.
- أخلاقهم وتعاليمهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نشأة الخوارج وظهورهم:

اختلف المؤرخون حول تحديد بدء نشأة الخوارج، فمنهم من ذهب إلى أن أول الخوارج هو عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي والمشهور بذي الخويصرة ومن العلماء الذين يميلون إلى ذلك الرأي ابن الجوزي حيث قال: " أول الخوارج وأقبحهم حالاً ذو الخويصرة " [١]، فهو أول من قام بالاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الفيء واتهامه إياه بعدم العدل ولقد ورد في حديث البخاري وتحديداً تحت باب: (من ترك قتال الخوارج للتآلف وأن لا ينفر الناس عنه) قوله: "عن أبي سعيد قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك من يعدل إذ لم أعدل فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه قال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نعله فلا يوجد شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه أو قال: (ثديه) مثل ثدي المرأة أو قال: مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد: أشهد، سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، أشهد أنّ علياً قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم قال: فنزلت فيه: "ومنهم من يلمزك في الصدقات". [٢]

يتضح من خلال إشارة النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق وتعبيره عن ذي الخويصرة بأن له أصحاباً، وجود أصحاب يؤيدون ذلك الرجل ويناصرونه وهو السبب في امتناعه عن قتله تألفاً له ولهم، ومن العلماء من رأى أن نشأة الخوارج بدأت أولاً بالخروج على الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتله ومنهم القاضي علي بن علي الحنفي شارح العقيدة الطحاوية حيث قال: " فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى " [٣]، ويقصد بالفتنة الأولى التي حدثت في عهد الإمام عثمان رضي الله عنه، ولكن الفتنة التي حدثت في عهد الإمام عثمان بن عفان من الخروج عن طاعته لم تكن خروج فرقة ذات طبيعة عقائدية خاصة لها آراء وأحكام إنما

---

(١) تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، ط٢ (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ص :٩٠

(٢) صحيح بخاري: عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج٨ (مصور عن طبعة استانبول، دار الفكر، د.ت) ص:٥٢-٥٣.

(٣) شرح الطحاوي في العقيدة السلفية: القاضي علي بن علي الحنفي، تحقيق أحمد محمد شاكر ،(مكتبة الرياض الحديثة للنشر والتوزيع، ط١، د.ت) ص: ٤٧٢ – ٤٧٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر كان أنّ قوماً غضبوا على الإمام عثمان رضي الله عنه، واستشرت بينهم الفتنة مما أدى بهم إلى ارتكاب جريمة قتله ثم بعد ذلك دخلوا بين صفوف المسلمين كأفراد .

ومن العلماء من يرى بأن ظهور الخوارج وافتراقهم كان في عهد الإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه– وذلك أثناء انفصالهم عن جيش الإمام علي رضي الله عنه، وقد وافق ذلك الرأي أصحاب المعاجم ومن كتبوا عن تاريخ الفرق الإسلامية أمثال الإمام أبي الحسن الأشعري حيث قال: " والسبب الذي سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب "[١].

والبعض يرى أن تسميتهم بالخوارج جاءت من خلال خروجهم على الإمام علي رضي الله عنه، يقول أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام: " واسم الخوارج جاء من أنهم خرجوا على علي وصحبه " [٢]، ويرى الشيخ أبو زهرة بأن ظهورهم اقترن بالشيعة، وذلك عندما ظهر كلاهما في عهد الإمام علي رضي الله عنه حيث كانوا من المؤيدين له [٣].

ومنهم من يعتبر أن السبب المباشر لظهور ونشأة هذه الفرقة هو معارضة جماعة من جيش علي بن أبي طالب مسألة التحكيم التي لجأ إليها طرفا النزاع: معاوية وعلي، وذلك في معركة صفين عام(سبعة وثلاثين للهجرة، ستمائة وسبعة وخمسين للميلاد)، وقد رفعت هذه الجماعة شعاراً لها مفاده (لا حكم إلا الله) في وجه علي بن أبي طالب ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح ما يعرفون بالخوارج فرقة سياسية لها أهدافها المعلنة وعلى رأسها تكفير كل من يخالف مبدأهم .

وكان مقامهم بعد الرجوع من صفين في (حروراء) فعملوا على تأكيد مبدأ الشورى والعمل على تعيين أمير لهم .

وبعد العمل على استقرارهم، وقتل كل من يخالفهم خرج إليهم علي بن أبي طالب لمقاتلتهم في معركة النهروان، واستطاع هزيمتهم وتفريق شملهم.

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ج١ (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١١هـ – ١٩٩٠م) ص: ٢٠٧ .

(٢) فجر الإسلام: أحمد أمين، ط١ (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥م) ص: ٢٥٧ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، ج١،(مطبعة السعادة، دار الفكر العربي للنشر، د.ت) ص٦٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يكن الذين شاركوا في معركة النهروان هم أنفسهم الذين خرجوا على علي فحسب، بل ظهرت بعدهم فرق وجماعات تقاتل جيش الإمام علي بن أبي طالب، واستقر الأمر على ذلك حتى قتل الإمام علي بن أبي طالب عام(أربعين للهجرة، ستمائة وستين للميلاد)، وتسلم الإمارة من بعده ابنه الحسن، وكانت نظرة الخوارج له بأنه كافر وخارج عن حدود الله وشرعه مثل أبيه [١].

ومن خلال ما سبق فإن الباحث يميل إلى الرأي القائل إن الخروج في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة بها حدث وتزامن مع خروج الذين خرجوا على الإمام علي منذ معركة صفين، فهم الذين يمكن أن ينطبق عليهم مصطلح الخوارج بمعناه الضيق.

* * * *

(١) انظر: مروان بن محمد دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم، رسالة ماجستير للباحث: حسن محمد دراوشة (جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٧م) ص ٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبب تسميتهم:

أُطلق على الخوارج أسماء عديدة نستطيع أن نتلمسها من خلال الأخبار والأشعار التي تحدثت عنهم ومنها على سبيل المثال:

الخوارج:

وردت كلمة الخوارج في لسان العرب تحت مادة "خرج " والخوارج: الحرورية، والخارجية: طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن الناس والخوارج قوم من أهل الأهواء لهم مقالة على حدةٍ " [١].

وفي المعجم الوسيط يقال: " خرج خروجاً برز من مقره أو حاله وانفصل وخرجت خوارج فلان : ظهرت نجابته وخرج على السلطان تمرد وثار "[٢].

" أمّا تسميتُهم بالخوارج، فتعود إلى خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قبِلَ التحكيم أثناء معركة صفين بينه وبين معاوية على من يلي أمور المسلمين، أو من الخروج لأنهم خرجوا مجاهدين في سبيل الله ورسوله وشعارهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿مَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٣].

وأول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة ممن كانوا معه في معركة صفين، وكان من أشدهم خروجاً الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حصين الطائي، وذلك عندما قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله، وأنتم تدعوننا لمحاربتكم بالسيف حتى أنه قال: أنا أعلم بما في كتاب الله عز وجل، اخرجوا إلى بقية الأحزاب اخرجوا إلى من قال: (كذب الله ورسوله) وأنتم تقولون: صدق الله ورسوله [٤].

---

(١) لسان العرب : لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون ط١، مج٢، ج١٣، (دار المعارف، القاهرة، د،ت) ص: ١١٢٦ .

(٢) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢، مج١ ،(بيروت، دار الفكر، د.ت) ص٢٢٤ .

(٣) شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة: حسين عبد الرازق، ط١(دار البشير، عمان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ص:١١ .

(٤) انظر: الملل والنحل، تحقيق: محمد بن كيلاني، ط١، ج١ (مطبعة مصطفى البابي، مصر، د.ت) ص:٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما سبق فإن الخوارج: جمع الخارجة والخارجة، هي الطائفة الذين نزعوا أيديهم وخرجوا عن طاعة السلطان من المسلمين وذلك بحجة ضلالته وعدم انتصاره، حيث كثر ورود اسم الخوارج في أشعارهم، ومن ذلك قول سميرةٌ بن الجعد:

فَمَنْ مبْلِغُ الحُجَّاجَ أنَّ سميرة قَلَى كُلَّ دِينٍ غَيْرَ دينِ الخوارجِ [١]

الحرورية :

سميت الحرورية بهذا الاسم نسبة إلى حروراء، وحروراء قرية خرجوا إليها بادئ الأمر، يقول المبرّد: " وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليّاً لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس –رحمه الله – إياهم ، فكان مما قاله لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف قلت لكم: إن هذه مكيدة ووهن، وإنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني فيسألوني التحكيم "

ويضيف المبرد قائلاً: " ورجع معه ألفان من حروراء ، وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم علي: ما نسميكم ؟ ثم قال: أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء " [٢].

ويميل الباحث إلى أنه لا يمكن التسليم بذلك القول لما ورد في كتاب (صحيح مسلم): " سئل أبو سعيد الخدري عن الحرورية : هل سمعت رسول الله يذكُرها ؟ قال: لا أدري في الحرورية ، ولكن سمعت ... " [٣].

وقد دار هذا الاسم في أشعار الخوارج وأشعار غيرهم، كما قال أحد الخوارج لامرأته وأرادت أن تتفر معه:

إن الحروريــة الحــرّى إذا ركبــوا لا يستطيع لهم أمثالك الطّلَبا [٤]

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ط١، (دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) ، ص

(٢) الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، ج١ (مطبعة البابي ، مصر، ١٩٣٧م) ص ٩١١، ٩١٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: أبو الحسن مسلم بن حجاج مسلم، ج٧ ، (القاهرة ، ١٩٢٩ – ١٩٣٠م، د ط) ص١٦٤ .

(٤) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المُحَكِّمة:

" وسموا بالمحكمة لرفضهم تحكيم الرجال في دين الله وذلك اعتماداً على قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾ [١]، فهم يقبلون بحكم الله دون سواه ومن ذلك ما ورد في أشعارهم كقول سميرة بن الجعد منادياً بأن الحكم لله وحده ورفضه لحكم عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري فيقول :

ينـــادونَ للتحكـــيم بـــاللهِ أنهـــم رأَوا حُكْـمَ عمـرو كالرِّيـاح الهـوائج
وحُكم ابن قيس مثل ذلك فاعتصموا بحبلٍ شديدِ المتن ليس بناهج [٢]

الشراة :

جاءت تسميتهم بالشراة لأنهم كانوا يطلقون اسم الشراة على أنفسهم، فشرَوْا أنفسهم وباعوها في سبيل الله عز وجل [٣] ، فأخذوا هذا الاسم لتأثرهم بالقرآن الكريم والآية التي تقول: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤].

وتمثل هذا الاسم أيضاً في شعرهم ومن ذلك قول معاذ بن جوين داعياً للخروج :

ألا أيُّهـا الشـارُونَ قَـدْ حـانَ لامـرئ شــرَى نَفْســهُ لله أنْ يَترحّـــــلا [٥]

أسباب خروجهم:

كما هو معلوم فإن لكل ظاهرة اجتماعية وسياسية أسبابها المباشرة وغير المباشرة، وكلما تعقدت المسألة أو الظاهرة واشتملت على جوانب متعددة من الحياة، حملت على ظهورها أسباب معقدة ومختلفة، وتعدُّ حركة الخوارج من أهم الظواهر التي كان لها الحضور المهم في الحياة الإسلامية ، حيث تداخلت مع الكثير من النواحي السياسية والدينية والفكرية عند المسلمين [٦] ومن خلال البحث عن العوامل والدوافع التي كانت وراء ظهور حركة الخوارج ، تبين أن المفكرين قد اختلفوا في تحديد الأسباب، الرئيسية لخروجهم، واختلفوا في معرفة مدى فاعلية هذه الأساليب ولذلك كان هناك جملة من الأسباب والدوافع التي ساعدت على خروجهم منها:

---

(١) سورة يوسف، آية ٤٠.

(٢) شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة،عبد الرازق حسين، ص ١٣ .

(٣) السابق، ص ١٣ .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٠٧

(٥) شعر الخوارج ،إحسان عباس ، ط٢ (دار الثقافة– بيروت ، لبنان، ١٩٧٤م) ص٤٥ .

(٦) انظر: الخطابة الأدبية عند الخوارج ودورها الإعلامي في تشكيل الرأي العام: ماجد النعامي، رسالة دكتوراه (جامعة الأقصى – غزة، ٢٠٠٢م) ص ٢٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- نزاعهم حول الخلافة:

الاختلاف والنزاع حول الإمامة ظهرت بوادره مبكراً ، بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم وهو أعظم خلاف وقع بين الأمة، إذا لم يُسَلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان "[١] لقد لعب الصراع بين الإمام علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان حول الخلافة دوراً كبيراً في إيجاد الاستعداد التام لخروج الخارجين وثورة الثائرين على هذا الطريق، ولقد كان للخوارج رأيهم الخاص في طريق اختيار الخليفة وشروط صحة خلافته، وكيفية قيامهم بأمر الخليفة مما دفعهم إلى عدم قبول الطريق التي تم بها اختيار خلفاء بني أمية والعباسيين من بعدهم، وهذا ما عبّر عنه أحمد أمين بقوله: " وقد وضعوا نظرية للخلافة هي أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين" [٢].

وهذه النظرية هي التي دعت إلى خروجهم على خلفاء بني أمية والعباسيين وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أنهم جائرون يبتعدون عن الحق وهذا هو السبب في عدم أهليتهم للخلافة حسب رأيهم بالإضافة إلى أن الخوارج يعدون نظام ولاية العهد نظاماً غير شرعي وكانت نظرتهم إلى معاوية بن أبي سفيان بأنه مغتصب للسلطة وذلك لأنه لم يتم اختياره بطريقة حرة ونزيهة حتى وصل الأمر أنهم قالوا عنه إنه قيصري المظهر وذلك لأنه حوّل نظام الحكم إلى نظام وراثي يتداوله الأمويون فيما بينهم ، ونظراً لأن الخوارج لا يعترفون بالخلافة كإرث ينتقل من الأب إلى الابن فقد كان ذلك سبباً في تكفيرهم معاوية وقولهم بوجوب الخروج عليه [٣].

من أجل ذلك نادى حزب الخوارج بألا تقتصر الخلافة على قريش ولكن ترد إلى الأمة حتى تختار بنفسها أكفأ أبنائها ، فتحقق العدل والمساواة الذي حرمت منه الرعية المسلمة فترات طويلة، إذ يتولاها خير الأمة عدلاً وورعاً، وذهبوا أيضاً إلى أن الجماعة المسلمة برضاها عن ولاية قريش ضلت الطريق وحادت عنه، ولذلك ينبغي مقاتلتها ، فمضوا يجاهدون في سبيل الله جهاداً عنيفًا في بلاد العراق وفارس، وبلاد اليمامة وعُمان [٤] .

---

(١) الفرق بين الفرق، عبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، (مطبعة المدني، القاهرة، د.ت)، ص ١٥، ١٦.

(٢) فجر الإسلام، أحمد أمين، ط١،(مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٥م) ص ٢٥٨.

(٣) انظر: ولاية العهد في العصر الأموي، رسالة ماجستير للباحث: وجيه لطفي ذوقان، (جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) ص ٨٨.

(٤) انظر: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، شوقي ضيف، د.ط (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧) ص ٣٧- ٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حدّد الشهرستاني في كتابه الملل والنحل شروط الخوارج في الإمام المراد تنصيبه بقوله: " وبدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش، وكل من نصبوه برأيهم، وعاشر الناس على مثل ما مثل لهم من العدل، واجتناب الجور كان إماماً، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله " [١].

٢- مسألة التحكيم:

عقب مقتل الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه ومبايعة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة ، انقسم المسلمون إلى مؤيد ومعارض لذلك، مما أدى إلى حدوث اضطراب في أركان الدولة، فعمل عليٌّ جاهداً من أجل أن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه، غير أن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، فكانت الثورة عليه من قبل معاوية في الشام، وطلحة والزبير في الكوفة، وعندما واجهته صفّين واقترب من تحقيق النصر قام عمرو بن العاص ومعاوية بخدعة التحكيم، ولمّا ظهرت نتيجة التحكيم اشتعل فتيل الخلاف في صف علي بن أبي طالب وظهرت بوادر الخروج وذلك عندما دار الأشعث على الجند يقرأ عليهم ما توصل له الحكمان [٢].

ويقول المبرد " فأما أول سيف سُلَّ من سيوف الخوارج، فسيف عروة بن أدية، وذلك أنه أقبل على الأشعث، فقال: ما هذه الدنيئة يا أشعث ؟ وما هذا التحكيم ؟ أشرطٌ أوثق من شرط الله عز وجل؟ ثم شهر عليه السيف والأشعث مولٍّ، فضرب به عجز البغلة " [٣].

وعدَّ (جولدزيهير) التحكيم السبب الأول لخروجهم حيث قال: " وقد كانت موافقة علي على التحكيم الباعث الأول لظهور إحدى الفرق الدينية في الإسلام " [٤].

---

(١) انظر: ولاية العهد في العصر الأموي، وجيه ذوقان، م س، ص ٨٦ .

(٢) انظر: شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة، عبد الرازق حسين، ص ١٤.

وانظر: مروان بن محمد دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم، حسن محمد درواشة، ص ٦٤-٦٥

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط١، ج٣(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ص ٨٤، وانظر: الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، ج٣، ص ٩٠٩.

(٤) العقيدة والشريعة، أخباس جولدزيهير، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، ط٢(دار الكتاب الحديثة، مصر، د. ت) ص ١٩٠-١٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد اختلف الرواة من ناحية اسم الرجل الذي كان أول من حكم بصفين، ويرى المسعودي في كتابه (مروج الذهب) بأن أول من حكم بصفين هو يزيد بن عاصم المحاربي، وقيل أول من حكّم بصفين عروة بن أدية التميمي ، وهناك من يرى أن أول من حكم هو رجل من بني بشر، وكانوا ممن كانوا مع الإمام علي بن أبي طالب من وجوه بني ربيعة فإنه في ذلك اليوم قال: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصى الله، وخرج عن الصف، وحمل على أصحاب علي فقتل رجلاً منهم، ثم حمل على أصحاب معاوية فتحاموه، ولم يقدر على قتل أحد منهم، وكرّ على أصحاب علي فقتل رجلاً من همذان [١].

وهناك من يقلل من أهمية هذا السبب ويرى أن السبب المباشر هو أن نزعة الخروج كانت كامنة داخل النفوس وذلك بسبب ما آل إليه أمر الخلافة على عهد الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والحال الذي وصلت له الجماعة الإسلامية بعد مقتله من تشتت الأمة إلى حزبين متناقضين [٢].

٣- العصبية القبلية:

كان للعصبية القبلية الدور المهم في حياة العرب منذ الجاهلية، حيث كان لكل قبيلة من القبائل عاداتها وتقاليدها الخاصة بها والمختلفة عن بقية القبائل فنجد أن قسماً كبيراً من أعراب البادية لم تتح لهم فرصة التعرف على تعاليم الإسلام، ويرى ابن خلدون أن أكثر العرب الذين نزلوا الأمصار والأقاليم كانوا جفاة لم يأخذوا نصيباً كافياً من رفقة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تصقلهم سنته ولم تهذبهم سيرته، إضافة لما كانوا عليه من حياة التقشف والخشونة وجفاء الطبع، وسرعان ما تمردوا على سلطان الإسلام وقادته [٣]، حيث وصف الله سبحانه الأعراب بأنهم أشدُّ كفراً ونفاقاً وتمثل ذلك بقوله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٤]، وعلى الرغم من أن الإسلام نقل العرب من دائرة القبلية الطبقية إلى دائرة الأمة الواحدة إلا أن العصبية القبلية لم تغب عن نفوس البعض ولم يتشربوا بعض

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج٣، ص ١٤٦- ١٦٠

(٢) انظر: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، يوليوس فلهوزون، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٢، (وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦م)

(٣) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون، د. ط (بيروت ، ١٩٠٠م، د.ق) ص ١٤٥- ١٥١.

(٤) سورة التوبة، آية ٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعاني الإسلامية الأصيلة الراسخة وإلا لما نُزِّل قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١).

ويرى الأستاذ أبو زهرة أن العصبية والحسد هما الحافز القوي لخروج الخوارج، ويرى أن العصبية لم تكن بارزة بشكل واضح في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ظلت مختفية إلى أن جاء عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه فانبعثت العصبية في آخر عهده قوية، وقد كان لانبعاثها بالغ الأثر في وجود اختلاف بين الأمويين والهاشميين ثم الاختلاف بين الخوارج وغيرهم، وكما سبق ذكره فإن القبائل الربعية هي القبائل التي انتشر فيها مذهب الخوارج بعيداً عن القبائل المضرية، وكما هو معلوم بأن النزاع بين الربعيين والمضريين موجود منذ العصر الجاهلي، ويضيف أبو زهرة أن الحسد من أولى ثمار تلك العصبية، ومن الأسباب التي ساعدت الخوارج على الخروج أنهم كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة وحدهم دون غيرهم، وفي ذلك يقول: " ومن أعظم تلك الأمور التي حفزتهم على الخروج غير الحق الذي اعتقدوه أنهم كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة واستبدادهم بها دون الناس " (٢).

وإذا استعرضنا حركة الخوارج وتاريخهم نرى أنهم على الأغلب كانوا عرباً من قبائل ربيعة، التي كانت بينها وبين قبائل مضر في الجاهلية خصومة قوية، لذلك يمكن القول إن دوافع عصبية قديمة كان لها الدور في معاداتهم للقرشيين كمضريين، وعليه فقد حاربوا احتكار قريش للخلافة ورأوا أنها جائزة في كل من قام بالكتاب والسنة المطهرة (٣).

ولقد نوَّه الأستاذ أبو زهرة إلى ما كان في نفوسهم من الحسد لقريش على استقرار النبوة والخلافة إليهم حيث قال:" كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة " (٤).

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٤.

(٢)انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ج١، ص، ٦٩، ٧٠ .

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الإمام أبو الحسن الأشعري، ص٢٠٤،
وانظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، ص ١٦٢ .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ج١، ص ٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تعرض ابن خلدون في مقدمته لسبب اختصاص قريش بالإمامة دون غيرها فأرجع ذلك إلى قوة قريش وسيطرتها، وإلى شهرتها بالزعامة قبل الإسلام، بل إلى العصبية القبلية يقول: " إن الأحكام الشرعية كلها لابد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليه وتشرع من أجله "[١].

لقد كانت مسألة الخلافة نصب أعينهم في كل لحظة ، وكان الخليفة (أي خليفة) أقرب إلى الاتهام عندهم منه إلى البراءة، وهكذا كان نزاع المسلمين حول الخلافة ودخول الخوارج طرفاً في ذلك النزاع من أول العوامل التي أسهمت في خروجهم على الإمام علي وعلى من جاء بعده من الخلفاء، إلى جانب أن ذلك النزاع أوجد عاملاً مباشراً فجر ثورة الخروج على، الإمام علي وهو التحكيم.

ويوضح ابن خلدون السر في اشتراط النسب لقريش قائلاً: " إذا نحن بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصله النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور" [٢] ويبحث عن المصلحة في اشتراط النسب القرشي للإمامة بعد نفيه للتبرك، فيرجع ذلك إلى العصبية القبلية، يقول: " وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد إلا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع بها الخلاف والفرقة بوجوده لصاحب المنصب فتسكن إليه الملة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها "[٣].

فالعصبية وإن سكتت أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كادت أن تطل برأسها بعد وفاته، ولقد تجلى ذلك واضحاً في تخلف أبي سفيان عن بيعة أبي بكر الصديق، حيث حاول أبو سفيان أن يحييها من جديد إثارتها بين بني هشام محرضاً لهم على عدم الرضا بخلافته وهو ليس هاشمياً، ويحدثنا عن ذلك الطبري بقوله: " لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان، وهو يقول: " والله أنها عجاجة لا يطفئها إلا دم آل عبد مناف، فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان علي والعباس؟، وقال: أبا الحسن ابسط يدك حتى أبايعك فأبى علي عليه فجعل يتمثل الشعر:

لـن يقـيم علـى خسـف يـراد بـه ... إلا الأذلان عيـر الحـي والوتـد
هذا علي الخسف مكسوف برمته ... وذا يشبـح فلا يبـكي له أحـد

(١) مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص ٢١٥ .
(٢) السابق، ص ٢١٦ .
(٣) السابق، ص ٢١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فزجره علي وقال: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك " [١].

ولقد تمثلت العصبية القبلية أيضاً في حركة الردة، فالبعض من القبائل القديمة رفضت الخضوع والانصياع تحت إمرة قريش، ووجدوا في سلطان قريش ورياستهم عليهم تسلطاً لا تقبله نفوسهم [٢].

ويرى الباحث أن العصبية وإن كانت سبباً ودافعاً لخروج الخوارج وظهورهم، فإنها استمرت في ذلك العهد بين القبائل، وكانت تحكم تصرفات الخوارج مع الإمام علي رضي الله عنه منذ البداية، ونلمس ذلك بوضوح في منع التعصب للخوارج من قبول أي حضري حكماً من قبل الإمام علي، وهذا ما أصر عليه الأشعث حينما قال للإمام علي رضي الله عنه: " والله لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا من مضر " فردَّ عليه علي بن أبي طالب– كرم الله وجهه– : إني أخاف أن يخدع يمينكم فإن عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى " [٣] .

ومنه عدم قبولهم إرسال عبد الله بن عباس للمفاوضة حين طلب منهم ذلك لأنه قريشي ولم يقبلوا إلا أبا موسى الأشعري: " قال الأشعث والقرّاءُ الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإنا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم عليّ: إني لا أرضى بأبي موسى، ولا أرى أن أوليه، فقال الأشعث، وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي، في عصابة من القراء: إننا لا نرضى إلا به، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه " [٤].

والجدير بالذكر أن صفة العصبية القبلية قد مُحِيتْ عن الخوارج فيما بعد، وحلت بدلاً عنها العصبية للعقيدة والفكر، وهذا ما وقع في مواطن كثيرة عندما كان الخوارج يحاربون إخوانهم في القبيلة الواحدة المعارضين لهم من غير تساهل .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٢، ج٥، (دار المعارف، مصر، د.ت) ص٢٠٩ .

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١،ج٩، (مطبعة الاستقامة، القاهرة ، ١٨٨٥هـ– ١٨٨٩م) ص ١٥٨ .

(٣) موقعة صفين، نصر بن حزام، تحقيق: سلام محمد هارون، ط٢،(مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٤هـ) ، ص ٤٩٩ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ج٢،ص١١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى عبد الرازق حسين أن أمر التعصب والتشدد الديني لم يكن مقصوراً على الخوارج وحدهم فسياسة الشدة والحزم كانت عند الأمويين وكانوا يعاقبون لمجرد الشبهة ويقتلون كل من يعارض سياستهم، وقد قال الخوارج عنهم إن بني أمية فرقة بطشهم بطش جبارين يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب [١].

وقد قال أيضاً: " إذن فالخوارج ليسوا متفردين في هذا الأسلوب ومع ذلك فهم يتميزون عن غيرهم بأن أسلوب قتل المخالفين هو مبدأ من مبادئهم يؤمنون به ، فهو منهج ومعتقد يكفِّر من لا يعتقد به " [٢].

٤- الحماسة الدينية:

ذهب بعض الباحثين والأدباء في تفسيره لسبب خروج الخوارج بأنه كان رد فعل لتمسكهم الشديد بالقرآن والسنة النبوية، ومن بينهم عمار الطالبي حيث قال: " فالتقوى والتمسك بالقرآن والسنة تمسكاً شديداً من أسباب الخروج ودواعي الإنكار ، إنكار جميع الأوضاع من أساسها ، ونبذ الفريقين المتقاتلين جميعاً ، فالتقوى والتمسك بالعقيدة ، في أصلها أدى بالخوارج إلى الثورة العنيفة على كل شيء " [٣].

والمتأمل لذلك العامل في حياة الخوارج ونشأتهم يجد نفسه ملزماً بالوقوف عند ظاهرة مهمة كان لها وجود في عهد الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه وخاصة في بلاد الكوفة، ألا وهي الظاهرة القرآنية والتي ارتبطت بالانتشار الواسع للدين الإسلامي خارج حدود شبه الجزيرة العربية وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية، وانتقال عدد كبير من الصحابة لنشر الدين الإسلامي إلى الأمصار والأقاليم الجديدة، واهتم بعضهم إلى حفظ القرآن الكريم والعمل على مدارسته وفهم آياته، مما أدى إلى تكون مجموعات من القراء حول الصحابة في البلاد الجديدة والتفافهم حولهم فساعد ذلك في انتشار الإسلام، وفي عهد الإمام عثمان بن عفان عمل على توفير الجو الملائم للقراء وذلك ليزيدوا من اهتمامهم بأمور السياسة إلى جانب القرآن الكريم [٤].

---

(١) انظر: شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة، عبد الرازق حسين، ص ٢٥ .

(٢) السابق، ص ٢٦

(٣) آراء الخوارج، عمار الطالبي، ط١، (المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، د.ت) ص: ٤٤٧ .

(٤) انظر: إلقاء الضوء على الدور المزعوم للقراء في معركة صفين، عبد العزيز صالح الهلابي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج٤، عدد ٣١(السعودية ، ١٩٨٤م) ص ١٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أسهمت تلك الأحداث المتتالية في تولد شعورٍ لدى القراء بأحقيتهم كونهم مسلمين في التدخل في أمور الدولة والمشاركة في تحديد مصير الأمة المسلمة .

والبعض يرى بأن تلك العاطفة القوية التي كان لها الأثر في اندفاعهم إلى الخروج إنما كانت نابعة من حياتهم البدوية فيقول: " كان أكثرهم من عرب البادية وقليل منهم من كان منهم من عرب القرى وأولئك كانوا في فقر شديد قبل الإسلام لم تزد حالهم المادية حسناً لأنهم استمروا في باديتهم بشدتها وصعوبة الحياة فيها وأصاب الإسلام شغاف قلوبهم مع سذاجة في التفكير وضيق في التصور وبعد عن العلوم فتكون من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة بضيق نطاق العقول، ومتهورة مندفعة، لأنها نابعة من الصحراء " [١].

فهو يرجع ذلك إلى ارتباط التعصب الديني بعامل الفقر وحالة التقشف والصحراء وحياة البداوة، غير أن الشاهد في ذلك هو التأكيد على الدافع الديني الذي كان له سابق الأثر، وسبب في خروج الخوارج .

بينما يرى فلهاوزن بأن الباعث على خروج الخوارج كان ناتجاً عن تقوى شديدة ورغبة ملحة في التوبة الفعلية من خطئهم من صفين وذلك عندما قبلوا أمر التحكيم بينهم عندما طلبوا من الإمام علي بن أبي طالب أن يتوب توبةً نصوحاً إلى الله لكي يعودوا إلى طاعته حيث يرى أن الحزم والتشدد في تعاليم الإسلام ومبادئه يفضي لهم أن يتجاوزا بنقدهم إلى النبي نفسه [٢].
وقال أحمد أمين: " وقد حملهم شديد إيمانهم أن ينتهزوا كل فرصة للدعوة إلى مبادئهم جهراً ويرسلوا الرسل إلى بني أمية بأي نوع من أنواع النصيحة " [٣].

ويرى الباحث أن العاطفة الدينية وغلوهم في العبادة كانت من أبرز الأسباب القوية والمحركة للعديد من الخوارج في خروجهم وهذا ما سنتطرق إلى الحديث عنه في ثنايا البحث إن شاء الله .

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، ج١، ص٦٨.
(٢) انظر: أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام: فلهاوزن، ص٣٨ .
(٣) فجر الإسلام: أحمد أمين، ص ٢٦٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- **الدافع الاقتصادي:**

يُرجع البعض السبب في ظهور الخوارج ونشأتهم إلى العامل الاقتصادي، فالنقمة على الفيء ظهرت باكورتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك عندما اعترض عبد الله بن ذي الخويصرة على النبي في قسمة الفيء ، والتي أرجعها بعض المؤرخين في السبب لظهورهم، وقد نقل عن أبي عوانة يعقوب بن إسحق النيسابوري قوله في الترجمة للأحاديث الواردة في الخوارج بيان أن سبب الخروج للخوارج كان بسبب الآثرة في القسمة مع كونها كانت صواباً فخفي عنهم ذلك [١].

وقد عدَّ ابن الجوزي أن من عوامل نشأة الخوارج يعود للوقائع اليومية التي تجري بين الناس من التهافت المتزايد على المال والرغبة المتزايدة في جمعه بسبب الطمع الذي كان سائداً فيما بينهم حيث يرى أن حادثة عبد الله بن ذي الخويصرة وإن كانت بسبب دافع فردي منه تعد سابقة تاريخية في التطلع المستمر للناس إلى الغنائم والنقمة على تقسيمها [٢].

أمّا بالنسبة للإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد كان مُتَّهماً بتفضيل قرابته وإيثاره لهم بالعطايا وذلك على حساب بقية المسلمين، وقد أورد ابن أبي الحديد روايات في إعطاء عثمان أهله وأقاربه الكثير من بيت مال المسلمين ويرى أنها وإن كانت أحداثاّ جزئية متفرقة إلا أنها لم تصل المبلغ الذي يستباح به دمه [٣]، ولقد سبق الإشارة أن لكل ظاهرة آثارها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهذا يظهر أن الدافع الاقتصادي في الثورة على الإمام عثمان بن عفان كان عاملاً من عوامل خروج الخوارج، وهذا ظهر واضحاً في الهجوم على الإمام عثمان بن عفان وقتله من قبل الثائرين الذين تنادوا في الدار وأدركوا بيت المال فنهبوه، وقد سمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيه غرارتان كما قال الطبري [٤].

٦- **جور الحكام وظهور المنكرات:**

يعدُّ ذلك السبب من الركائز المهمة التي أرجع إليها الخوارج السبب في خروجهم، فهم لم يخرجوا إلا لإقامة العدل بين أوساط المسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يعود

---

(١) انظر: آراء الخوارج، عمار الطالبي، ص٥٣ .

(٢)انظر: تلبيس إبليس، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ص٩٠ .

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ج١(دار أحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٥م) ص: ١٩٩.

(٤)انظر: تاريخ الرسل والملوك، أبوجعفر الطبري، ج٤، ص ٣٩٠ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس إلى ربهم وإلى دينهم الذي خرجوا عنه، فقد حرّك المنادون لذلك قادتهم وزعمائهم إلى حمل السلاح والخروج لتطبيق العدل، ومن ذلك ما قاله عبد الله بن وهب الراسبي وهو أحد زعمائهم مخاطباً أتباعه: " فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التي الرضا بها والركون إليها والإثارة إياها عناء وثبار أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة "[١] .

ويعتقد الباحث أن ظلم الولاة وجورهم لا يمكن أن نعده مبرراً مقنعاً لخروج الخوارج على ذلك النحو الذي خرجوا عليه، فهناك ضوابط شرعية تقيد الولاة في إظهار الحق بين المسلمين وتلزمهم بذلك، ولا يختلف اثنان على أن إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر واجب على المسلمين، وهذا ما عبّر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه " [٢].

أشهر فِرقهم:

إن ثورات الخوارج التي استنفدت جهد الأمويين، وزعزعت استقرارهم كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى انتهاء الحكم الأموي من شعوبية، وعصبية ، واتساع دولة، غير أن ثورات الخوارج كانت الشوكة التي أدمت خاصرة الدولة الأموية، وبقيت تنزف منها حتى استسلمت للعباسيين بهزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، أمام جيوش أبي مسلم الخراساني، وقد استطاع الخوارج أن يقُضُّوا مضجع الدولة الأموية مع تفرقهم وانقسامهم إلى فرق متعددة تبلغ العشرين فرقة يذكرها البغدادي قائلاً: " الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها: المُحَكَّمة الأولى، الأزارقة، النجديات، والصفرية، ثم العجاردة المفترقة فرقاً منها: الخازمية ، والشيعة ، والمعلومية ، والمجهولية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها ، والصلتية، والأخنسية، والشبيبة، والشيبانية، والمعبدية، والرشيدية، والمكرمية، والخمرية، والشمراخية، والإبراهيمية، والواقفة، والاباضية منهم افترقت فرقاً معظمها فريقان: حفصية وحادثيه " [٣].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٢، ج٥، ص: ٧٤ .

(٢) سنن أبي داوود، لأبى داوود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي السجستاني، تعليق: أحمد سعد علي، ط١، ج٢، (مطبعة مصطفى البابي الحنفي، مصر، ١٣٥١ هـ- ١٩٥٢م) ص٥٤٣.

(٣) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص: ٧٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أشهر هذه الفرق:

١- الأزارقة:

والأزارقة أكبر فرق الخوارج عدداً حيث قال البغدادي:" هؤلاء أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المُكنَّى بأبي راشد، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة " [١]، وقد جمعهم من الدين أشياء منها:-

قولهم إن القعدة ممن كانوا على رأيهم عن الهجرة إليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم، ومنها: قولهم إن من يخالفهم من تلك الأمة مشركون، وكانت المُحَكَّمة الأولى يقولون إنهم كفرة لا مشركون، ومنها: أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم، ومن أقام من المسلمين في دار الكفر فهو كافر، ويرون قتال النساء والأطفال ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ "وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ [٢]، وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار [٣].

ويرجع أبو الحسن الأشعري تفرقهم لنافع بن الأزرق فيقول: " وأول ما أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي ، والذي أحدث البراءة من القعدة والمحنة لمن قصد عسكره وإنكار من لم يهاجر إليه " [٤].

ويفهم من قول الأشعري أن أساس الخلاف بينهم قائم على الأفكار والمبادئ ومن هنا كثرت واتسعت مساحة الفرق بحيث جاوزت العشرين فرقة، ولقد كفّر الأزارقة الإمام علي بن أبي طالب، وزعموا بأن الله جل في علاه أنزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [٥]، وعلى تلك الضلالة والبدعة سارت الأزارقة ، وزادوا على ذلك تكفير عثمان بن عفان، وعائشة، وطلحة بن الزبير، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار [٦]، ولم يكتفوا بذلك فحسب بل أجمعوا رأيهم على أن من ارتكب كبيرة كفر وخرج عن ملة الإسلام بالجملة، ويكون مصيره نار جهنم مخلداً فيها، واستشهدوا بإبليس لعنه

---

(١)السابق، ص: ٨٢.

(٢) سورة نوح، آية ٢٦ .

(٣)انظر: الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، ص: ٢١٢، وانظر: الفرق بين الفرق، ص ٨٣.

(٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري، ج١، ص١٦٨.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٠٤.

(٦)انظر :الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، وقالوا ما ارتكب إلا كبيرة حيث أمر بأن يسجد لآدم عليه السلام فأبى واستكبر، وإلا فهو يعلم ويقر بوحدانية الله عز وجل [١].

٢- المُحَكَّمة الأولى:

هم من خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه واجتمعوا بحروراء [٢]، ولقد اختلف في أولهم، قال البغدادي: " يُقال للخوارج مُحَكِّمة، وشراة واختلفوا في أول من تشرى منهم، فقيل عُروة بن جدير أخو مرداس الخارجي، وقيل أولهم يزيد بن عاصم المحاربي، وقيل رجل من بني يَشْكُر، كان مع علي بصفين " [٣].

ورأسهم عبدالله بن الكواء وعتاب بن الأعور ، ويزيد بن أبي عاصم المحاربي، وفيهم قال المصطفى صلى الله عليه وسلم،: تحقرُ صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامهم ، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم [٤].

ولهذا فإن خروج المحكمة الأولي يرجع إلى أمرين:

الأول: موقفهم من الإمامة وبدعتهم منها إذ جوزوا الإمامة أن تكون من غير القرشيين ، وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً ومن خرج عليه فيجب مقاتلته ، وهم أشد الناس قولاً بالقياس والغريب أنهم جوزوا عدم اشتراط وجود إمام في العالم ، وحين الضرورة ومتى احتيج له فيكون عبداً أو حراً، أو نبطياً أو قرشياً.

والثاني: قولهم إن علياً أخطأ في يوم التحكيم إذ حكّم الرجال ، والحكم يومئذٍ لله وحده [٥].

٣- الإباضية:

إمامهم عبد الله بن إباض التميمي، الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، فوجَّه إليه عبد الله بن محمد فقاتله، ويقال إنه لم يمت حتى ترك قوله أجمع، ورجع إلى الاعتزال، والقول بالحق، والذي يدل على ذلك أن أصحابه لا يعظمون أمره، وجميع الإباضية يقولون: إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار وليسوا مشركين، حلال مناكحتهم، وحلال غنيمة أموالهم عند الحرب من الكراع والسلاح، ويحرم قتلهم وسبيهم في السر، وقولهم إن دار مخالفيهم دار توحيد، إلا عسكر

---

(١)انظر: السابق، ص ١٢٢ .

(٢) قرية من قرى الكوفة .

(٣) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٧٢-٧٣ .

(٤) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص ١١٥.

(٥) انظر: السابق، ص ١١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلطان، فإنه دار بغي، وقالوا: إن مرتكبي الكبائر موحِّدون وليسوا مشركين، وقالوا من سرق وزنى أقيم عليه الحد [١].

وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وقالوا إن مخالفيهم محاربون لله ولرسوله، وقالوا في قضية استحلال الغنائم إن الذهب والفضة يُردَّان إلى أصحابها بينما السلاح والخيل فيستحلوه . [٢]

ووردت عنهم الكثير من الأقوال الشادة منها:

قول بعضهم: إن العالم يزول بأسره إذا أفنى الله أهل التكليف، ولايجوز إلا ذلك، لأنه إنما خلقه لهم، وقولهم: ليس على الناس المشي للصلاة، ولا المسير للحج، ولا شيء من الأسباب التي يتوصل بها إلى أداء الواجب، ولكن ينبغي عليهم القيام بالطاعات الواجبة بأعيانها، دون الأسباب الموصلة إليها ووقف كثير من الإباضية في إيلام أطفال المشركين في الآخرة فجوزوا أن يؤلمهم الله سبحانه في الآخرة وذلك على غير طريق الانتقام، وجواز أن يدخلوا الجنة تفضلاً، وزعم فريق منهم أن لا حجة لله تعالى على الخلائق في التوحيد وغيره إلا بالخبر أو ما يقوم مقامه من إشارة وإيماء [٣].

---

(١) انظر: السابق، ص١٣٤ .

(٢) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص١٠٣.

(٣)انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ص١٨٧، ١٨٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختلفوا في النفاق على ثلاث فرق، وهي:

الفرقة الأولى تقول: النفاق براءة من الشرك، واحتجوا بقوله تعالى: " مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء "[١].

الفرقة الثانية تقول: كل نفاق شرك وذلك لأنه يضاد التوحيد .

الفرقة الثالثة تقول: لسنا نزيل اسم النفاق عن موضعه، ولكنه دين القوم الذين عناهم الله وخصهم بهذا الاسم في ذلك الوقت، ولا نسمي غيرهم بالنفاق [٢].

والإباضية أقرب الفرق إلى السنة وأكثرها اعتدالاً، وما زالت هناك بقايا منها في منطقة المغرب العربي بالجزائر وطرابلس وعُمان وزنجبار إلى اليوم، حيث كانت ثوراتهم تقع في الجزيرة العربية وتحديداً في حضرموت، وقد وصلوا إلى صنعاء والمدينة ودخلوا وخطب أبو حمزة في ذلك من على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدها استطاع الأمويون القضاء عليهم عندما أرادوا أن يهاجموا مكة، فكان مقتل أبي حمزة ولحقوا بشيخه طالب الحق فقتلوه [٣].

٤- النجدية:

إمامهم نجدة بن عمر الحنفي، وكانوا باليمامة والبحرين وحضرموت، وقد انشقت هذه الفرقة عن الأزارقة، وانتهت على يد عمر بن عبد الله بن معمر قائد الحجاج، وكان السبب في رئاسة نجدة بن عمر الحنفي لهم أنَّ نافع بن الأزرق لمّا أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه، وسماهم مشركين، واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم، وفارقه أبو فديك وجماعة من الخوارج، وذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم هناك نجدة بن عامر في جند من الخوارج كانوا يريدون اللحاق بعسكر نافع، فأخبروهم بأحداث نافع، وردوهم إلى اليمامة وبايعوا بها نجدة بن عامر، وكفَّروا من قال بكفر القعدة منهم عن الهجرة [٤].

وقالوا: الدين أمران، وهما:

الأمر الأول: معرفة الله عز وجل، ومعرفة ملائكته ورسله صلوات الله عليهم، وأيضاً تحريم دماء المسلمين ويقصدون بالمسلمين موافقيهم، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فذلك حسب رأيهم واجب على الجميع الالتزام به .

---

(١) سورة النساء، آية ١٤٣.

(٢)انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ص١٨٥.

(٣) انظر: شعر الخوارج، عبد الرازق حسين، ص ٢١.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص ٨٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمر الثاني: ما عدا ذلك من الناس معذورون فيه إلا أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، وقالوا من جوّز العذاب على المجتهد المخطئ في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر[١].

والذي تفردوا به أنهم قالوا: دماء أهل العهد في دار التقية حلال وبرئوا ممن حرمها، وقالوا: إن أصحاب الحدود المذنبين منهم غير خارجين من الإيمان بينما المذنبون من غيرهم فهم كفار كما سبق الإشارة إليه، وقالوا أيضاً: من أصَّر على نظرة محرَّمة أو كذبة فهو مشرك، ومن زنى، أو حتى سرق غير مُصِرٍّ على ذلك الفعل فهو حسب قولهم مسلم، وقالوا: لا ندري لعل الله يعذب المؤمنين في غير النار وذلك على قدر معاصيهم وذنوبهم، وقد استحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمّة وأموالهم في حالة التقية، وهي أن تظهر أمرًا وتبطن سواه خوفاً على النفس من موارد الهلاك، وحكم بالبراءة ممن حرَّمها، وأنهم أجمعوا على أنه لا حاجة للناس في إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام فهو جائز [٢].

* * * *

٥- الصفرية:

نُسبوا إلى إمامهم زياد بن الأصفر، وزعم قوم أن الذي نسبوا إليه عبد الله بن صفار، وأقوالهم في مجملها كانت تتماثل مع أقوال الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق في قولهم إن أصحاب الذنوب مشركون، وهم يقولون: إن كل ذنب مغلظ كفر وشرك، وكل شرك كيادة للشيطان، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم كما نادت الأزارقة، " والصفرية يجيزون مناكحة المشركين والمشركات، وأكل ذبائحهم، وقبول شهاداتهم ومواريثهم، ويحتجون بأن النبي صلى الله عليه وسلم زوّج بناته من المشركين في دار التقية " [٣].

وقد زعمت فرقة من الخوارج أن كل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصيام فيعتبر كفرًا وصاحبه كافر، وأن المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعاً[٤].

---

(١) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٢٣.

(٢) انظر: السابق، ص١٢٤.

(٣) شعر الخوارج، عبد الرازق حسين، ص ٢٢.

(٤) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد موت أبي بلال مرداس اتخذت الصفرية عمران بن حطان وهو من رؤوس القعدة إمامًا وقائداً لها حيث كان ناسكاً وشديدًا في مذهب الصفرية قال البغدادي: " فلما قتل مرداس اتخذت الصُّفرية عمران بن حطان إمامًا لها، وهو الذي رثى مرداساً بقصائد يقول فيها:

أنكرتُ بعْدَكَ ما قد كنتُ أعرفه ما النَّاسُ بعْدَك يا مِرْداسُ بالنَّاسِ [١]

"وكان عمران بن حطان هذا ناسكاً شديداً في مذهب الصفرية، وبلغ في خبثه في بغض علي رضي الله عنه أنه رثى عبد الرحمن بن مُلْجم ، وقال في ضربه علياً :

يا ضربة من منيبٍ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

قال عبد القاهر: وقد أجبناه عن شعره هذا بقولنا :

يا ضربةً من كفورٍ ما استفاد بها إلا الجزاء بما يُصْليه نيرانا " [٢]

٦- العجاردة:

هم أصحاب عبد الكريم بن عجرد، والذي وافق النجدات في ضلالهم وبدعهم، والعجاردة من الفرق التي خالفت بأفكار ومبادئ واضحة، و يجمعها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ، ويتوجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام، ونجدهم قد اختلفوا مع الأزارقة في استحلال الأزارقة أموال وممتلكات مخالفيهم بكل حال، وهذا على خلاف العجاردة الذين لا يرون أموال مخالفيهم فيئاً إلا بعد قتل صاحبه [٣].

كما أنهم ينكرون كون سورة يوسف عليه السلام من القرآن الكريم، ويدعون أنها قصة من القصص، قالوا: لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن [٤].

وإذا ما رصدنا حركة الخوارج نجدها دائماً في حالة حرب بدأت بالثورة ضد الإمام علي رضي الله عنه ثم انتقلت بعدها ضد خلفاء بني أمية، والخوارج كانوا يرون دائماً أنهم على طريق الحق وأن من يخالفهم على جهل وضلال، وكانت أشد هذه الحركات في زمن خلافة عبد الملك بن مروان الذي تصدى لهم من ثلاث نواحٍ: الناحية الأولى تمثلت في نافع الأزرق زعيم فرقة

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١١٦ .

(٢)الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٩٣.

(٣) انظر: السابق، ص ٩٤ .

(٤) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ، ج١، ص ١٢٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأزارقة وانتهت بقطري بن الفجاءة، والناحية الثانية تمثلت في النجدات العذارية بقيادة أبي فديك فأمر عبد الملك بن مروان، عمر بن عبد الله بن معمر أن يندب الناس إلى الكوفة، وذهب إلى أبي فديك فالتقى به وقتله، أما الناحية الثالثة فقد تمثلت في شبيب الخارجي والذي أتعب الدولة في حربه، وانتهى به الأمر فاستطاعوا مقتله [١]، وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فإن سياسته مع الخوارج اختلفت نوعاً ما عن سياسته مع غيرهم من بني أمية، فاستعمل معهم أسلوب التفاهم والحوار بديلاً عن القوة والحرب ، واستطاع بذلك أن يتقي شرهم وخطرهم [٢]، غير أن خلفاء بني أمية خافوا أن تنتقل الإمامة إلى غيرهم فوضعوا له سُمًّا وقتلوه، ويمكن القول إنه وفي السنوات الأخيرة للدولة الأموية خفت حركة الخوارج، وانقرضت في عهد الدولة العباسية ولم يعد لها وجود[٣].

أخلاقهم وتعاليمهم:

يفرد الأستاذ أحمد أمين قائلاً: " إن تعاليم الخوارج الأولى كانت سياسية محضة في بادئ الأمر، وتنحصر في رأيهم في التحكيم والخلافة، لكنهم سرعان ما مزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث لاهوتية "[٤]

ويعتقد الباحث أن أصول مبادئهم السياسية مستمدة من أصول دينية، لأن الخوارج في أول أمرهم عندما رفضوا فكرة التحكيم، وقالوا (لا حكم إلا لله)، وجعلوا القرآن الكريم هو الحكم بينهم وهو المرجع الأساسي لهم، فكانت نظرتهم للخلافة والحكم ومصالح الناس نظرة دينية بحتة كلها تنبع من الدين، وكانوا يرون أن الخلافة عندهم ليست مقصورة على أناس دون غيرهم، ولا على قبيلة دون أخرى، وإنما هي حق لكل المسلمين، شريطة أن يتمتع الولي المسلم المؤمن بالتقوى، ورفضوا أن تقتصر الخلافة على قريش فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، ولقد قامت مبادؤهم السياسية على قاعدة دينية، ومن ثم امتزجت باللاهوت، وهذا كان واضحاً حيث كانت للخوارج آراء سياسية وأخرى دينية، والخلط بينهما كان واضحًا منذ البداية .

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر الطبري، ج٦، ص ١٧٦- ٣١٠ .

(٢)انظر: (مروان بن محمد دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم)، رسالة ماجستير، م س، ص ٦٣ وحتى ٧٠ .

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج٤، ص ١٤٧، وانظر: تاريخ الطبري، ج٦، ص ٣٣-٣٦.

(٤) فجر الإسلام، أحمد أمين، ص ٣١٠، وانظر، شعر الخوارج، عبد الرازق حسين، ص ٢٢ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما بالنسبة للآراء التي جمعت الخوارج على الرغم من اختلافهم تتلخص في أن الإمامة هي فرض واجب من الله على المسلمين وعليهم إقامتها، ولا يصلح الناس إلا على إمام واحد لينفذ أحكامهم، ويقيم حدودهم، ويغزو بجيوشهم، ويقسم فيأهم وغنائمهم بينهم، فهذه هي المبادئ التي اتفقوا عليها على الرغم من اختلافهم في تكفير الإمام على بن أبي طالب- كرم الله وجهه- والحكمين وأصحاب الجمل وكل من وافق على مسألة التحكيم، وأن من يرتكب الذنوب فهو كافر، وكذلك وجوب الخروج على الحاكم الظالم، ويتميزون عن غيرهم بأن أسلوب قتل المخالفين كما سبق الحديث عنه في فكرهم وفرقهم هو مبدأهم، فهو معتقد يكفر من لا يؤمن به [١].

ونستشهد بما قاله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيهم، وما أورده صاحب نهج البلاغة قول الإمام علي: " لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه" [٢]، لذلك فقد التمس الإمام علي بن أبى طالب رضي الله عنه عذراً لهم في ذلك، فهو يرى أن الخوارج لم يقوموا إلا وهم متأكدون بأنهم على حق، ولكنهم أخطئوا الوسيلة في الوصول إليه .

ومن مظاهر تعاليمهم وأخلاقهم النبيلة أنهم زهّاد أصحاب عفة، لا يسألون الناس حتى وهم في أمسِّ الحاجة إلى ذلك، والجاهل بأحوالهم يظنهم أصحاب ثروة ومال، ويصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ [٣].

ويجمل أبو حمزة الشاري – أحد قادة الخوارج – سماحة أخلاق الخوارج ونبلها حيث يقول:
" شباباً والله مكتهلون[٤] في شبابهم، غضيضةٌ عن الشر أعينُهم، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامهم، قد باعوا أنفساً تموت غدًا بأنفسٍ لا تموتُ أبداً، قد خلطوا كَلالهم [٥]، وقيام ليلهم بصيام نهارهم، منحنيةٌ أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مرّوا بآية شوقٍ شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٥٤ .
(٢) نهج البلاغة، الشريف أبو الحسن محمد الرضى، تحقيق: محمد عبد محي الدين عبد الحميد، ج١، د ط ، د.ق (مطبعة الاستقامة ، المكتبة التجارية- مصر، دت)، ص ١٠٣ .
(٣) سورة البقرة، آية ٢٧٣
(٤) مكتهلون: أي قد أحرزوا خبرة الكهول .
(٥) الكلال: التعب والإعياء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السيوف قد انتضيت، وإلى الرماح قد أشرعت، وإلى السهام قد فُوِّقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله، ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة . فطوبى لهم وحسنُ مآب ! فكم من عين في منقار طائر، طالما بكى بها صاحبها من خشية الله ! وكم من يدٍ قد أبينت عن ساعدها، طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً ! أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" [1].

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص: ٢٨٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني
البطولة وصورها في شعر الخوارج

- تمهيد: مفهوم البطولة.
- المبحث الأول: البطل الشهيد.
- المبحث الثاني: البطل السياسي.
- المبحث الثالث: البطل المجاهد.
- المبحث الرابع: البطل الزاهد.
- المبحث الخامس: البطل العاشق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

أولا: مفهوم البطولة:

مفهوم البطولة بمعناها التقليدي يقترب كثيراً من المفهوم التاريخي ، أو الواقعي وهو المعنى المنتشر غالباً بين الناس ليدل على مفهوم البطولة وما تعنيه من قيم وأعمال تجعل من فرد ما أو جماعة مميزين ضمن إطار رؤية الرائين ، واللحظة التاريخية بالإضافة إلى درجة الوعي للمنظور إليهم [١].

ولا يبتعد المفهوم اللغوي للبطولة عن هذا المدلول ، إذ أن " البطولة في اللغة الغلبة على الأقران ، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم إجلالاً وإكباراً " [٢].

وقد ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: " والبطلُ : الشجاع ورجُلٌ بطلٌ يبينُ البطالَةِ والبطولة : شُجاعٌ يَبْطُلُ جراحَتهُ فلا يكترثُ لها ولا تبْطُلُ نجادَتُه وقيل : إنما سُمِّي بطلاً لأنه يبطلُ العظائم بسيفه " [٣]، وفي المعجم المفصل للأدب يبين ارتفاع الأبطال إلى درجة الآلهة واستحقاقهم للعبادة، ويصنفهم ضمن أربعة أقسام على النحو التالي: البطل الأول هو البطل الواقعي الذي أضيف إلى الخيال مثل عنترة بن شداد، والبطل الثاني من الخيال مثل أبطال الإلياذة والأوديسا وغيرهم من اليونان، والبطل الثالث إلهاً نزل من مكانته من مصاف الآلهة فاقترب من الواقعية بعيداً عن الخيال، والبطل الرابع هو الذي يجمع بين الحقيقة والخيال، غير أن الواقعية فيه تغلب على الخيال [٤].

ويرى الدكتور محمد كلاب أن مفهوم البطولة يتقاطع بصورة كبيرة مع ما أورده (علي الجندي) في دراسته(شعر الحرب في العصر الجاهلي) حول مفهوم البطل في الشعر الجاهلي قوله: " هو ذلك الشخص الذي كانوا يعدونه ذخيرة لوقت الخطر، وأهلاً للاعتماد عليه في القتال، نجد أنهم كانوا يتصورون فيه الرجل الكامل بمعنى الكلمة، أو بعبارة أخرى الشخص المثالي

---

(١)انظر: البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين، للباحثة أحلام بشارات، (جامعة النجاح الوطنية – فلسطين ، ٢٠٠٥م) ص ٨.

(٢)البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط١، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠) ص ٩.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مج١، ج٣، ص ٣٠٢ .

(٤) انظر: المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، الخزانة اللغوية، ج١(دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت، ١٩٩٣م) ص ١٨٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقي، ومع أن المقصود من البطل الناحية التي تتصل بالحرب وهي القوة والشجاعة، فقد وصفوه فوق ذلك بصفات أخرى لو اجتمعت كلها جمعاء؛ لكان شخصاً كاملاً في: الخُلق والخلْق والصفات والعادات ويظهر أنهم كانوا لا يعنون بالقوة الجسمية فحسب بل، ما يشمل أيضاً القوة في العقل والقوة في الخلق، والقوة في الشرف والكرامة " [١] .

والبطولة عند الفلاسفة والمفكرين الغربيين تعني الرفعة والعظمة، والأبطال هم رجال عظماء في حياتهم وفي مواقفهم المختلفة، وهم بتلك المواقف والأعمال ينالون تقدير الناس لهم وإعجابهم بهم، فيكونون القدوة التي يحتذى بها ، ولقد أولت الحضارات المختلفة بدءاً من الحضارة اليونانية والحضارة الفرعونية والبابلية وصولاً إلى الحضارة الهندية القديمة اهتماماً كبيراً وواسعاً بالبطولة حيث قامت كل أساطيرها على وجود الأبطال الذين يتَحَدُّون القوى الكبرى ويصارعونها صراعاً طويلاً، فيصلون بذلك إلى تحقيق أمنياتهم ورغباتهم، ومن شدة إعجاب الحضارات القديمة بأبنائها وأبطالها عملوا على تشريفهم ورفعهم لدرجة العبادة والآلهة، فنسبوا لهم معجزات لا يتصورها العقل البشري من خرافات ومعجزات خارقة لنظام الكون [٢].

ويتفق شوقي ضيف مع القول السابق ويرى أنه ومنذ القدم كان البطل في القبيلة يعد شخصاً تضفي عليه البطولة هالة من القدسية، وكانوا يظنونه من سلالة الآلهة، وكأنها هبة تهبها لهم، وكانوا يقفون أمام البطل مذهولين كأنما يستر في طواياه قوى خفية، ومن أجل ذلك فقد عبدوه أحيانًا وخاصة في عهود الإنسانية الأولى، ويرون بأن الآلهة هي من أنجبتهم لحماية من حولهم بما يمتلكون من معجزات القوة والشجاعة، مما دفعت الناس إلى تمجيدهم باعتبارهم رموزاً لقوى إلهية مقدسة [٣] .

والأساطير اليونانية جعلت تلك الأمور ضرورة هامة وملحّة لهؤلاء الأبطال، وما لهم من فضل في بناء المدن اليونانية وتشييدها وحمايتها وخير دليل على ذلك ما حققوه من انتصارات باهرة للشعوب اليونانية القديمة في صراعها وحروبها الممتدة، وكانت ولادة الأسطورة استجابة

---

(١) البطولة في شعر الشهيد(إبراهيم المقادمة) ، محمد كلاب (مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الإنسانية – غزة – فلسطين –٢٠١٢م) مج ٢٠، ص٥ .

(٢)انظر: السابق ، ص٥، وانظر: البطولة في الشعر الغنائي والسير الشعبية، محمد أبو الفتوح ، ط١(ايتراك للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠١) ص ١٧– ١٨ .

(٣)انظر: البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص ٩ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمحاولات تفسير الظواهر الطبيعية ومعرفة خفايا الكون، لتشكل بذلك مرجعاً دينياً وروحياً يحمل تساؤلات الإنسان وإيجاد الإجابات الملائمة لها [١].

" لقد تصور الشعب بطله مخلوقاً غير عادي فأخذ يصنع الأساطير، وأخذ يصور حياته من يوم ولادته إلى يوم وفاته تصويراً فيه من الخيال الشيء الكثير، ثم أخذ كذلك يصنع حول شخصيته الأناشيد والأغاني وما لبث كل ذلك أن تجمَّع وكوَّن القصص والملاحم " [٢].
وأبطال الأساطير لهم صفات إلهية أو أصناف إلهية وتكون ولادتهم لعلاقة غير مشروعة بين آلهة وابنته أو أخته، أو من أم من بني البشر يقوم إله متنكر على صورة حيوان باغتصابها وعليه فالولادة تأتي على نحو غير واقعي فينبثق البطل من جسم الإله أو فخده مثل ولادة (أثينيا) من رأس(زيوس) وولادة (دينيوس) من فخده، والألوهية في نظرهم تعطيهم قوة أو شيء خارق للعادة يجعلهم يخوضون صراعاً طويلاً يكلل في نهايته بانتصار، على الرغم مما واجهوه منذ البداية من تشريد وضياع، وذلك بسبب حلم يراه الإله أب، أو خوف الأم من انكشاف أمرها [٣].

أمّا أرسطو فكانت نظرته شبيهة مما سبق، حيث كان يرى أن البطل يصنف في المنزلة العليا في المجتمع الذي يعيش فيه بحيث يقع في مرتبة وسطية بين الخبث والطيب، وكانت تلك النظرة الأرسطية لصورة البطل سائدة منذ العصور الكلاسيكية القديمة وحتى ثورة الرومانسيين التي جاءت في القرن التاسع عشر للميلاد فاختلفت الرؤية إلى البطل عما كانت عليه في السابق وذلك تبعاً لتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وأخذت صورة البطل تتطور شيئاً فشيئاً في المذاهب والفلسفات الأدبية التي جاءت بعد ذلك [٤].

وبالرجوع إلى البطولة الحربية عند العرب القدماء فقد عانقت قبل ظهور الإسلام بطولة خلقية اجتماعية جعلت أبطالهم وعشائرهم وقبائلهم أيضاً يجدُّون السعي إلى تحقيق طائفة من المثل والقيم العليا، إلى أن استقامت لهم مناقبهم، وقد عانقت البطولة الحربية البطولة النفسية والتي جعلتهم يسعون إلى تحقيق طائفة أخرى من المناقب والمفاخر، وكانوا يهتفون بها بصوت عالٍ ، فيتخلله بسالتهم وشجاعتهم وإزهاق أرواحهم وإراقة الدماء، والكثير من أبطال الجاهلية

---

(١) انظر: البطل الفلسطيني في الروايات الفلسطينية، أحلام بشارات، ص ٩- ١٠ .

(٢) الحكاية الشعبية الفلسطينية، نمر سرحان ، ط٢ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨) ص٤٥ .

(٣) انظر: السابق، ص ٢٦ .

(٤) انظر: البطولة في الشعر الغنائي والسير الشعبية، محمد أبو الفتوح، ص ١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين يشهد لهم التاريخ لهم أشعار زاخرة بمفاخرهم وما أنزلوه من الموت المؤزر بأعدائهم، ولم يتغن الأبطال وحدهم بهذه البطولة المتمثلة بأقسامها الثلاثة الحربية والنفسية والاجتماعية، بل نجد الكثير من الشعراء والأبطال من مختلف القرى والقبائل ومن كل فج من فجوج البوادي تغنوا بها، متخذين من مديحهم لأبطالهم أداة لهذا التمجيد(١).

بينما البطولة في الآداب الشعبية والتي تشكلت منها الحكايات الخرافية والملاحم الأسطورية، فقد غلبت عليها سمة الانطباعية، تقترب بذلك من بطولة الأدب التراجيدي بمعنى أن قدرات البطل تكون نابعة من ذاته، وهذا بدوره لا ينفي عن البطل دوره الاجتماعي، بل هو لسان حال قبيلته يهتم بهمومهم ومشكلاتهم، ويقوم بدور فاعل لمعالجتها، وبالرجوع إلى السير الشعبية وسير العرب ومحافلهم وأيامهم فإنها تضع القارئ في صورة الحدث تماماً (٢).

"وتعتمد السير الشعبية على الأبطال، الذين لا يختلفون عن أبطال الملاحم في شيء سوى تحققها في إطار المجتمع الإسلامي، وذلك النمط في السير الشعبية هو بطولة إنسانية نسبت إليها قصص خارقة، وتشكلت صورها من جديد بحيث باتت رمزاً للبطولة الإنسانية، وامتداد للبطولة الأسطورية، وتعبيراً عن روح الجماعة " (٣).

وعند المقارنة بين البطل الشعبي وبطل الأساطير نجد الاتفاق بينهما يكاد يكون واضحًا، فالبطل الأسطوري الذي تساعده الآلهة يقابله الشعبي الذي يقوم بالأعمال الخارقة وذلك عن طريق مساعدة الكهنة والسحرة والأقزام والحيوانات الناطقة له فيكون الحظ إلى جانبه نتيجة هذه المساندة وليس التشابه بينهما بالأمر الغريب فالحكاية الخرافية هي وليدة الأسطورة (٤).

---

(١) انظر: البطولة في الشعر العربي القديم، شوقي ضيف، ص ١٦ .

(٢) انظر: البطل الفلسطيني في الروايات الفلسطينية، أحلام بشارات، ص١٢

(٣)البطولة في شعر الشهيد (إبراهيم المقادمة)، محمد كلاب، ص ٥ .

(٤)انظر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، نمر سرحان، ص٢٦-٢٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: البطل وصور البطولة:

لقد عرف العرب منذ القدم البطولة بصورتها الواقعية لا بصورتها الأسطورية كما تمثلت عند الإغريق، ولا بصورتها الشعرية التي تمثلت في الشعر التمثيلي كما هو الحال عند اليونان، حيث اهتموا بالبطولة الواقعية وعملوا علي ترسيخها في عقول أبنائهم ووجدانهم، من خلال عملية تربيةٍ وتأهيلٍ من مختلف النواحي الجسدية والعقلية والروحية، وعليه فمفهوم البطولة الواقعية عند العرب منذ القدم: "أنها، بطولة يرتفع بها صاحبها عن الأشخاص العاديين من حوله بقوته، وبسالته، وإقدامه، وجرأته وتغلبه على أقرانه، وهو منهم، من ذات أنفسهم، لا من سلالة الآلهة أو أنصاف الآلهة بشر سوى لا يعلو عن الحدود البشرية الإنسانية، وبطولته بذلك تنفجر من وجوده الإنساني البشري، لا من ينابيع غيبية أو سخرية غيبية، بطولة إنسانية تستمد من الواقع وحقائقه لا من الخيال وخوارقه " [١].

والبطولة سمة عظيمة مشرفة لا يتحلى بها إلا العظماء الذين لهم القدرة على امتلاك مقوماتها الدينية، والاجتماعية، والإنسانية، وعليه فإن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإنساني المشرِّف لم يصنعه ويعلي مجده سوى الأبطال العظماء بأمتهم وشعوبهم، وقوام البطولة يتمثل في مواقف متميزة، وعزيمة قوية، وإيمان عميق، والذي يحاول البطل جاهداً وبكل ما أوتي من قوة إصلاحه ونشر العدل فيه، وتكون نقطة الانطلاق والبداية منذ اللحظة التي يتمرد فيها البطل على ما هو سلبي في المجتمع، والعمل على إصلاحه ودحض الظلم ونشر العدل فيه [٢].

ومما لا يخفى على الجميع أن المكونات الثقافية في المجتمع لها الدور الهام في بلورة صورة البطل، وعليه يكون البطل نتاج المجتمع الذي يعيش فيه، والأوضاع السياسية التي يمر بها وتؤثر عليه، "إن البطل ضرورة اجتماعية، لو لم يكن موجوداً في وجدان واقعي، فإنه موجود في الوجدان والمخيلة الاجتماعية وجوداً متخيلاً، يمكن أن يتحول إلى وجود واقعي متى توفرت الشروط الاجتماعية المناسبة لإبراز البطل على سطح الحياة " [٣].

" فالبطل لم يكن في أية مرحلة من مراحل التاريخ بمنأى عن العلاقات الاجتماعية، وعليه يمكن النظر إلى مشكلة البطل باعتباره ثمرة للعلاقة بين القوى المنتجة في المجتمع، ومعنى

---

(١) البطولة في الشعر العربي القديم، شوقي ضيف، ص١٣ .

(٢) انظر: البطولة في شعر الشهيد(إبراهيم المقادمة)، محمد كلاب، ص٦.

(٣) البطولة في الشعر الغنائي والسير الشعبية ، محمد أبو الفتوح ، ص١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا أن صورة البطل تبدأ في التغيير عندما يتغير البناء في المجتمع، لتصبح دراسة البطل دراسة لعلاقته بمجتمعه، وما ينشط في ذلك المجتمع من تفاعل قد ترتفع وتيرته وقد تنخفض" [١].

أما عن البطولة في شعر الخوارج فقد حفل شعرهم بمعاني البطولة المختلفة، وتغنى الشعراء بها، وبرز الإيقاع الحماسي في أشعارهم، وتجلت ملامح البطولة بصورة واضحة في قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية الرائعة، والتي انبعثت منها روح الجهاد، والروح الدينية الإسلامية بصورها وأنماطها الفردية والجماعية، ولقد تكشفت في أشعارهم طاقات بطولية متدفقة بالجهاد والتنفير من القعود عن القتال، حيث برزت البطولة الحربية جليّة عند الخوارج،" ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن البطولة الحربية العربية لم تتمثل في حزب كما تمثلت في حزب الخوارج، وقد تحول كل منهم إلى مجاهد شاكي السلاح يطلب الموت والشهادة في ميادين الجهاد، أمّا جماعاتهم فتحولت إلى كتائب حربية تقبل على الموت بنفوس راضية، وكأنه الباب الموصد بينها وبين فراديس الجنان فهي تريد اجتيازه حتى تنطلق إلى الملأ الأعلى" [٢].

ولقد أخذت البطولة عند الخوارج أبعادها الفردية والجماعية، ويرى الباحث أن البطولة قد تجسدت وبقوة في أشعارهم حيث أنك عندما تقرأ أشعارهم المتناولة لمعاني البطولة بشتى صورها تشعر كأنها لوحة فنية مرسومة فترى المشهد ماثلا أمامك بكل جوانبه ومعالمه، فقصائدهم الشعرية قد اشتملت على صور متعددة للبطولة، منها صورة البطل الشهيد بعناصرها المادية والمعنوية، وصورة البطل المجاهد، وصورة البطل السياسي، والبطل العاشق، وغيرها من الصور البطولية الرائعة.

---

(١) انظر: شخصية البطل في الشعر العربي المعاصر، الإمام الشهيد أحمد ياسين أنموذجاً، كتاب مؤتمر الشهيد أحمد ياسين، ج١ (الجامعة الإسلامية ، غزة، ٢٠٠٥)، ص ٦٤٣.

(٢) البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص٥٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : البطل الشهيد:

الشهيد في اللغة: ورد في لسان العرب وتحت مادة (شهد): وشهيد على وزن فعيل، وهي أبنية المبالغة، والشهيد المقتول في سبيل الله، وتشهد، طلب الشهادة، والشهيد الحي، أي هو حي عند ربه [١].

قال ابن الأنباري: " سُمي الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وقيل سمُّوا شهداء لأنهم ممن يستشهد يوم القيامة مع النبي – صلى الله عليه وسلم– على الأمم الخالية" [٢].

الشهيد في الاصطلاح: هو من مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم، قبل انقضاء القتال، كأنه قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم، أو عاد إليه سلاحه، أو تردَّى في بئر أو هده أو رفسته دابته فمات، أو قتله مسلم باغٍ استعان به أهل الحرب "[٣].

وجاء في تعريف الشهيد: " الشهيد: هو كل مسلم طاهر بالغ قُتل ظلماً ولم يجب بقتله مال ولم يُرْتث" [٤]، ويجد المتأمل لكتاب الله عز وجل بأن كلمة شهيد قد وردت في أكثر من موضع ونستشهد ببعض منها على سبيل الذكر لا الحصر، يقول الله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ [٥]

وقد ورد معنى الشهيد أو الشهداء في القرآن الكريم بلفظ القتل ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [٦].

أما عن السنة النبوية الشريفة فقد حوت الكثير من الأحاديث عن الشهيد وفضل الشهادة في سبيل الله ومن ذلك:–

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مج٤، ج٢٥، ص٢٣٤٨.

(٢) تاج العروس، محمد الزبيدي، ط٦، ج٢ (دار الهداية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م) ص ٣٩١.

(٣) أحاديث الشهادة والشهيد، نزار ريان، رسالة ماجستير، غزة، ١٩٩٠، ص١–٢ .

(٤) معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الجرجاني، تحقيق: محمد المنشاوي، د.ط (دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة–د.ت) ص١١١.

(٥) سورة الزمر، آية ٦٩.

(٦) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي– صلى الله عليه وسلم – قال: " ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة " متفق عليه [١]

يلاحظ المتأمل في شعر الخوارج احتقارهم للدنيا، فالحياة عندهم وسيلة، وليست غاية، فغايتهم الفوز بالآخرة ومن هنا نظروا للحياة الدنيا نظرة تصغير واحتقار، ولقد تمنى الخوارج الموت، فالكل يبتغي الشهادة ويجدُّ السعي إليها لكي يفوز بالدار الآخرة، حيث إنهم كانوا يرون أن الموت ليس نهاية المطاف، بل بداية لحياة جديدة، ويعتقد الباحث أن هذا التسابق والإقدام على نيران الموت والقتل في سبيل الله يعود إلى إيمانهم الصادق بعقيدتهم التي استمدوها من تعاليم الإسلام العظيم، بالإضافة إلى الدافع الديني الذي استقوه من القرآن الكريم، حيث يقول رب العزة: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ [٢]، وهناك سببٌ آخر ليس له علاقة بالدافع الديني ألا وهو البيئة الصحراوية التي عاشوا وتربوا فيها، حيث تركوا حياة البذخ والترف وحياة التمدن، وانتقلوا إلى الجبال والصحراء فعايشوا قسوتها مما كان له الدور المهم في صقل شخصياتهم فجعلتها ذات طابع قسوة وشدة فأصبحوا يطلبون الموت ويقبلون عليه طلباً للشهادة، ونلمس ذلك في رثائهم لشهدائهم حيث رسموا صوراً فنية رائعة ومتنوعة لأبطالهم .

ولقد جاد البطل الخارجي بروحه حيث أقدم على الشهادة، وهو على يقين بالمكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي تنتظره تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾[٣]، ولقد سطَّر أبطال الخوارج أروع ملاحم التضحية والفداء، وقد تجلت الملاحم في شخصية البطل الخارجي الذي حمل الإيمان في قلبه، والروح على كفه، ثم انطلق مجاهداً لنيل إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، ط١،ج٣(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م) ص١٤٨٩.
(٢) سورة التوبة، آية ١١١.
(٣) سورة الحديد،آية ١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا قطري بن الفجاءة يستنكر متسائلاً بُعد الشهادة عنه مع طلبه الشديد لها:

إلـى كـمْ تُغَـادرني السـيوفُ ولا أرى ... مُغازاتَهـا تـدْعُو إلـيَّ حِمامِيَـا
أُقـارعُ عنْ دارِ الخُـلودِ ولا أرى ... بقـاءً على حالٍ لمنْ ليسَ باقيـا
ولو قرّبَ المـوتَ القراعُ لقد أنـَى ... لمـوتَي أنْ يدنو لطُول قراعيـا [1]

وهذا عمران بن حطّان يتمنى أن ينال ما ناله أحد قادة الخوارج وهو أبو بلال بن مرداس:

أُحـاذرُ أن أمـوت علـى فراشـي ... وأرجو الموت تحتَ ذُرَى العوالِي
ولو أني علِمْـتُ بأنْ حتفـي ... كحتفِ أبي بلال لـم أُبـالِ [2]

يرى الدكتور مصطفى الشكعة أن أبيات عمران السابقة توضح رؤية الخوارج ونظرتهم للموت، فهم ينشدون الموت في ساحات الوغى بعيداً عن لقاء المنية على فراش الموت وهذا المعنى الذي صوَّره عمران ولقاؤه حتفه نجد أنه لم يصل إليه أحد قبله من الخوارج [3].

فهذه أم عمران بن الحارث الراسبي يستشهد ولدها، فلم تجزع أو تحزن، وإنما تحمد الله وتشكره الذي أنعم على ولدها ورزقه الشهادة على يدي أعدائه الكفرة ، فتقول:

اللـهُ أيَّـدَ عِمْراناً وطـهَّرهُ ... وكان عِمْرانُ يدعو الله في السَّحَرِ
يدعـوهُ سرّاً وإعـلاناً ليـرزقَـهُ ... شهـادةً بيـدي مِلْحـادَةٍ غُـدُرِ [4]

هذه الروح المتأففة من الحياة سرت في جميع الخوارج رجالاً ونساءً سريان النار في الهشيم، ويرى الباحث أنها تحولت إلى مبدأ من مبادئهم كرَّسوها في خروجهم الدائم، فلم يتخفُّوا خوفاً وتقية، بل كانوا يجاهرون برأيهم ضد معارضيهم بلا خوف ولا استحياء، وهمهم هو الفوز بالشهادة في سبيل المبدأ الذي خرجوا من أجله.

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٧٦ .

(٢)السابق، ص ١٢٩ .

(٣) انظر: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مصطفى الشكعة، د.ط (مكتبة الإنجاد المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م) ص ٧٦ .

(٤) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يقتصر الاستعجال في طلب الشهادة على قطري فحسب، فعمران أيضاً يصرخ بأعلى صوته سَئِماً من الملل الذي يعتريه طوال حياته، مستعجلاً لطلب الشهادة قائلاً:

أفِـي كُـلِّ عـامٍ مرْضَـةٌ ثُـمَّ نقْهَـةٌ وّينْعى ولا يُنْعى متى ذا إلى متى؟ (١)

فهذا النداء المستعجل من عمران بن حطان يؤكد حقيقة الرأي القائل:" إن الموت عندهم هو الدين الحقيقي" (٢).

ويرى قطري بن الفجاءة المازني أن قمة البطولة هو الثبات في المعركة حتي يتحصل على الشهادة:

حتـــى متـــى تُخْطئُنـــي الشهـــادة
والموتُ فـــي أعناقِنـــا قِـــلادة
ليـــسَ الفرار في الوغـــى بعـــادة
يا ربِّ زِدْنـــي في التقـــى عبـــادة
وفِـــي الحيـــاةِ بَعْدَهَـــا زَهـــادة (٣)

ويقول معاذ بن جوين حاثًا قومه على الشهادة وطلبها متمنياً من الله أن يكون من بينهم:

ألا فاقصدوا يـــا قـوم للغـــايةَ التـي إذَا ذكـرتْ كـــانت أَبـــرُّ وأَعْـــــدَلَا
فيا ليـــتني فيكم على ظهرِ سابـــحٍ شديـــدِ القصـــيرى ذراعـــا غيـــر أعـــزلا
ويا ليتـني فيكم أُعادي عـدوكـــــمْ فيسقِيْنـــي كَـــأْس المنيـــــــــةِ أوّلا (٤)

يدفع معاذ بن جوين الخوارج إلى خوض غمار المعارك موضحاً أفضلية الموت على الحياة الزائلة، وقد وفق الشاعر في توظيفه لبعض الأساليب التي أسهمت في إبراز المعنى الذي أراد، حيث بدأ الأبيات بأداة التنبيه (ألا) لجذب انتباه قومه، وأتبعها بأسلوب الأمر (فاقصدوا) لحثهم على طبيعة الهدف الذي يجب أن يكون غاية مقصدهم، ثم بأسلوب النداء (يا) الدال على تعظيمه لقومه، وقد حصر مقاصد البر والعدل على طلب الشهادة، ونلمس من خلال تكراره (يا ليتني) حرصه الشديد على هذه الغاية العظيمة .

---

(١) السابق، ص١٠٥ .
(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس ، ص ٧
(٣) السابق، ص ١١٥-١١٦ .
(٤)السابق، ص ١١٥-١١٦ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتمني العيزار بن الأخفش الطائي الشهادة واللحاق بإخوانه فيقول:

ألا ليتني في يوم صفين لم أوب ... وغودرت في القتلى بصفين ثاويا
وقطعت آرابًا وألقيت جثـــــة ... وأصبحت ميتا لا أجيب المناديا
ولـم أر قتلى سنبس ولقتلهـــم ... أشاب غداة البين مني النواصـيا
ثمـــانونَ من حَيَّيْ جَدِيلةَ قُتِّلوا ... على النهر كانوا يخضبون العواليا
ينادون ألاَّ حـــكم إلا لربنـــا ... حنانيك فاغفر حوبنا والمساويا [1]

إن لحظة التكشف الشعوري تبرز بوضوح في هذا النص، مستمدة مقوماتها من التمسك بالمبادئ والقيم التي ساروا عليها فنحن أمام دفقة عاطفية ورؤية شعورية، فيواجه النص هنا منعطفين دلاليين، فالأول: يمثل ما يعتلج في روح هذا الخارجي من مرارة وألم نتيجة ما آل إليه الوضع من قتل أصحابه وأمنيته الاستشهاد واللحاق بهم، والمنعطف الآخر: يتمثل في البيت الأخير الذي يعكس فلسفة الخوارج وآراءهم في الحكم.

وتتحدد ملامح البطولة عند شاعرهم عمران بن حطان برفضه الشديد لهذه الدنيا:

فمنْ يَكُ هَمَّـــهُ الدُّنيا فإنـــــي ... لَهَا واللـــهُ ربّ البيتِ قالـــــي [2]

كتب قطري بن الفجاءة إلى سميرة بن الجعد أحد أصحابه، حين أصبح جليساً للحجاج مبيناً له أن الشهادة في سبيل الله هي الغاية والمقصد:

فراجعْ أبا جعدٍ ولا تكُ مُغْضيـــاً ... على ظُلْمةٍ أَعْشـــتْ جميعَ النواظِـــرِ
وتُبْ توبةً تُهدي إليكَ شهـــــادةً ... فإنكَ ذو ذنـــبٍ ولســـتَ بِكافـــــر
وسِر نحْوَنـــا تلقَ الجِهاد غنيمةً ... تُفـدْك ابتياعاً رابحاً غير خاســـــرِ
ينادون لا لا حكم إلا لربنـــــا ... إذا نال في الدنيـــا الغنى كلُّ تاجرِ [3]

ومنهم من يتذوق للموت حلاوة أكثر من حلاوة العسل، وإلى هذا المعنى ذهب الأعرج المعني مرتجزاً:

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٥٢.
(٢) السابق، ص ١٢٩.
(٣) السابق، ص ١٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَا جَزَع اليـــوم قرب الأجـــلْ
الموتُ أحلـــــى عندنا من العسلْ
نحنُ بني ضبةُ أصحاب الجمـــلْ
نحنُ بنو الموتِ إذا الموتُ نَـــزلْ [١]

فمن خلال هذه الأسطر الشعرية يبرز دلالة جديدة للموت إذ نرى الموت قد أصبح مساويًا للحياة، بل هو أحلى من العسل حسب تعبير الدوال الشعرية، وهذا الإحساس ناتج عن توطيد فكرة الموت وجعلها متناغمة مع الجو الحماسي للأبيات.

حب الشهادة ولقيا وجه الله أمنيةٌ عزيزة يتمناها كل بطل خارجي، حيث نجدهم يشدون الخطى متسابقين لها متمنيين من الله أن يرزقهم إياها وفي ذلك يقول كعب بن عميرة راثيًا أهل النهروان:

لقدْ فازَ أخْوانِي فَنالُوا الَّتِي بهـــا ... نجُوا من عذابٍ دَائـــمٍ لا يُفَتَّـــرُ
أبَى اللَّهُ إلَّا أنْ أَعِيْشَ خِلافُهُـــمْ ... وفِي اللَّهِ لِـي عِـــزٌّ وَحِرزٌ ومَنْصِرُ
ويَا ربُّ هَبْ لي ضَرِبَة بِمُهنّـــدٍ ... حسام إذا لاقى الضريبةَ يُهْبـــرُ
فقدْ طالَ عيْشي في الضلال وأهله ... أخافُ التي يخْشَى التّقِيُّ ويحْـــذرُ
أخافَ صُروفَ الدّهرِ إنّي رأيْتُهـــا ... تَرُوحُ عـــلى هـــذا الأنـــامِ وتُبْكِرُ [٢]

وإلى ذلك المعنى نجد عبد الواحد الأزدي يقول في انهزام شبيب الخارجي يوم وقعة السبّخة[٣]:

يا ليْتَنِي في الخيْـلِ وهي تدوسُهُمْ ... في السُّوقِ يومَ الظَّفْرِ بالحجّـــاجِ
بأخي ثَمُوْدَ وقُرْبَ مـــا أخطأْنـــهُ ... ولقَدْ بَلَغْنَ العُذْرَ فـــــي الإدْلاجِ[٤]

حيث يصف بشاعة الموت الذي حلَّ بإخوانه وكيف كانت الخيول تدوسهم.

---

(١) السابق، ص ٢٢.
(٢) السابق، ص١٧٩.
(٣) موضع في البصرة .
(٤) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الطرمّاح بن حكيم أنّ الشهادة هي المنجاة الوحيدة من عذاب النار وحَرِّها:

لقد شقيتُ شقاءً لا انقطاع لـــهُ إن لـــمْ أَفُزْ فوزةً تنجي من النّـــارِ

والنار لم ينجُ من روعاتها أحـــد إلا المنيب بقلب المخلص الشاري[١]

فهو يَعُدُّ عدم فوزه بالجنة واللحاق بدرب إخوانه الشهداء شقاء لا مثيل له.

ويقول عمرو بن الحصين متمنياً الشهادة:

أهوي لها شَقَّ الشّمالِ كأنّنّـــي خفْضُ لَقى تحتَ العَجاجِ العاصب

يا ربِّ أوْجِبْها ولا تّتعلّقْـــــنَ نفْسي المنونَ لدى أكـــفِّ قرائِبِ [٢]

يطلب من الله جلَّ في علاه أن لا يجعل نفسه معلقة في حب الموت، ويدعو الله أن ينال الشهادة بطعنة في القتال، ونلمس من خلال الأبيات السابقة أنهم أبطال أقبلوا على طلب الموت في سبيل الله بنفوسٍ راضية مطمئنة إلى قدر الله لا يخافون في الله لومة لائم.

ويخاطب قطري بن الفجاءة نفسه محاورًا لها محاورةً جميلة، تبعث فيها روح الإقدام والجهاد، ويبين لها بأن الموت هو حق على كل مسلم لا مفر منه:

أقولُ لها وقدْ جاشَـتْ حيـــاء مِنَ الأبطالِ وَيْحَكِ لا تُراعـــي

فإنَّكِ لو طلبْتِ حيـاةِ يـــومٍ على الأجلِ الذي لك لن تطاعـــي

فصبراً في مجالِ المـوتِ صبراً فما نيـــل الخُلودِ بمُستطـــاع

وما طُولُ الحياةِ بثوبِ مجـــدٍ فيُطوى عن أخـــي الخَنَعِ اليَـرَاع

سبيلُ الموتِ منهجُ كـلَّ حَـيٍّ وداعيـــهِ لأهلِ الأرض داعـي

ومن لمْ يَغْتَبِطْ يسْـــأمْ ويهْـرَمْ ويُفْض بـهِ القضـاءُ إلى انقطاعِ [٣]

يعلق شوقي ضيف على الأبيات السابقة فيقول إن قطريًا" يستهين بالحياة فالموت غاية كل حي، وما أشبه الحياة بثوب يطوى في أي ساعة، فحري به وبأمثاله من أبطال الخوارج أن يقاتلوا حتى يستشهدوا في سبيل عقيدتهم، وظلوا ينازلون الأمويين وقوادهم في بسالة نادرة [٤] .

---

(١) السابق، ص٨٥.

(٢) السابق، ص٨٥.

(٣) السابق، ص ١٦٩ .

(٤)انظر: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، شوقي ضيف، ص ٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويطلب أبو بلال بن مرداس من الله أن يرزقه الشهادة حين أزمع على الخروج:

إلهي، هَبْ لي زُلْفــةً ووسيلـةً ... إليكَ، فإنّي قد سئمتُ منَ الدهـــرِ
فلسنا إذا جَمعتْ جُمُوع عدونا ... وجاؤوا إلينـــا مثل طاميةِ البحـــرِ
نكفُّ إذا جاشتْ إلينا بُحُورهم ... ولا بمهابيـــب نَحيـــدُ على البُتْر
ولكننا نلقى القـنا بنحُورنـــا ... وبالهـــامِ نلْقَـــى كلَّ أبيضَ ذي أثْر
إذا جشأتْ نفسُ الجَبان وهللت ... صبرنا، ولو كان القيامُ على الجمرِ[1]

إنه دعاء من الشاعر يقوم على شرح أيدلوجية المناجاة التي ابتدأت بها الأبيات لتقرر حقيقة اتسم بها شعر الخوارج، وهي تمني الموت والإقبال عليه من أجل مبادئهم، فالموت هو رفض للواقع، والأموات هم الأحرار الذين رفضوا هذا الواقع، ونرى طغيان لصيغ أفعال الأمر (هب ، يسر ، أيد) التي عملت على تحريك دلالات النص ومنحها طابعا حيوياً يشير إلى تمني الشهادة.

ومن ذلك قوله:

ما إن نبالي إذا أرواحنا خرجت ... مـــاذا فعلتم بأجســـادٍ وأوْصـالي
نرجو الجنان إذا صارت جماجمنا ... تحت العَجاجِ كمثل الحنظـل البالـي [2]

هذا التوق للموت عند الخوارج دليل على أنهم كانوا يرون الموت شيئاً آخر غير ما يراه الآخرون، فهو اقتران لجوهر الوجود والخلود.

ومن معاني استعذابهم للموت في سبيل الله قول بعض الخوارج:

ومـــن يخشَـــى أظفـــار المنايـــا ... لَبِسْنـــا لهنَّ السّابغاتِ مِنَ الصَّبـــرِ
وإنَّ كـــريهَ الموتِ عذبٌ مـذاقـهُ ... إذا مـــا مَزَجْنـــاهُ بطيبٍ من الذكـــرِ
ومـــا رُزِقَ الإنســـانُ مـثْلَ منيَّـــةٍ ... أراحَتْ من الدُّنيا، ولم تُخْزِ في القبـــرِ[3]

يصور الشاعر في الأبيات السابقة، مدى تحمل الخوارج وصبرهم، وقوتهم في مجابهة الأعداء، فهم لا يخافون الموت الذي يحيط بهم من جميع الاتجاهات، وقد وظف الطباق بين (كريهة– عذب) حتى يدلل على أن الانتقال من كراهية الموت ورفضه إلى حب الموت والتكالب عليه ما كان له أن يكون لولا تلاوتهم للذكر الحكيم، فالشاعر يصور لنا الشهادة وكأنها الرزق الذي يمنحه الله لمن يشاء من عباده.

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٩٣.
(٢) السابق، ص ١٩٤.
(٣) السابق، ص٢٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى الخوارج أن الموت ليس نهاية الحياة، بل إنه بداية لحياة أخرى يعيشونها بعد الممات، لذا فإن تمنيهم للموت لم يكن نتيجة للهزائم بل وهم في قمة انتصارهم يطلبونه رغبةً به لينقلهم إلى جنات الخلد وطلباً للشهادة وهذا هو غاية الموت [١].

يقول عبيدة بن هلال:

لعمري لقد بعنا الحياةَ وعيَشها ... برضوان ربٍّ بالخلائق عالم
غداةَ نكرٌ المشْرفيةَ فيهمُ ... بسُولافَ يومَ المأزقِ المتلاحمِ
بكل فتى رخو النجاد كأنه ... شهاب بدا تحت السيوف الصوارم
سقى الله أرضا لا تلوح وأعظما ... بدولاب صوب الهاطلات الرهائم
هم أدركوا فوز الحياة وخلدها ... وما خاف شر بيع يوما كغائم [٢]

يقول الشاعر أيوب بن خولَى، واصفاً أصحاب شوذب الخارجي:

فيا هُدْبُ للهيْجا ، ويا هُدْبُ للنَّدى ... ويا هُدْبُ للخَصم الألدِّ يُحاربُهْ
ويا هُدْبُ كم مِنْ مُلْحمٍ قد أجبتَهُ ... وقد أسْلَمْتهُ للرماح جوالُبهْ
وكانَ أبو شَيْبَانَ خيرَ مقاتلِ ... يُرجَّى ، ويخْشَى بأسَهُ من يحاربه
ففازَ ولاقَى اللهَ بالخير كُلّهِ ... وخَذّمَهُ بالسيف في الله ضاربُهْ
تزَوَّدْ مِنْ دُنْياهُ دِرعاً ومغْفَراً ... وغضَباً حُسَاماً لم تخنْهُ مَضاربُهْ
وأجردَ محبوبكَ السِّراةِ كأنّهُ ... إذا انقضَّ واقِي الرِّيش حُجْنٌ مخالبهْ [٣]

لقد وظف الشاعر في الأبيات السابقة أسلوب النداء المكرر في قوله (يا هدب) حتى يدلل على قوة هدب، وإرادته القوية، وعزيمته الفولاذية، ويبين لنا أن أخاه أبا شيبان كان من خيرة المقاتلين، فلا يقلُّ عنه في العزيمة، ولقد كرس حياته للحرب، فكل ما يملكه من الحسام المهند، والحصان الجلمود، والدرع الواقي وظفهم جميعاً ليوم الرحيل، فكان له ما أراد، بالفوز في الشهادة

ويجعل أحدهم طلب الشهادة في سبيل الله الشرط الأساسي لبلوغ المكانة العالية عند الله

وإن كنت عند ذي العرش حظوةً ... فلا تكُ إلا مُرْهف السيفِ شاريا [٤]

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، التمهيد، ص ٩ .

(٢) السابق، ص ٩٢.

(٣) السابق، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٤) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصور أحدهم الشهيد بالليث الهصور الذي يحمي عرينه ببسالته وقوته، وهذا ما دفع شعراء الخوارج لوصف شهدائهم بتلك الصفة، وفي ذلك يقول الأشل الأزرقي راثياً أحد شهدائهم أبا داود بن جرير الأيادي:

نعـاهُ لنـا كاللّيث يحْمِـــي عرينَـــهُ وكالبدْرِ يغْشى ضوءُهُ كلَّ كوكـــبِ
وأصبرَ من عـــوْدٍ إذا سَـــــــرَى مِن النّجم في داجٍ من اللّيل غيْهَبِ [١]

بالفعل هي صفات في قمة الروعة والعظمة حين يشبهون شهيدهم بالأسد الذي يحمي الحمى، وبالبدر المشع الذي تغشى من شدة ضوئه الكواكب الأخرى، فهذه الصور الجمالية الرائعة اقتبسوها من معالم الكون التي أبدعوا في وصفها.

ومن الصفات المادية للشهيد، ما قالته أم عِمران بن الحارث الراسبي في رثائها لابنها عمران – أحد قادة الخوارج –الذي قتل يوم دولاب:

ولّى صحابتُهُ عَنْ حرِّ ملحمـــــةٍ وشَدَّ عِمرانُ كالضِّرغامـــــــةِ الهَصِرِ [٢]

وأيضاَ ما قالته ليلى بنت طريف في رثاء أخيها الوليد بن طريف الشاري:

ولليثِ كلِّ الليثِ إذْ يَحْمِلُونـــــهُ إلى حُفرةٍ ملحـــُودةٍ وسَقِيـــــــفِ
فتى لا يلوم السيفَ حينَ يَهُـزّهُ إذا ما اختلى من عاتـــقٍ وصَليفِ[٣]

فهي تصور أخاها خالد في شجاعته بالليث حتى وهو محمول على الأكتاف لم تفارقه هذه الصفة.

ومن الصفات المادية التي شبهوا بها أصحابهم **طلاقة اللسان ورجاجة الرأي** ومن ذلك ما قاله عمرو بن الحصين في رثائه لأبي حمزة الشاري:

طلْـــقِ اللسان بكـــلِّ مُحكـــــــمةٍ رأبُ صَـــــــدعِ العظمِ ذي الكســـرِ
قـــــوّال مُحْكمـــــــةٍ وذِي فهَمٍ عـــــفَّ الهوى مُتثَبِّـــتِ الأمْـــرِ [٤]

---

(١) السابق، ص ١٩.
(٢) السابق، ص ٢٨.
(٣) السابق، ص ١٨٤-١٨٥.
(٤) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٢٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول الأشل الأزرقيّ في رثائه أبا داود بن جرير الإيادي:

وأذرَبَ مِنْ حدِّ السِّنـــانِ لِسانُـــهُ وأمضَى مِنَ السّيفِ الحُســـامِ المُشَطَّبِ

كقُسّ إيادٍ أو لَقِيطِ بن معْبـــــدٍ وعُذْرَةَ والمنطيق زيدِ بن جُنـــــدب[١]

فلسانه أمضى من حد السنان في قول الحق، فمع أنهم كانوا أبطال في القتال إلا أنهم كانوا أصحاب قول وشعرٍ وكأنه يريد أن يقول لنا بطلُ في القول، وبطلٌ في العمل كأصحابه.

وقال أبو العيزار في أحد الشهداء يصف حاله:

أدَبـــاءُ إمّـــا جِئْتَهـــمْ خطبـاءُ ضُمَنـــــاءُ كُـــلِّ كتيبـــةٍ جَرّار[٢]

يصفهم بالأدباء في حديثهم إذا ما أقبَلْت عليهم، فهم كالخطباء في قوامة اللسان وسداد الرأي.

أما على صعيد الصفات المعنوية للشهيد، فالتي تجلت في شعرهم صفة الاشتياق للقاء الله، ومنه ما قاله أميرهم قطري بن الفجاءة في رثاء أصحابه الذين قتلوا:

رأتْ فتيةً باعوا الإلـــهَ نُفُوسَهُـمُ بِجَنـــاتِ عَـــدْنٍ عنـــــدهُ ونَعـــيم[٣]

يقول زياد الأعسم راثياً داود بن النعمان المازني:

فإنْ يَكُ داودٌ مضَـــى لسَبيلـــهِ فقد كان دا شوقٍ إلى الله تاليـا

أقيم على الدنيا كأنـــــي لا أرى زوالاً لها وأحسب العيش باقيـا

ألا فاذكـرون داود إذ بـاع نفسه وجاد بها يبغي الجنانَ العواليا [٤]

ومنه ما قاله الجعدي بن أبي صمام الذُّهْلّي في رثاء صالح بن مسرّح:

أيا عينُ فابكِي صالحاً ، إنّ صالحاً شَرَى نفسَهُ للهِ يبغَى بهـــا الخُلـدَا [٥]

فهو قد باع نفسه وما يملك من دنياه بغية للقاء الله وشوقاً لجنان الخلد فهي التجارة الرابحة التي سعوا من أجل كسبها.

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٩.

(٢) السابق، ص ١٤.

(٣) شعر الخوارج، إحسان عباس ، ص١٠٧.

(٤) السابق، ص ١٨٩.

(٥) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ذلك قالت امرأة خارجية من بني شيبان ترثي ذويها:

فتيـــــــــــةٌ باعُــوا نفوسَـــهُمُ لا – وربِّ البيـــــتِ – مـا غُبنوا
فأصـــــــــابَ القومُ مـــا طلبوا مِنّـــــــــةً ،مـــا بعدهـــا مِنَنُ [١]

ويرثي عمرو بن الحصين أبا حمزة وغيره من الشراة:

تـرّاك مـا تهوى النفـــــوس إذا رغَـــبُ النّفوس دعـــتْ إلـى النّذْر
ومُـبرإٍ مـنْ كـــــل سيّئـــــةٍ عَـــــفٌ الهَـوى ذي مِـــرّةٍ شَـــزْرِ [٢]
فكـلاهما قـد كـــــان محتسباً لله ذا تقـــــــوى وذا بـــــــرِّ [٣]

ركز الشاعر في الأبيات السابقة – في وصفه لأبطاله– على صفة التقوى والصلاح، وذلك لكي يدلل لمعارضيهم بأن الأفعال التي تصدر منهم، إنما هي أفعال صائبة، منبعها الصلاح والتقوى، فلا مبرر لمن خالفهم أن يعترض طريقهم، وغيرها من الصفات الأخرى كالحلم والعفة والرياسة والعظمة وهذا ما نلمسه في قول شُمَّر بن عبد الله اليَشْكُري في رثاء أخيه الرّيان أحد فرسان الخوارج:

ولقد فُجِعْتُ بسَادةٍ وفـــوارِسٌ للحربِ ، سعْرٌ من بَنِي شيْبَانِ
إعتاقَهُمْ ريْبُ الـزّمانِ فَعالهمْ وتُرِكْـــتُ فرداً غير ذي إخْوانِ
وفوارِسٍ باعوا الإلـــهَ نُفُوسَهُم مِنْ يَشْكُر عنـد الوغـى فُرسانِ[٤]

وقول مليكة الشيبانية ترثي عمّها بخصال الخير والعفة:

أين الـــذين إذا ذكرتُ فعالهمْ عرفوا بحسنِ عفافـــــةٍ ووقـــارِ؟
أين الذين إذا أتاهـــــم سائلُ بذلوا لـــــــــــــه أموالهم بيسار؟
أين الذين إذا ذكـــــرنا دينهم قالـــــــت عشائرهم : همُ الأخيارُ [٥]

إن التكرار لأداة الاستفهام (أين) في الأبيات السابقة جاءت في معرض السؤال عن عفة الشهداء ووقارهم، وغيرها من الصفاتِ المعنوية التي تجلت فيهم، فمليكة الشيبانية لم تجهل حقيقتهم وإنما جاءت بها في معرض سؤال لا يحتاج إلى جواب – وهذا ما يطلق عليه أسلوب تجاهل العارف.

---

(١) السابق، ص ٢٤٠.
(٢) ذو مرّة شزر: صاحب قوة شديدة.
(٣) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٤٢.
(٤) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١٩٩.
(٥)السابق، ص٢٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني : البطل السياسي:

الخوارج أصحاب فكر ومبدأ، فلم يكتفوا بتطبيق القيم الخلقية على أنفسهم، بل رأوا أن من واجبهم دفع الفساد المستشري بينهم فواجبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم تقتصر بطولتهم على الثبات في ساحات القتال ومواجهة الأعداء فحسب، بل تمثلت بطولتهم السياسية في الثورة على العيوب والمفاسد الاجتماعية والسياسية، فثاروا على الخلفاء والحكام والوزراء الذين عملوا على احتكار الخلافة لأنفسهم، فهم يرون أن الخلافة تحق لأي فرد في الدولة ما دامت توفرت الشروط التي تؤهله لذلك، فلا داعي لأن تكون الخلافة في الموالي وأصحاب الحكم، فمثل ما عبّر الخوارج عن اعتراضهم على الحزب الحاكم بالثورات على الدولة الأموية ، كذلك عبر شعراء الخوارج رفضهم لسياسة الدولة بقولهم الشعر، فكان نقدهم السياسي والاجتماعي موجهًا إلى الولاة والأمراء والحكام [١]، ومن أهم الأسس التي قامت عليها ثورتهم **الثورة على الولاة وجور السلطان.**

منه قول أبي بلال مرداس ناقداً للولاة:

وقَـدْ أظهر الجـورَ الـولاةُ وأجْمعـوا ... على ظُلْمِ أهْلِ الحقِّ بالغدْرِ والكُفْرِ

وفيـــــك إلهـــي إن أردت مـغيرٌ ... لُكـــلِّ الذي يأتي إلينا بنو صخـرِ

فقدْ ضَيَّقوا الـــدُّنيا علينا بِرُحْبِـــــها ... وقَدْ تَركونـــــا لا نفرُّ من الدهـرِ [٢]

يرى الخوارج أنهم أهل الحق وأولياء الله، وخصومهم هم أهل الجور، والغدر، والكفر، وذوي الإلحاد ، فكان خطاب الخوارج الديني يقوم على إضفاء صفة الدين والورع على فكرهم السياسي، ووصف خصومهم بالإلحاد والكفر، ولا يمكن لأي مظهر فكري أن يصمد إذا لم يجد له مرتكزاً معنوياً، لذلك لجأ الخوارج إلى تلك الصفات لدعواهم.

يقول أحد الخوارج جامعًا بين عمرو بن العاص والإمام علي رضي الله عنه ومعاوية:

أبرأ إلى الله من عمروٍ وشيعتـــــهِ ... ومن عليٍّ ومن أصحابِ صفيـــــنِ

ومن معاوية العاوي وشيعتـــــــهِ ... لا بارك اللهُ في القوم الملاعيـــــنِ[٣]

---

(١) انظر: شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٢٥-٢٦، وانظر: البيان والتبين، للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون، مج٢، ط٧، (مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م) ص: ٦٣ .

(٢) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص١٩٣.

(٣) السابق، ص ٢٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث تمثلت الجرأة لديه على النقد السياسي في وصفه لعلي وشيعته وكذلك عمرو بأنهم (ملاعين) فالبراءة قد شملتهم جميعاً.

ويقول عمران بن حطان معترضًا على سياسة الدولة ، وثائرًا على ظلم الولاة ساخطاً على الوضع السائد في بلاده:

حتَّى متى لا نرى عدلاً نعيشُ به ... ولا نرى لدعاةِ الحقِّ أعوانـــا
مستمسكين بحقٍّ قائـمين بـــه ... إذا تلون أهل الجورِ ألوانـــا
يا للرجالِ لـــــداءٍ لا دواء لـــه ... وقائدٍ ذي عمى يقتادُ عميانا[1]

ومن البطولة السياسية التي تمثلت في نقد الولاة والثورة عليهم قول عمران بن حطان مخاطباً الحجاج:

أسدٌ عليَّ وفي الحُروبِ نعامـــةٌ ... ربْداءُ تجْفُلُ من صفير الصافرِ
هلّا برزتَ إلى غزالةَ في الوغى؟ ... بل كانَ قلْبُك في جناحَيْ طائـرِ
صَدَعْـــتْ غزالـــةٌ قلبَهُ بِفوارِسٍ ... تركـــــتَ مَنابِرهُ كأمسِ الدّابـِرِ
ألقِ السلاحَ وخُذْ وشاحَيْ مُعْصِرٍ ... واعمَدْ لمنزلـــةِ الجَبـــانِ الكافر [2]

ويقول عمرو بن ذكية الرُّبعي موجهًا قوله إلى عمر بن عبد العزيز، طالباً منه أن يتبع سبيل الرشاد والدفاع عن الحق، منتقداً سياسة الظلم، مبيناً سبيلهم في مواجهته، فهم يخوضون الصعاب من أجل نشر العدل والمساواة:

قُلْ للمـولَّى على الإسلام مؤتنفاً ... وَقَـدْ يـــرى أنَّـه رَثُّ القـــوى واهِ
أزْرَى به معْشرٌ غذَّوْهُ مأكلَـــــةً ... بنخوةِ العِزِّ والإنزافِ والبـــــاهِ
أنّـــا شَرَيْنَا بدينِ الله أنفُسَنـــا ... نَبْغِي بـــذَاكَ إليـــهِ أعظم الجـــاهِ
يَنْهَى الوُلاةَ بحدِّ السَّيْفِ عن سَرَفٍ ... كفـــــى بذاك لهم من زاجرٍ نـــاهِ
فإنْ قصدْتَ سبيلَ الحقِّ يا عُمَر ... آخـــاك في الله أمـــثالي وأشباهي
وإنْ لَحِقْتَ بقومٍ ، كنت واحـــدَهُمْ ... في جَـــورِ سيرتِهِمْ ، فالحكمُ للهِ [3]

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١٤٧.
(٢)السابق، ص ١٦٦، وانظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص١٩٣.
(٣) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهم يشترطون على الخليفة عمر بن عبد العزيز إن قصد طريق الحق فهم معه، فهم يخوضون القتال من أجل ذلك، وإن قصد طريق الجور والظلم فحكم الله هو الفيصل بينهم، ويعتقد الباحث أن هذه الشجاعة والبطولة التي تمثلت في الوقوف أمام السلطان أو الحاكم والقول له (لا) استمدوها من مبادئ عقيدتهم الراسخة في نفوسهم.

ويقول عبد الله بن وهب الراسبى مرتجزاً:

أنـــا ابنُ وهْبِ الراسبي الشَّاري
أضْرِبُ في القومِ لأخـــذِ الثَّار
حتّـــى تزولَ دولـــةُ الأشْرارِ
ويَرْجِـــعَ الحقُّ إلى الأخْيـار [1]

يبين لنا مدى شجاعته ومدافعته عن الحق، فحكامهم ظلّام لا يحكمون بالحق، ويصف لنا دولتهم بدولة الأشرار.

وقد تجلت عندهم معالم البطولة السياسية بتصديهم للحكام، وجهرهم بما يعتقدون به من مبادئ، لا يخشون في ذلك لومة لائم، وهذا ما نلمسه في قول عبد الله بن وهب الراسبي لرسول علي:

نُقَاتِلُكُمْ كـيْ تَلـْزَموا الحـــقَّ وحْدَهُ ونَضْرِبكُمْ حتّـــى يكونَ لنـــا الحُكْمُ
فإنْ تبتـغوا حُكْـمَ الإلـهِ نكُنْ لـكُمْ إذا ما اصطلحْنا الحقُّ والأَمنُ والسِّلْمُ
وإلاّ فـــإنّ المَـشْـرِفيَّـــةَ مِحـــذِمُ بأيـــدي رِجَـــالٍ فيهم الـــدِّيْنُ والعِلْمُ [2]

فمن اتبع الحق آزروه ونصروه ، ومن جار وابتعد عن المنهج القويم فالحكم لله وهو حكم واجب الطاعة ، والذي ينحرف عن الجادة فلا بد من تقويمه بحد السيف .

(١) شعر الخوارج ، إحسان عباس، ص ٣١-٣٢ .
(٢)ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول فروة بن نوفل الأشجعي واصفًا حادثة التحكيم، وعدم قبوله لها:

نُقَاتِلُ من يُقَاتِلُنـــــا ونرْضَـى ... بحـكمِ اللَّهِ لا حُـكْم الرجـــالِ
وفَارقْنا أبَا حَسَنٍ عليًّـــــاً ... فما من رجعةٍ أخـرى الليالـــي
فَحَكَّـمَ في كتـابِ الله عُمَـراً ... وذاكَ الأشعري أخَا الضَّـــلالِ [١]

ومن ذلك أيضًا قول العيزار بن الأخفش الطائي في اعتراضه على الدولة:

ينادون لا لا حكـــم إلا لربْنـــا ... حَنَانَيْكَ فاغفر حَوْبَنا وللنادِيَـــا
هم فارقـوا في الله من جار حكْـمه ... وكلٌّ عن الرحمـــن أصبح راضِيـا
فلا وإلـهِ الناس مـا هـاب مَعْشَـرٌ ... على النهر في الله الحتوفَ القواضِيا[٢]

شعارهم (لا حكم إلا لله)، وهو يمثل أول نقد سياسي قوى على من لا يأبهون بحكم الله، ومن ذلك نقد المتخادلين عن القتال والقاعدين عنه في صفوف الخوارج، وتمثل ذلك بقول شاعرهم المقدام قطري بن الفجاءة:

أبا خالد يا انفرْ فلسـت بخالـد ... وما جعَلَ الرحمنُ عُذراً لقاعدِ
أتزعمُ أنَّ الخوارجيَّ على الهُدى ... وأنتَ مقيمٌ بينَ لِصٍ وجاحدِ [٣]

وقد سلكوا في نقدهم للحكام والولاة منهجًا أخر تمثل في **التضرع إلى الله والشكوى له في تعيين من ليسوا بأهل الحكم**، وهذا تمثل في المستضعفين الذين ليس بأيديهم شيء لتغيير الواقع إلا الشكوى والتضرع إلى الله عسى أن يغير حالهم وفي ذلك يقول حبيب بن خدرة الهلالي:

يا ربُّ إنّهُمُ عَصَـوْك وحكّمُـوا ... في الديـن كلَّ مُلعنَّنٍ جبَّـــارِ
يدعو إلى سُبُلِ الضلالةِ والرّدى ... والحقُّ أبلـجُ مثل ضَـوْءِ نهـارِ [٤]

بدأ الشاعر قوله بالنداء والمناجاة إلى الله سبحانه ؛ ليغير الحكام الفسدة الذين يبتعدون عن الحق، ويدعون إلى الظلم والضلال، وأن هذا سبيل من تكون النار مثواه، وكأنه يريد أن

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٤٢.
(٢) السابق، ص ٣٢.
(٣) السابق، ص ١٠٥.
(٤) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول: لاحول ولا قوة بأيدينا، سوى التضرع إلى الله، عسى أن يغير حالنا وينعم علينا بولاة يخافون الله في حكمهم.

ومن صور البطل السياسي التي تمثلت في أشعارهم **مهاجمتهم للعيوب الاجتماعية**، فكانت ثورتهم شديدة على أصحاب النفوس الهشّة، الذين يستغلون الفرصة، ليحققوا مطامعهم وغاياتهم بعيداً عن المبدأ الذي دعوا له، فهؤلاء أصحاب النفوس الضعيفة لم يلقوا من الخوارج إلا التحقير والتصغير من شأنهم، بل ومهاجمتهم فهذا الطرماح بن حكيم يطلق العنان للسانه فيهاجم الأغنياء الذين شغلهم المال عن الجهاد وعن عبادة الله حيث يقول:

عجباً ما عَجَبْتُ للجامع المال ... يُباهي به ويَرتغِدُهْ
ويُضِيع الّذي يُصيّره الله ... إليْه فليْسَ يعْتقِدُهْ
يوم لا ينْفَعُ المخول ذا الثرْوة ... خلائُه ولا ولَدُه
ثُمَّ يؤتَى بِهِ وخَصْماهُ وسْطَ الجن ... نِّ والإنسِ رجْلُه ويَدَهُ [1]

وهو هنا يهاجم الأغنياء ، ويعجب ممن يفضلون جمع المال ويتباهون به، ثم يبين لهم أن ما يجمعونه هالك إلى زوال، يوم تشهد أيديهم وأرجلهم عليهم بما كانوا يكسبون.

ومنه ما قاله عمران بن حطان للمتسابقين على جمع الثروة والمال ناصحاً لهم :

حتّى متى تُسْقى النُفُوسُ بكأسِهَ ... ريبَ المنُونِ وأنْتَ لاهٍ تلْعَبُ
فتزودنَّ ليوْم فقْركَ دائباً ... واجمع لنفْسِك لا لغيركَ يجمعُ
أحْلامُ نوْمٍ أمْ كظلِ زائلِ ... إنَّ اللبيبَ بمِثْلِها لا يُخْدَعُ [2]

يتساءل علامَ التسابق والجري؟ الحياة حلم سيمرُّ بسرعة فنستيقظ بعدها وعندها لا ينفع الندم، ناسين أو متناسين بأن الموت قاب قوسين أو أدنى، وأن لا شيء ينفع الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من عمل صالحاً ليقي نفسه من عذاب النار، وكما نعلم فإن جمع المال وتحصيله كان صبغة ذلك العصر فكان المال في أيدي المتنفذين وسيلة لدعم مراكزهم، وفي ذلك يقول شوقي ضيف: " ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية ، واحتل جوانب غير قليلة منها، فقد كان أساسياً في حياة الناس ، فطبيعي أن يكون أساسياً في فنهم وشعرهم " [3].

---

(١) السابق، ص ٨٤.

(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص١٥٥.

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ط٤، (دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٥٩م) ص ١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد سمع عمران بن حطان بعض الجند يقولون: وما لنا لا نقاتل الخوارج؟ أليست أعطياتنا دارة؟ فقال عمران يتهكم بهذا الحال:

فلوْ بعثْتَ بعْضَ اليَهُـــوْدِ علَيْهِم ... تؤُمُّـــــهُم أوْ بعْضُ منْ قدْ تنصَّرا

لقَـــالـــوا رَضَيْنا إن أقمتَ عطاءنا ... وَأَجْرَيْتَ ذاكَ الفَرْضَ مِنْ بُرِّ كَسْكَرا [1]

فالجند يسعون إلى الثروة، وهذه الرغبة المتزايدة على جمع المال أثارت الاشمئزاز في نفوس شعراء الخوارج، فالصورة عند الخوارج هي صورة الجندي المجاهد العابد لله الذي لا يأبه بجمع المال والتكالب عليه، وكل ما يتمناه هو نيل الشهادة في سبيل الله لا أن يجمع مالاً زائلاً.

ومن معاني النقد عندهم ومهاجمتهم للعيوب الاجتماعية: **النصح والإرشاد على هيئة الاستغراب والدهشة.**

ومنه قول سُميرة بن الجعد :

عَجِبْتُ لِحـالاتِ الأنـــامِ وللدَّهْـــرِ ... وَلِلحَيْنِ يَأْتِي المرءُ مِنْ حيثُ لا يَدْرِي

وللنَّـــاسِ يـــأْتُونَ الضلالَةَ بعدمـا ... أَتَـــاهُمْ مِنَ الرَّحْمـنِ نورٌ مع البـــدْرِ

وللّـــهِ لا يخْفى عليـــهِ صَنِيْعنـــاً ... حفيظٌ عليْنَا في المقامِ وفي السَّعْـــرِ

عَلاَ فوْقَ عرشٍ فوقَ سبـعِ ودونَـــهُ ... سماءٌ يرى الأرواح منْ دُونِها تجْـري [2]

يظهر سميرة الاستغراب والتعجب ممن يأتون الضلال في هذه الحياة الفانية، ويبين حرصهم الشديد وتمسكهم بالدنيا، متناسين بأن الله مطلعٌ على أعمالهم، فيوجه لهم النصيحة والإرشاد.

يلاحظ الباحث أن صفة النقد عند الخوارج ومهاجمتهم للعيوب والمفاسد في الدولة والحكم لم تكن بالصورة الفردية، بل أخذت البعد الجماعي في النقد وتمثل ذلك في معاذ بن جوين الذي يصفهم بأنهم مخطئون، ويدرى بأنهم باعوا أنفسهم في سبيل الله:

ألا أيُّها الشَّارُونُ قدْ حانَ لامـرئٍ ... شرى نفْسَـــهُ للّـــهِ أن يتَرحْـــلاَ

أقمْتُمْ بِدارِ الخـاطِئِيْنَ جَهـــالةً ... وَكُلِّ امرئ منكُمْ يُصَـــادُ لِيُقْتَـــلا

فشُدُّوا على القومِ العُداةِ فإنهـــا ... أقامتُكُمْ للذَّبْحِ ، رأيـــاً مُضَلّـــلا [3]

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١٥٧ .

(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٧٢ .

(٣) السابق، ص ١٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيبين لهم أنهم معذورون لإقامتهم بدار الخاطئين لجهلهم بذلك، حيث وقف الخوارج بقوة وصلابة في وجه هذه المفاسد والمساوئ التي حلت بالحكم والولاة، والمجتمع التي أصبحت كالسوسة التي تنخر جسمه، فوقفوا بوجهها بكل حزم انطلاقًامن إيمانهم العميق بدينهم وعقيدتهم التي حاربوا من أجلها، ومن خلال نظرتهم إلى مخالفيهم بأنهم خالفوا المنهج والطريق وابتعدوا عن جادة الصواب، وهذا ما دفعهم إلى محاربتهم باللسان والسنان، حتى يعيدوهم إلى دين الله، وينعم المجتمع بالرفاهية والمساواة على منهج الله سبحانه فكانت مغالاتهم شديدة في ذلك مما جعلهم يستحلون دماء المسلمين وديارهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: البطل المجاهد:

للجهاد في حياة الخوارج مكانة عظيمة منبثقة من القرآن الكريم الذي رفع من شأن الجهاد والمجاهدين في سبيل الله، حيث أعدَّ لهم الأجر العظيم والذي تمثل في قوله تعالى:﴿ وَالَّذَيْنَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللّه ، والَّذِيْنَ آوَوْ وَنَصَرُوا أُلَئِكَ هُمْ المؤمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْم ﴾[١] وقوله تعالى:﴿ إنَّ اللَّه اشْتَرى مِنَ المُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْن وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّاً فِي التوْراةِ والإنْجِيْلِ والقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بَعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذي بَايَعْتُمْ بِهِ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمِ ﴾[٢].

ولقد أحب الخوارج الجهاد نظرًا لما له من مكانة عالية عند الله، بل وأعلى مراتب العبادة التي يؤديها الإنسان، وإن إيمان البطل الخارجي بأهمية الجهاد وفاعليته في حياتهم ومنزلة المجاهدين في الحياة الدنيا والآخرة دفعه إلى أن يأخذ عهداً على نفسه ألا تسقط راية الجهاد حتى ينتصر هذا الدين و تعود الحقوق إلى أصحابها، مستمسكين بعقيدتهم فحاربوا من أجلها كل من يخالفهم، وأقدموا على الحروب، واحتقروا الحياة الدنيا واستهانوا بها، وأصبح عندهم الموت أمنية عزيزة يتمناها كل خارجي ويسعى لنيلها.

أمَّا عن الشعر فاستطاع أن يؤدي دوره في هذه المعادلة، فاستنهض همم الشعراء وأثار مشاعر الحماس وجدد حب الجهاد في نفوسهم، وصور بسالتهم وعقيدتهم القوية بشعرٍ معبر فزجُّوا بأنفسهم في الحروب وأصبحوا يتسابقون إلى الموت[٣].

فمن أجل ذلك نراهم في أشعارهم يطلبون الاستشهاد ويستعذبونه مشمرين له، حتى يلحقوا بمن سبقهم إلى الفردوس، مما جعلهم لا يبكون قتلاهم ، بل يمجدونهم، كما جعلهم يزهدون في الدنيا ونعيمها الفاني، فالخوارج دائماً في حماسة وظمأ شديد إلى القتال، بل ويتهافتون عليه في استماتة ليس بعدها استماتة [٤].

---

(١) سورة الأنفال، آية ٧٤.

(٢)سورة التوبة، آية ١١١.

(٣)انظر: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، مصطفى الشكعة، ص ٧٥.

(٤)انظر: الشعر وطوابعه الشعرية على مر العصور، شوقي ضيف، ص٣٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا قطري بن الفجاءة يقول لأحد أصحابه سميرة بن الجعد:

نُجاهـــــدُ فُرْسَانَ المُهلَّبِ ، كلّنا صبورٌ على وقْعِ السّيُـوفِ البَواتِرِ
وسِرْ نحونـــا تلْقَ الجِهادَ غنيمةً تُفِدْكَ ابتياعـــاً رابحـــاً غير خاسرِ
هي الغايةُ القُصْوى الرّغيبُ ثوابها إذا نالَ في الدّنيا الغِنَى كلُّ خاسرِ[1]

يوضح له غاية الجهاد وفائدته وأنه غاية قصوى يستحق أن يسعى الإنسان لنيلها.

ومنه قول أبي بلال مرداس بن أدية حين أزمع على الخروج:

فلسنـــا إذا جمّعتْ جُمُوْعُ عدوِّنـــا وجـــاؤوا إلينـــا مثلَ طاميةِ البَحْرِ
نَكفُّ إذا جاشتْ إلينـــا بُحُورهـــم ولا بمهَابيـــبَ نَحـــيْدُ عن البُتـــرِ
ولكنّنا نلْقـــى القَنـــا بنحُورنـــا وبالهامِ نلْقى كـــلَّ أبيضَ ذي أثرِ
إذا جشأتْ نفسُ الجَبـانِ وهلّلـــتْ صَبرنـا ولو كـان القيام على الجَمْرِ [2]

فهو يبين مدى شجاعتهم وبسالتهم في مواجهة عدوهم بحيث لا يقفون مكتوفي الأيدي تجاهه بل يصدونه بكل قوة وشجاعة، فهم لا يحيدون عن القتال ولا يهربون من ساحات الوغى بل إنهم يشدون الخطى نحوه.

ومنه قول عمران بن حطان أحد زعماء الخوارج المشهورين، يبين مدى قوته وصلابته في القتال:

إذا قَصُـــرتْ أسْيَافُنـــا كان وَصْلُهَا خطانـــا إلى أعدائِنـــا فنُضَـــارِبُ
ولم يُغْنِ عنه الموْتُ ياحَمْزُ إذا أتى رجـــــالٌ بأيْديهِمْ سُيوفٌ قَواضِـــبُ [3]

فهذه قمة الشجاعة والإقدام تراهم يجاهدون بسيوفهم ولكن إذا تكسرت السيوف وتحطمت من شدة القتال، فلا استسلام أبداً بل المواجهة والإقدام لتحقيق النصر أو الشهادة.

ومنه قول قطري بن الفجاءة يبث الشجاعة في نفسه:

أقولُ لهـا وقـــد جاشَـتْ حيـــاءً مِنَ الأبطـــالِ ويْحَـــكِ لا تُرَاعـــي[4]

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٦٧.

(٢)السابق، ص١٩٣.

(٣)السابق، ص ١٠٦.

(٤) ورد هذا البيت في ديوان إحسان عباس(أقول لها وقدْ طارت شَعاعَاً)، ص ١٠٨، وكلاهما يؤديان المعني نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإنّــك لو طَلَبْـتِ حيــاةَ يــومٍ ... عـلى الأجلِ الــذي لك لن تُطاعِــي
فصَبراً في مجالِ الموتِ صبــراً ... فما نيــــلُ الخُلُودِ بمُسْتطـاعِ
وَمــا طُـولُ الحَياةِ بثـوبِ مجــدٍ ... فيُطوَى عن أخي الخَنَــعِ اليَراعِ
سبيلُ الموتِ مَنهَـجُ كـلَّ حــيٍّ ... وداعيــــهِ لأهــــلِ الأرضِ داعي
ومن لم يَعْتَبِــطْ يسْــأَمْ ويهــرَمْ ... ويُفْــض بهِ القضـاءُ إلــى انقطــاعِ
ومــا للمرءِ خيـرٌ في حيــــاةٍ ... إذا مــا عُــدَّ مِنْ سَقـطِ المــتَاعِ [1]

يخاطب قطري بن الفجاءة نفسه بأسلوب عاطفي حماسي جياش يجمع به بين حماسة العقيدة ورقة النفس، فيخاطب نفسه مطمئناً إياها بأن الموت حق على كل نفس، فهو يستهين بالحياة، وما أشبه الحياة بثوب يطوى في أي لحظة، فحري به وبأمثاله من الخوارج أن يقاتلوا حتي يستشهدوا في سبيل عقيدتهم، وقد صحَّ اعتقادهم بأنه لا مفر من الموت فهو آت لا محال ولكن ما الطريق الذي يسلكونه؟ وما العدة التي يريدون مواجهة العدو بها ؟ إنهم لا يريدون من هذه الحياة شيئًا سوى عدة الحرب و الجهاد كالرمح والسيف والدرع وغيرها، فيلاقون ربهم وهم على ذلك، وهذا الحوار الذي أتى به قطري لم يأت به ليدلل على حالة نفسية أصابته، ولكنه جاء بها في موطن الافتخار، فيخبرنا بانتصاره عليهم في أسلوب شيق وجميل، فعلى الرغم من شجاعة أعدائه وقوتهم، إلا أن شجاعته أعظم وبطولته أكبر منهم بكثير.

ومنه قوله واصفاً جهاده وقوته في القتال:

لا يَركَنَنْ أحــدٌ إلى الإحجــــامِ ... يومَ الوغـــى مُتَخوِّفـــــاً لِحمام
ولقــد أُراني للرّمــــــاحِ دَرِيئـةً ... مِنْ عنْ يَميـــــني مرّةً وأمامِــي
حتّى خَضـبْتُ بمـا تحدّر مِن دمِــي ... أكنـــافَ سَرْجي أو عِنــانَ لِجَامِي
ثُمَّ انصرفْتُ وقد أصَـبْتُ ولـم أصَبْ ... جَـــذَعَ البصـــيرةِ قارحَ الإقـــدامِ
مُتَعَرِّضـــاً للموتِ أضـربُ مُعْلِمـاً ... بُهَمَ الحُــروبِ ، مُشهّرَ الأعـــلامِ
أدعو الكُمـــاةَ إلى النِّـــزَالِ ولا أرى ... نَحْرَ الكريمِ على القَنـــا بحرامِ [2]

(١)ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١٦٩.
(٢)السابق، ص ١٧١- ١٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الأبيات الجميلة بدأت بمقدمة قوية (لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام) مقدمة توحي بالرفعة والعظمة، وتمثل روح الفارس المقدام الذي لا يهاب الموت ولو كان تحت أسنة الرماح، فهو مجاهد من الطراز الأول، حيث نراه يدعو الكريم مشاركة القتال، وإن نحر الكريم ليس محرمًا، فهذا النفس الحماسي نجده عند أكثر شعرائهم.

وكانت زوجته أم حكيم لا تقل عنه شجاعة ولا بسالة، وكانت لا تزال تحارب معه وتصول وتجول مرتجزة:

أحمل رأساً قد سئِمتُ حملْهُ
وقـــد مللْتُ دَهْنَهُ وغسْلَهْ
أَلا فـــتى يحْمِلُ عنّي ثِقْلَهْ (١)

فهي ترى الحياة أمامها مملة مللاً فظيعًا، وتتمنى لو استشهدت، وتشعر كأن رأسها الذي تريد أن يزال، وهي تريد الخلاص منه، حتى تحظى بالنزول في فراديس الجنان، فهذه البطولة قد تجلت في أم حكيم وقدرتها على القتال في ميدان الجهاد بجوار زوجها قطري، وقد وصفت بالشجاعة والجمال والتقوى فابتعدت عمَّا يزين النساء من زينة ورياش ، واتخذت من مبدئها زينة لها ، وقامت على مواجهة الموت صابرة محتسبة، فهذه البطولة الخارقة للخوارج جعلت الناس يتعلقون بأشعارهم.

وتتردد هذه المعاني والصور الجهادية في كثير من أشعارهم، ومن ذلك قول عمرو القنا:

لا خيْر في الدُنْيا لِمنْ لم يكنْ لـهُ ... من اللهِ في دارِ القــرارِ نصيبُ
فَحَسْبِي مِنَ الدّنيا دِلاصٌ حَصِيْنةٌ ... جُرَدُ خَوّارُ العِنـــــانِ نَجِيــبُ
أُجاهِــدُ أعْدائي إذا ما تتابعوا ... وأُدْعَــى بإسْمِي للهُـدى فأُجِيبُ (٢)

شجاعتهم انطلقت من قناعتهم بالمصير المحتوم الذي ينتظرهم، مع نفوس مطمئنة لهذا المصير، فيرون بأنه لا خير في هذه الدنيا لمن لم يملك عدة الجهاد فهي التي دومًا يسعون للحفاظ عليها، وبذلك فهم يخوضون غمرات الموت متخذينه السبيل الأنسب لشفاء نفوسهم من عذاب الدنيا إلى نعيم الآخرة ورغد العيش فيها.

---

(١) السابق، ص ٢٧.

(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال رجل من الخوارج:

إذا مـــا التقينا كنتُ أول فارس يجود بنفس أثقلتــها ذنوبهـــا [١]

ومنه قول أبو بلال مرداس بن أدية:

ما إن نُبالي إذا أرواحُنا خَرجتْ مــاذا فَعَلْتُمْ بأجسادٍ وأوصــالِ

نَرجُو الجِنانَ إذا صارتْ جماجِمُنا تحتَ العَجاجِ كمثلِ الحنظلِ البالي

إنّي امرؤٌ باعِثي ربّي لموعــدِهِ إذا القُلوبُ هَوتْ مِنْ خوفِ أهوال

وأدَّتِ الأرضُ منّي مثلَ ما أخَذتْ وقُرِّبَــتْ لحسابِ القِسْطِ إعمالي [٢]

إن مشهد استشهاد البطل وتناثر أشلائه لم يكن مشهدًا مأساويًا مفجعًا؛ لأن ثقافة الجهاد والاستشهاد راسخة في وجدان أبطال الخوارج، والبطل الخارجي عندما يقدم على التضحية بنفسه يعرف المصير الذي ينتظره من أجل من يعشقها، وتحمل الابتلاءات والمصائب والعذابات طمعًا في دخولها إنها الجنة.

فأبطال الخوارج لا يعرفون للخوف بابًا، فهم حقًا فرسان بكل ما تعنيه الكلمة، لا يعرفون التقهقر ولا الانهزام، بل إنهم يقبلون على الجهاد بكل حماسة، وفي ذلك يقول حارثة بن صخر القيني:

تمنّانـــــا ليلقـانـــــا زيـــــادٌ سفاهـــــاً والمُنـــى طُرُقُ الضـــلال

فقلنـــا : يـا زيـــاد دع الهُوَيْنـا وشمِّر لا أبـــا لـــك للقتـــــالِ

فإنّـــا لا نَفِرُّ مـــن المنايـــا ولا ننحـــاشُ من ضـــرب النصـــال

ولكنّـــا نُقِيـــمُ لـــكُم طِعانـــاً وضَرْبـــاً يختـــلي هـــامَ الرجـــال [٣]

وبالعودة إلى قطري بن الفجاءة ومواقفه البطولية المشرفة في ميادين الجهاد نراه في يوم دولاب يقول مفتخراً:

ولو شَهدتْني يومَ دُولابَ أبصرتْ طِعانَ فتىً في الحربِ غيرَ ذمِيْمِ

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢١٩.

(٢)السابق، ص ١٩٤.

(٣) السابق، ص ٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلو شَهِدتْنا يوم ذاك وخيْلُنا تُبِيْحُ مِنَ الكُفَّارِ كلَّ حَرِيمِ
رأتْ فتْيةُ باعُوا الإلهَ نفُوسَهُم بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عندهُ ونعيمُ [١]

يصور قطري شجاعته لزوجته أم حكيم وهو في ساحات القتال يحارب كالأسد الهصور، ولقد بدأ الأبيات ب (لو) الذي تفيد التمني، فهو يتمنى أن تكون زوجته شاهدته وهو يفتك بالأعداء ويبطش بهم ليبين افتخاره أمام زوجته– ويوحي لها أنه مجاهد صنديد– فيقول لها لو أنك شاهدْتِ كيف كانت خيلنا تدوسهم في المعركة وكيف كنا نحامي بحد السيف عن ديارنا لأبصرتِ الرجال الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله طلباً للشهادة.

وقال:

ألا أيُّها الباغِي البرازَ تقَرَّبَنَّ أُساقِكَ بِالموتِ الزُعافِ المُقَشَّبَا
فما في تَسَاقي الموتِ في الحرب سُبَّةٌ عَلى شارِبيْه ، فاسقني منه واشربا[٢]

يوضح قطري أنه فارس شجاع دائمًا يحب مبارزة الأبطال لا يبالي الصعاب ولا يهاب الموت حتى يسقي مُبَارزَهُ كأسَ المنون وتكون النتيجة حينئذٍ حتمية الموت إما له أو لخصمه.

يقول يزيد بن حبناء عن جهوزيته التامة للجهاد من العدة والعتاد:

أَبِيْتُ وسرْبالي دِلاصٌ حصيْنةٌ ومِغفرُها والسَّيْفُ فَوْق الحَيَازِمِ [٣]

وقال كعب بن عميرة السُّمني وقد اشترى فرسًا وسلاحًا:

هذا عتادي في الحروب وإنّني لآملُ أن ألقى المنيّة صابرا
وباللهِ حَوْلي واحتيالي وقوّتي إذا لَقَحتْ حربٌ تُشِيبُ الحَوادِرا[٤]

فكعب يصف جهوزيته المطلقة للحرب وامتلاكه عدته من الخيل والسلاح، ويبين أنه مجاهد فارس خاض العديد من الحروب، ويأمل من الله أن يكون ذلك الطريق ممرًا موصلاً إلى الجنة.

---

(١) السابق، ص١٧٥.
(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ١٦١.
(٣) شعر الخوارج، إحسان عباس ، ص٨٥.
(٤) السابق، ص٦١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن شدة تمسكهم وقوة إيمانهم لا يحسبون للموت حساباً، وفي ذلك يقول عبيدة بن هلال اليشكري:

هَلِ الفضلُ إلا أن مالي أعِزُّهُ ... لدينٍ ، إذا ما الحقُّ آبَ ، ذليلُ
وأنّى إذا ما الموتُ كان بمُرْتَأي ... مِنَ العينِ- مِقْدَامٌ عَليهِ صَؤولُ
وأنّى إذا ما الحربُ أسلَمَها ابنُها ... لِدِرَّتِها عندَ اللّقاءِ ، وصولُ
أجودُ بنفسي عند ذاك وبعضُهُم ... بأرذلَ مِن نَفْسي ، هناك بَخيلُ [1]

يُظهر الشاعر هنا الاعتزاز بنفسه فهو يقدم كل ما يملك، ولا يبخل أن يجاهد ويقدم نفسه في سبيل الله، كما أنه مقدام بطل يقذف نفسه في ميادين القتال بلا تراجع أو خوف، حقًا إنهم صناديد القتال لا يخافونه ولا يعرفون للذعر باباً فكل ما يتمنوه هو الغاية التي سيجنونها من ورائه ألا وهي فراديس الجنان، فتمثلت صورة البطل المجاهد في شعرهم بأروع صورها وأجملها.

كذلك أخذت صورة البطل المجاهد لوناً آخر تمثل في نقد القاعدين عن الجهاد ومعاتبتهم، فلم يقتصر الأمر على من شاركوا في الحروب والمعارك بل نجد الخوارج وقفوا بالمرصاد لمن تخلف عن المشاركة في القتال وأصبحوا يعيبون عليه ذلك الأمر ويزجرونه، وهذا دليل قاطع على شجاعتهم وأنهم لا يرضوا الدنية في دينهم، بل الكل منهم مجاهد يقدم على الموت والشهادة بكل جرأة وحماسة.

ومن صور الهجاء الذي جاء في معرض النقد عند الخروج للقتال ما قاله قطري بن الفجاءة إلى سميرة بن الجعد يحضه على الجهاد وينفره من القعود حيث قال:

لشتَّان ما بين ابن جعدٍ وبَيْننا ... إذا نحنُ رُحنا في الحديدِ المُظاهِرِ
نجُاهِد فرسانَ المُهَلَّبِ كُلُّنا ... صبورٌ على وقعِ السيوفِ البَواتِرِ
وراحَ يُجرُّ الخَزَّ عِنْدَ أَمِيرِهِ ... أمير بتقوى ربِّهِ غير آمرِ
أبا الجعْد أيْنَ العِلْمُ والحِلْمُ والنهي ... ومِيْراثُ آباءٍ كِرامَ الناصِرِ
فراجِعْ أبا جعْدٍ ولا تَكُ مفضياً ... على ظُلْمَةٍ أَعْشَتْ جميعَ النَّواظِرِ
وسِر نحْونا تلقَ الجِهَادَ غَنِيْمةً ... تَقُدْكَ ابتياعاً رابِحاً غير خاسِرِ
هي الغاية القصوى الرغيبُ ثوابُها ... إذا نال في الدُّنْيا الغِنى كُلُّ تاجِرِ [2]

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٩٦ .
(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلمّا سمع سميرة بن الجعد هذه الأبيات بكى، وامتطى فرسه، واستلَّ سيفه، ولحق بقطري إلى ساحات الجهاد، ولكن الحجاج طلبه ليقتله، فلم يقدر، وخَلَّف للحجاج شعرًا يخبره بأمره فقال:

فَمَنْ مُبْــلغُ الحجّاجِ أنَّ سميرةً ... قلى كلَّ دينِ غيـــرِ دينِ الخوارجِ
رأى الناسِ إلا من رأى مثـل رأيه ... ملاعـــينَ تزّاكـينَ قصـدَ المناهج
فأيُّ امرئٍ أيُّ يا بنَ يوســـفٍ ... ظفرتَ بـــه لم يأتِ غيرَ الولائـــجِ
إذن لرأيت الحقَّ منـــه مخالفاً ... لدينــك ، أن كنتَ امرءاً غير فـالج
يسائلني الحجاجُ عن أمر دينــه ... وليس هـــواهُ للصواب بـــواشجِ
فأضللْ به من واشـجِ خلجت به ... عن الـــدين والإسلام إحدى الخوالجِ
وهيهـــات فلجٌ والمقيم بنهـرها ... إذا قستهـا في البعد من رمل عالج [1]

لقد كفّر سميرة عن ذنبه الذي لم يصل إلى حد الكفر من وجهة نظر قطري، فأقبل نحو الجهاد معلناً اعتصامه وإخوانه بحبل الله مبينًا أسباب تركه كل دين غير دين الخوارج.

(١)السابق، ص١٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع: البطل الزاهد:

الزهد في اللغة : ورد في معجم لسان العرب تحت مادة (زهد):لا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدين، والزَّهَدُ: القدر اليسير يقال خذ زَهَد ما يكفيك: أي قدر ما يكفيك، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، وزهَّدهُ في الأمرِ رغَّبه عنه [١].

الزهد في الاصطلاح : عرف الإمام الغزالي رحمه الله الزهد وبين معالمه، فمعناه عنده أنه: " عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره، بمعارضة وبيع، فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره، فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحباً " [٢].

وبالنسبة للزهد وروده في القرآن الكريم فلم يرد لفظ الزهد في القرآن إلا في موضع واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بَثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَة ، وَكَانُوا مِنَ الزَّاهِدِيْنَ ﴾ [٣].

أمَا عن الزهد من ناحية المعنى فقد وردت الكثير من الآيات القرآنية مبينة معناه ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [٤] فالمراد من الآية السابقة أنّ لا يحزن الإنسان على ما فاته من هذه الدنيا، و لا يسعد بوجودها ونعيمِها الزائل وذلك من معاني الزهد في الحياة.

ولقد اتسعت حركة الزهد في العهد الأموي و كان لها الكثير من المؤيدين الذين دافعوا من أجلها، وكان من بينهم الخوارج، حيث عُرف عنهم أنهم عباد وزهاد، همهم الدين، والآخرة، وليس لهم في الدنيا الزائلة مأرب ولا رغبة، وهذا ما يروج له الخوارج أنفسهم، وعرف عنهم أيضًا أنهم قد وقذتهم العبادة، حتى أصبحت جباههم سوداء وأصبحوا مضرب المثل في زهدهم في الحياة واجتهادهم في العبادة، وفي عزوفهم عن الدنيا، وتشددهم في الالتزام بالحكم الشرعي، هذا إلى جانب قراءتهم للقرآن، حتى عرفوا باسم القراء قبل ظهور الخلاف منهم على الإمام علي

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مج ٣، ج١، ص١٨٧٦.

(٢) إحياء علوم الدين، للإمام محمد الغزالي، ط١، ج٤ (دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧م) ص ٢١٢.

(٣) سورة يوسف، آية ٢٠.

(٤) سورة الحديد، آية ٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رضي الله عنه في صفين، كما أن مما عرف عنهم هو الصعقة عند قراءة القرآن، فالخوارج هم العلماء والزهاد ولكنهم أرادوا الآخرة فأخطئوا سبيلها علماً بأن الخوارج هم الفئة المؤمنة الملتزمة، التي بقيت وفية لمبادئها ولمثلها العليا فهم لم يقوموا كعرب وإنما كمسلمين، فسلكوا مسلك الأتقياء الزهاد من المسلمين.

والزهد عند الخوارج زهد موصول بالموت وهذا ما أشار إليه إحسان عباس في حديثه عن زهد الخوارج بأنه يتمثل في الحرص الشديد على الانتصار على الحياة الزائلة وهذا لا يتحقق إلا بالموت، وذلك بخلاف أهل الصوفية الذين يرون أن الانتصار على الحياة قبل الموت بالاتحاد أو الفناء، وبخلاف أتقياء أهل السنة الذين يرون أن الانتصار على الحياة يكون بالصبر [١].

أمّا عن نظرة الخوارج للزهد فإنها تختلف عن غيرهم حيث قصروا شعرهم على مذهبهم، وابتعدوا عن المدح من أجل التكسب وطلب الرزق كما فعل غيرهم،غير أن شعرهم لم يختص في تفاصيل عقيدتهم، كما أن شعورهم الديني لم يكن شعور المفكرين وإنما كان شعور أعراب لم يطلعوا ولم يدرسوا ، وهذا ما عبر عنه النعمان القاضي بقوله: " ولهذا فلسنا واجدين لهم شعرًا مذهبيًا بمعنى الكلمة، وإنما هو شعر يذهب في مجموعه إلى تصوير حروبهم وتمجيد أبطالهم" [٢].

ولقد عبر الخوارج عن الزهد في شعرهم أحسن تعبير فبينوا من خلاله أنهم عاكفون عن الحياة بكل ملذاتها وشهواتها، وتمثل ذلك في قول الصحاري بن شبيب:

إنّـــــي شارِ بنفْسي لِربّي تــارِكٌ قِيـــــلاً لَدَيْهِم وَقـــالا
بائِـــــعُ أهْلِي ومالي أرْجو في جِنـــانِ الخُلْدِ أهــلاً ومَالا[٣]

فهو بائعُ نفسه لله تعالى تاركًا من هذه الحياة الأهل والمال والأصحاب ، راجيًا من الله أن يعوضه في جنان الخلد أهلاً ومالًا وأحبابًا أفضل منهم فهو يبيع نفسه وكل ما يملك من أجل تقوى الله ونيل رضوانه وهذا معنى من معاني الزهد عند الخوارج.

---

(١) انظر: مقدمة ديوان الخوارج، إحسان عباس، ص ١٤ .
(٢) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ط١،(دار المعارف القاهرة ،١٩٧٠م) ص ٤٣٥.
(٣) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٨١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الأعرج المعْني:

تركتُ الشِّعْرَ واستبْدَلتُ منهُ إذا داعِي صَلاةِ الصّبح قامــا
كتابَ الله ليس لــه شَريكٌ وودّعْــتُ المُدامَــةَ والنّدامى
وحَرّمتُ الخُمور وقد أرانـي بها سَدِكــاً ، وإن كانتْ حَراما [١]

فبعد أن كان غارقاً في حياة الظلمات والملهيات من تضييع الوقت في قول الشعر، ومعاقرة الخمر، ومشاهدة الرقص والغناء والمغريات، ترك هذا كله وتوجه لطاعة الله وعبادته.

ومن ذلك قول عبيدة بن هلال:

لعمري لقد بِعنا الحياةَ وعَيْشــُها برضوان ربِّ بالخلائــقِ عالِمِ
غــــداةَ نكرُّ المشرفيّــةَ فيهمُ بسُولافَ يومَ المــأزِق المتلاحمِ [٢]

فهو يترك الحياة وملذاتها مفضلاً عليها طاعة الله ورضوانه، فيبيع نفسه احتسابًا لله عز وجل.

ومنه قول أبي بلال مرداس بن أدية:

إنّي وزنــــتُ الذي يبقى بعاجلةٍ تفنى وشيكاً ، فلا والله ما اتَّزنا
تقوى الإلــهِ وخوفُ النارِ أخرجَني وبيــعُ نفسي بمــا ليستْ لـه ثَمنا [٣]

فأبو بلال يبيع نفسه لله عز وجل، مقابل نيل الثواب والأجر من الله، فتقوى الله وخوفه منه جعله يزهد في الحياة حتى لا يقع في النار، ويريد الحياة الدائمة ألا وهي حياة الآخرة.

إن نظرة الخوارج للزهد كانت نظرة ثاقبة فكانوا يطلبون ما يقربهم إلى الله من العبادة والتقوى الشديدة التي دفعتهم إلى الانصراف عن نعيم الحياة فيطلبون التقوى والصلاح ومن ذلك ما قاله قطري بن الفجاءة مرتجزاً:

---

(١) السابق، ص ٢٤ .
(٢) السابق، ص ١٠٠.
(٣) السابق، ص ١٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتّى متى تُخْطئُني الشّهـــادهْ
والموتُ في أعناقنـــا قـــلادهْ
ليس الفِرار في الوغـــى بعادهْ
يا ربِّ زدْني في التُّقَى عِبادهْ
وفي الحيـــاةِ بعدها زَهَـــادهْ [1]

الكل يطلب التقوى من الله لتصرفه عن متاع الدنيا ونعيمها، فقطري يدعو ربه ويناجيه أن يزيد في تقواه وورعه ويجعله في الحياة زاهدًا.

أما صفات الإيمان والتقوى يذكرها عمرو الحصين، فيقول :

إلا تجيئُـــــهم فإنـــهم رجفُ القلوبِ بحضرةِ الذكرِ
متأوهـــون كأن جمْرَ غضـى للموتِ بين ضلـوعِهم يسري
تلقاهُـــمُ إلا كأنـــهُم لخُشوعهم صدرُوا عن الحشر
فهُـــم كـأنَّ بـهم جوى مرضٍ أوْ مسَّهُمْ طـرفٌ من السِّحْـرِ
لا ليلـــتهم ليـــلٌ فيلبسـهم فيه غواشـي النـومِ بالسُّـكْرِ
إلا كـذا خلـــساً وآونـــةً حذّرّ العِقاب فهُم على ذُعْـرِ
كمْ من أخٍ لـك قد فُجِعـتَ بـه قـــوَّامَ ليلـته إلـــى الفـجْرِ
مـتأوِّهاً يثْـــلو قـــوارِع مِنْ آيِ الكتـــابِ مُفـــزَّعَ الصَّدْرِ [2]

يبدأ الشاعر بتصوير زهدهم وتقواهم، فقلوبهم ترجف وتضطرب خوفاً من تقصير أو ارتكاب ذنب في حق الدين، وهم في خشيتهم هذه متأوهون وكأن زفير جهنم بين آذانهم، ولكثرة خشوعهم وسجودهم وزهدهم في الحياة تراهم كأن بهم مرضاً، فهم ضعاف الأبدان، مصفرة وجوههم، لا ينامون إلا نوم خائف مضطرب ينتظر الخطر، يتهجدون ويتعبدون، قوامون في الليل، وإذا طلع النهار وأرعدت الكتائب قاموا خفافًا وثقالاً إلى ميادين القتال فتظهر شجاعتهم وبطولتهم.

(١) السابق، ص ١٦٦.
(٢) السابق، ص١٤١-١٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك أيضًا قول أحد شعرائهم يدعو الله أن يرزقه التقوى ببيع نفسه له:

يا ربِّ ، هَبْ لي التُّقى والصّدْقَ في ثَبَتٍ ... واكـــــفِ الهِمَّ فأنـــت الرّازِقُ الكافي
حتّـــى أبِيْـــعَ التـــ تَفْنـــى بآخِـرةٍ ... تَبْقـــى عـــــلى دِيْن مِرْداسٍ وطَوَّافِ [1]

ومن معاني الزهد التي تجلت بوضوح في شعرهم زجر النفس ولومها ودفعها على خوض القتال ومواجهة الحروب، يقول مالك المزموم موجهًا لنفسه الملامة على تعلقها بالحياة:

ألمْ يـــأْن يا قلبُ أنْ أتركَ الصّبا ... وأنْ أزجُرَ النّفْسَ اللّجوجَ عن الهَوى
وما عُذْرُ مَنْ يَعْمى وقد شاب رأسُـهُ ... ويُبصِرُ أبوابَ الضّلالـــةِ والهُـدى
ولو قُسِمَ الذّنـــبُ الذي قد أصبْتُهُ ... على النّاسِ خافَ النّاسِ طُرًّا مِن الرّدَى
وإنْ جَنَّ ليـــلٌ كان باللّيـلِ نائِماً ... وأصْبَحَ بَطّـال العشِيَّاتِ والضُّحـى [2]

الشاعر يعاتب نفسه ويحاسبها على تعلقها الشديد بالحياة فيبدأ بمعاتبتها بكلمات عذبة رقيقة تستهوي النفوس بقوله: (ألم يأن يا قلب أن أترك الصبا) فيلومها على ما اقترفته من ذنوب ومعاصٍ في مرحلة الشباب، ويرى أن المعاصي والذنوب التي ارتكبتها نفسه جسيمة وعظيمة فلو وزعت على الناس لكفتهم وجعلتهم يحسبون للموت حسابًا، بل ويشدون الهمم على القيام بكل عمل صالح يرضي الله فهذه الأبيات عبرت عن زهد الشاعر في حياته الدنيا، حتى كأنه يندم على ما فات من عمره في غير طاعة الله وعبادته.

ولم يقتصر الأمر وحده عند مالك المزموم في لوم النفس وزجرها دلالة على الزهد في الحياة، بل على الكثير من أبطال الخوارج الذين ربطوا الزهد في القتال ومجاهدة النفس عن المعاصي يقول الحويرث الراسبي في ذلك:

أقولُ لِنَفْسِي في الخَلاءِ ألُومُهـــا ... هَبِلْتِ دَعِيْنِي قـــد مَلَلْتُ مِنَ العُمـرِ
ومِن عِيْشةٍ لا خيْر فيها ، دَنِيْئـــةٍ ... مُذَمّمَةٍ عنـــد الكـرامِ ذَوي الصّبْرِ
سَأرْكـــبُ حَوْباءَ الأمورِ لَعَلّنـــي ... أُلاقِي الـــذي لاقَى المُحَرّقُ في القَصْرِ
ومـا كان غَمْراً صالحٌ غيرَ أنَّـــهُ ... رَمَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ حيثُ لا يدري [3]

---

(١) السابق، ص ٥٥.
(٢) السابق، ص ١٨٦.
(٣) السابق ، ص ٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوجه الحارث الراسبي لنفسه الانتقاد واللوم لتعلقها الشديد بالحياة الدنيا ويلومها على هذا التمسك طالباً منها أن تتركه لأنه قد ملَّ من الحياة، ويطلب الموت في سبيل الله كما فعل أصحابه.

ومن المعاني الزهدية التي برزت في شعر الخوارج الاعتكاف في الحياة على طاعة الله وعبادته، فكما سبق الحديث بأن الجهاد في سبيل الله ومقارعة الأعداء طلبًا للاستشهاد في سبيل الله، وطول التهجد والقيام، ونحالة الأبدان من شدة العبادة كلها صفات الأبطال الذين يدافعون عن دينهم في سبيل عقيدتهم التي أخلصوا لها، كما أن هذه الصفات من صفات المتزهدين المعتكفين على عبادة الله من أجل الفوز بالجنة، فجميع هذه الخصال الحسنة تمثلت في البطل الخارجي في أروع صورها وأبهاها ومن معاني الزهد الناتجة عن الاعتكاف قول عيسى بن فاتك:

ألا في اللهِ لا في النّاسِ شالَتْ ... بداوُدٍ وإخْوتِهِ الجُذُوعُ
مَضَوا قَتْلاً وتَمْزِيْقاً وصَلباً ... تَحُوْمُ عليهمُ طيْرٌ وقُوعُ
إذا ما الليلُ أظلمَ كابدُوهُ ... فَيُسْفِر عنْهُمُ وهُمْ ركوع
أطَارَ الخوفُ نومَهُمُ فقامُوا ... وأهلُ الأرضِ في الدُّنيا هُجوع
لهم تحتَ الظلامِ وهم سجودٌ ... أنينٌ منهُ تنفرجُ الضلوعُ
وخُرسٌ بالنهارِ لطولِ صمتٍ ... عليهم من سَكينتهمْ خشوعُ
يُعالونَ النّحيبَ إليهِ شَوْقاً ... وإنْ خَفضوا فربّهمُ سميعُ [1]

كشف الشاعر في هذه الأبيات عن تقوى الخوارج وعبادتهم الشديدة لله، وقد وفق الشاعر في اختياره لألفاظه التي تعكس ورع الخوارج وتقواهم (الليل، أظلم، كابدوه، ركوع، أطار، سجود، النحيب، أنين ، شوقاً)، ولك أن تتخيل ظلمة الليل ووحشته ، والمكابدة وما فيهم من تعب ومشقة، والركوع وما فيه من تذلل وتضرع ، ولقد وظف الشاعر الطباق (فقاموا، هجوع) ليدلل على ورع الخوارج وغفلة الآخرين، ولعل في استخدامه للفعل (طار) ما يؤكد على أثر الخوف من الله في مجافاة النوم لهم.

وقد مزج الشاعر بين سكون الليل وسجود الخوارج ، ليسمعنا من خلاله هذا الأنين، الذي يعلو ليصبح نحيباً، شوقاً لله عز وجل، وقد وفق الشعر أيضاً في تقديمه الجار والمجرور (إليه) ليدلل أن هذا الشوق لا يكون إلا لله سبحانه.

---

(١) السابق، ص ١٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقاً هذه صفات البطل الزاهد الذي لا يعرف النوم ولا الملل أبداً، بل همه مرضاة الله والتقرب منه إمّا بالإقدام و التضحية والجهاد أو بالتزهد والتعبد لله تعالى.

ربط الشعراء بين الزهد والانتصار والتجرد وتحقيق الغلبة، فالزهد عامل من عوامل التعالي على الموت والإمعان في الصمود والثبات مما يحقق النصر أمام جيش بأكمله، قال عيسى بن فاتك وقد غلب أربعون من الخوارج جيشاً أموياً:

فلمّـــــا أصبحوا صلُّوا وقامُـوا إلى الجُرْدِ العِتـــــاقِ مُسوّمينـــا
فلمّـــــا استجمعوا حمـلوا عليهم فظَـــلَّ ذَوو الجعائِـــل يقتُلونـــا
بقيَّة يومِهِم حتّـــــى أتـــــاهُمُ بـــــــأنّ القومَ ولّوا هاربينـــــــا [1]

يصور عيسى بن فاتك حياتهم التي لا تعرف طعم الاستقرار، فإذا ما جاء الصبح قاموا للصلاة وطاعة الله وعبادته، ثم الجهاد في سبيل الله .

ومنه ما قاله عمرو القنا أنْ لا خير في الدنيا إذا لم يتزود الإنسان بالاعتكاف وطاعة الله يقول:

معي كلَّ أواهٍ بَرى الصومَ جسمـه ففي الجسمِ منه نهكةٌ وشُحُوب
لا خَير في الدُّنيا لمن لمْ يكنْ لـــهُ مِنَ اللهِ في دارِ القَرارِ نـصيبُ
فحسبي من الدنيـا دلاصٌ حصينة وأجردُ خَـوَّارُ العنـــانِ نَحِيْبُ
أُجَاهِدُ أعْدائي إذا ما تتابعـــوا وأَدْعَى بإسمي للهدى فأجيـبُ[2]

وقال أحد الخوارج في بعض رؤساء الخوارج:

فتيـــــةٌ تَعْرِفُ التخشُّعَ فيـهمْ كُلُّهُمْ حكّمَ القُـرآن غُلامَـــــــا
قد بَرى لحمَهُ التّهجُّـــدُ حتّى عـــادَ جِلْـــداً مُصْفَراً وعِظاما[3]

فهذا هو الخطاب الخارجي يقوم على إضفاء الصفات السامية التي تشمل جميع الخوارج والتي يسميها إحسان عباس بوحدة الخصائص، فكل واحد منهم يمكن أن يقال فيه ما يقال في الآخرين، وهذه الخصائص تتمثل في كل فرد على حده كما تتمثل في الجماعة، يقول الشاعر الأصم الضبي:

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص٥٤.
(٢)السابق، ١٣١.
(٣)ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٢٣٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوماً إذا ذُكِّروا بالله أو ذَكـــرُوا خرُّوا من الخَوْفِ للأذقانِ والرّكَبِ
سَارُوا إلى الله حتى أُنْزِلُوا غُرفاً من الأرائِك في بيتٍ مِنَ الذّهبِ [1]

يبين تقوى الخوارج ويفخر بهم وبزهدهم في الحياة، وقوة عقيدتهم ومدى امتلاكهم لقلوبهم، فعند ذكر الله على مسامعهم تراهم يخرون من شدة الخوف والتخشع، ويختم بأن نهايتهم في جنان الخلد.

ويقول عمرو بن الحصين راثياً أصحابه:

متأوهين كأن في أجوافهم نارا تســعرها أكف حواطــب
تلقاهم فتراهم من راكـــع أو ساجد متفرعٍ أو ناحـــب
يتلو قوارع تمتري عبراته فيجودها مري المريء الحالب[2]

يرسم الشاعر في هذه الأبيات لوحة فنية رائعة، ليعكس من خلالها نفحات تجلى فيها الخالق على فرسان الخوارج، يتأوهون من شدة خوفهم، وكأن في قلوبهم ناراً، كلما خبت تسعرها الأكف بالحطب، منهم ما بين راكع أو ساجد، يعلو نحيبهم، من شدة تضرعهم ، وقد استدرت آيات القرآن – الآيات التي يذكر فيها يوم القيامة– عبراتهم ، كما استدر الحالب الناقة الموصوفة بكثرة درها، ولقد وفق الشاعر في التفصيل بعد الإجمال (أجوافهم، تلقاهم، فتراهم، راكع، ساجد) ليدلل من خلال الإجمال على أن هذه التجليات سمة غالبة على الخوارج ، ويعكس التفصيل انشغال الخارجي بنفسه ،مع الله عن جميع من حوله.

ومن معاني الزهد التي تجلت بوضوح في حقيقة البطل الزاهد عند الخوارج تذكير الناس بحقيقة الدنيا الزائلة، والدعوة إلى العزوف عنها بكل ملذاتها والتمسك بالدار الباقية بلا فناء ألا وهي الدار الآخرة، وفي ذلك يقول الطرماح بن حكيم زاهداً في الحياة مبيناً ومذكراً للناس بالموت في أفكار زهدية:

---

(١)السابق، ص ١٢٥.

(٢) السابق، ص ١٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كُلُّ حَيٍّ مُسْتكمِلٌ عِدّةَ العُمْـ ـرِ ، ومُودٍ إذا انقضى عـدَدُهْ
عجَباً ما عَجبْتُ مِنْ جامعِ الما ل يُبَاهِي بـهِ ، ويرتفـدُهْ
ويُضِيـعُ الـذي يُصيِّرُهُ اللّ ـهُ إليـهِ ، فليس يعتقـدُهْ
يومَ لا ينفـعُ المُخوَّلَ ذا الثر وةِ خُلّانُـهُ ولا ولَـدُهْ
ثُمَّ يُؤتَى به ، وخَصْماهُ ، وسط ال ـجِنَّ والإنْسِ ، رجْلُـهُ ويَـدُهْ
خاشِعَ الطَّرْفِ ، ليس يَنفعُهُ ثـ ـمَّ أمانيُّـهُ ، ولا لَـدَدهْ
قل لباكي الأمواتِ : لا يَبْكِ للنـا سِ ، ولا يَسْتنـعْ بـهِ فَنَـدُهْ
إنّما النّاسُ مِثْلُ نابتـةِ الزّرْ عِ ، مـتى يـأنِ يـأْتِ مُحْتَصَدُهْ [1]

هذه الأبيات تحوي مجموعة من الأفكار الزهدية، ففناء عمر الإنسان أمر محقق، ولكن عندما يريد الله ذلك، والمتلهف على تحصيل المال في الحياة الدنيا والذي يتقوى بالأولاد عليه أن يتذكر يوم لا ينفع الإنسان مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فيومها لا يجزى إلا عمله إن كان صالحاً فله، وإن كان فاسداً فعليه يوم تشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، فالموت حق على الإنسان، وعلى الإنسان أن يتكيف مع هذه الحقيقة.

ومن ذلك ما قاله عمران بن حطّان :

ولَيْسَ لِعَيْشِنـا هـذا مَهَـاهٌ ولَيْستْ دارُنـا هاتـا بِـدارِ
جمَادٌ لا يُرادُ الرِّسْـلُ منهـا ولم يُجْعَـلْ لَهـا دُرَجُ الظِئـارِ
وإنْ قُلْنـا لَعَـلَّ بهـا قـراراً فما فيهـا لحيٍّ مِن قـرارِ
لنـا إلاّ لَيالِيَ هَيِّنـاتٍ وبُلْغَتُنـا بأيـأمٍ قِصـارِ
أرانـا لا نَمَـلُّ العَيْشَ فيهـا وأُولعْنـا بـحرصٍ وانتظـارِ
ولا تبقـى ، ولا نَبْـقَى عليـها ولا في الأمْـرِ نأخُـذُ بالخَيـارِ [2]

يبين عمران بن حطان في أبياته هذه حقيقة واقعية هي حب النفس البشرية للدنيا، وتمسكها الشديد بها، ويذكرنا بأنها ليست بدار قرار فيخلص إلى الإيمان بأن الحياة عرض زائل فهو زهد في حال الدنيا ومصير الإنسان فيها.

وفي المعنى نفسه يقول:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونَهـا على أنَّهُم فيها عـراةُ وجُـوَّعُ

(١)السابق، ص ٨٤.

(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٨٤ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَرَاهَــا وإن كانت تحبُّ فإنَّهـــا سحابـــةُ صـــيفٍ عن قريبٍ تقَشَّـعُ
كركبٍ قضُوا حاجاتِهم وترحَّلُـــوا طريقُهُم بادِي العلامةِ مَهْيَـــــعُ [1]

يؤكد في الأبيات السابقة المعنى نفسه الذي سبق الحديث عنه ألا وهو ميل الإنسان بفطرته إلى حب الدنيا والتعلق بها، ولكن على الإنسان ألا يجعل حب الدنيا وشهواتها ونعيمها الزائل ينسيه الدار الآخرة.

ومن معاني الزهد عند الخوارج رثاء أبطالهم من الشهداء وتعديد مناقبهم وصفاتهم الزهدية مع الحنين للحاق بهم، ومن ذلك ما قاله كعب بن عميرة راثياً أهل النهروان:

لقدْ فازَ أخْوانِي فَنالُوا الَّتِي بهـــا نجُوا من عذابٍ دَائـــمٍ لا يُفَتَّـــرُ
أبَى اللَّهُ إلَّا أنْ أَعِيْشَ خِلافُهُـــمْ وفِي اللَّهِ لِـي عِزٌّ وَحِرزٌ ومَنْصرُ [2]

يصف ما حلَّ بإخوته يوم النهروان ، فجعله يتمنى الموت في سبيل الله واللحاق بهم ويبغض الحياة، فحمل رثاء الخوارج لشهدائهم وأبطالهم صفات الزهد والتقوى في الحياة وتمني الشهادة لأنهم اعتبروها الطريق الذي يقصر بينهم وبين الموت.

فكان شعر الخوارج حافلاً بالكثير من المعاني والأفكار الزهدية النابعة من عقيدتهم التي اعتنقوها ، فشعرهم لم يكن فناً مستقلاً بذاته له أغراض محددة، بل كان يحوي الكثير من الأفكار الزهدية التي جاؤوا بها لتذكير الناس بحقيقة الدنيا وموقف السابقين منها، فنادراً ما نجد أحداً من شعراء الخوارج اختص بغرض الزهد في شعره وإنما جاء في معرض حديثهم عن شؤون الحياة التي تتصل بالعقيدة، ويعتقد الباحث أنه لو اختص أحد من شعراء الخوارج في غرض محدد لقول الشعر لاختار الزهد وقال فيه.

(١) السابق، ص١١٩.
(٢) السابق، ص١٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: البطل العاشق:

لم يختلف الشعراء الخوارج عن غيرهم من الشعراء في ذكر الغزل والتغني بالنساء، ولكن الغزل عندهم جاء بطريقة مختلفة عما كان عليه الشعراء في السابق، فقد جعلوا الغزل جسراً يعبرون عليه إلى أرض المعركة، فارتبط عندهم بقوة الإرادة والتضحية، فجاء ممزوجاً بطبيعة الحياة المتقلبة التي كانوا يعيشونها والتي فرضت عليهم أن يتبعوا طريقة معينة في الغزل [١]، ولقد كان همهم وشغلهم الشاغل هو الجهاد في سبيل الله، والتقرب إلى الله بالطاعة والعبادة والعزوف عن هذه الحياة بكل ملذاتها وشهواتها، فكانوا يطلبون الشهادة في كل لحظة ويسعون نحوها وهذا هو السبب الذي جعلهم يعزفون عن شعر الغزل، فلم يحظ شعر الغزل بنصيب وافر عند الخوارج إذا ما قورن بغيره من الأغراض كالرثاء والهجاء ، فتعلق البطل الخارجي بمحبوبته وتغزله بها جاء بسيطاً وعفيفاً لا نجد فيه الحرقة واللوعة والأسى، ولا يصل الأمر بهم إلى حد التبتل والهلاك، بل معتدلون في غزلهم، فلم يتغزلوا إلا في نسائهم.

فالبطل الخارجي" عندما كان يتذكر زوجته، لا يتذكرها ليبثها لواعجه وعواطفه، وإنما ليحدثها عن بطولاته، لعلها تعطيه قوة واندفاعاً، فغزله وأشواقه مدخل إلى ساحة المعركة، فكان الغزل الخارجي تحوطه العفة، وتحرسه التقوى " [٢].

وهذا ما نجده في قول عمرو بن الحصين يقول في قصيدته الرائية التي يبدؤها بذكر هند:

هَبّــتْ قُبَيْلَ تَبلُّــجُ الفجْــرِ ... هنـــدٌ تقولُ ودَمْعُهــا يَجْري
إن أبصرتْ عَيْــني مدامِعَــها ... ينهَــلُّ واكِفُهـــا على النّحْـرِ
أنَّى اعتراكَ وكنــتَ عَهــدي لا ... سَرَب الدُّموعِ ، وكنتَ ذا صبْرِ
أقــذي بعينــك مــا يُفَارقُهـــا ... أمْ عائرٌ ، أم مالهـــا تُــذْري
أمْ ذكرُ إخوانِ فُجِــعْتَ بهــمْ ... سلكوا سبيلَهم عـــــلى خُبْرِ
فأجبْتُها بل ذِكرُ مصــرعِهمْ ... لا غــيرُهُ عَبَراتِهـــا يُمْري [٣]

يجد المتأمل في هذه الأبيات أن هنداً تبكي من لوعة الحب والفراق لرحيل عشيقها ومحبوبها عنها، فأخذت تواسيه عندما رأت دموعه تنهل على النحر بعد أن تبلل وجهه بدموع الحرقة والأسى لهذا الفراق الطارئ، وهي مقدمة حزينة، توحي أن ما ورائها رثاء لفقد حبيب أو

(١) انظر: شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة، عبد الرازق حسين، ص ٨٩ .

(٢) صورة المرأة في شعر الخوارج في العصر الأموي، محمد دوابشة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية ، مج٢١، ٢٠٠٧م ، ص ٢٤١.

(٣) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص٢٢٣-٢٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قريب، وتذكير للناس بالموت، فمثلا كلمة (هبت) توحي بالفزع والذهول (وينهل واكفها على النحر) تدل على غزارة الدموع ، فهذه تتوسل الليل أن ينقضي، وهي غارقة في دموعها الحزينة لفراقه؛ ولكن يتبين لنا أن الشاعر ما ذكر هند وبكاءها إلا ليجيب عن سبب بكائه هو فهو لا يبكي وجداً ، وإنما يبكي أخوة فجع بهم، وهو حزين لتركهم إياه لا لفقده لهم.

فسرعان ما نجد الشاعر الخارجي يتحول من هذا الغزل العفيف إلى وصف أحبابه وإخوانه، وهذا ما عبر عنه عمرو بن الحصين في البيت الخامس والسادس، فيذكر إخواناً مضوا في سبيل الله مجاهدين، فعلى الرغم من حنينه ولهفته لذكر محبوبته؛ إلا أنه يتركها مسرعاً دون أن يصف هذا الشوق وهذه الحرقة، فيلتفت مسرعاً إلى حبه الأكبر وهو الجهاد في سبيل الله.

ومن ذلك ما عبر عنه قطري بن الفجاءة في زوجته أم حكيم حيث يقول:

لعمرُكَ ، إنّي في الحياةِ لزاهدٌ ... وفي العيش ما لم أَلْقَ أُمَّ حكيم
مِن الخَفِراتِ البيضِ لم يُرَ مثلُها ... شِفاءً لِذي بَثٍّ ولا لسَقيم
لعمرُك إنّي يومَ ألطِمُ وجهَهَا ... على نائباتِ الدّهر جدُّ لئيم
فيا كَبَداً مِنْ غير جُوعٍ ولا ظَمَا ... ويا كَبِداً مِنْ وَجْدِ أُمَّ حكيم
ولو شهِدَتْني يومَ دُولابَ أبصرَتْ ... طِعَانَ فتىً في الحرب غير ذميمِ
غداةَ طَفَتْ علْمَاءِ بكرُ بن وائلٍ ... وعجْنا صُدورَ الخيل نحو تميمِ [1]

يذكر قطري بن الفجاءة زوجته أم حكيم زاهداً في الدنيا إذا لم ينعم بلقاء هذه الزوجة ذات الحياء الخجولة، فقطري يصفها بمناقب حسنة فهي تشفي المريض وتبرئ السقيم، ولكن سرعان ما يتحول قطري عن هذا الغزل إلى ذكر الجهاد وساحات القتال ووصف شجاعته لمحبوبته، فعندما يشعر بأننا طمعنا بالمزيد من الغزل يتحول بسرعة ليصف لنا معركة دولاب وما كان عليه أصحابه من شجاعة، فينتقل بشعره من غزل يملأ القلب تحناناً وسعادة إلى وصف غمار معركة شديدة كانوا فيها مجاهدين مدافعين عن دين الله، فكان التحول من الغزل وذكر المحبوبة وصفاتها إلى وصف الجهاد والقتال في أرض المعركة سمة بارزة امتاز بها شعر الغزل عند البطل الخارجي.

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول في أم حكيم متغزلاً بها:

إذا قلتُ تَسْلُو النّفسُ أو تنتهي المُنَـى ... أبـى القلـبُ إلّا حُـبَّ أُمِّ حكيم
مُنَعّمـةٌ صفـراءُ حُلْوٌ دَلالُهـا ... أَبيـتُ بهـا بعـد الهُـدوءِ أهِيمُ
قطوفُ الخُـطا مَحْطوطةُ المتْنِ ، زانَها ... مـع الحُسْن خَلْقٌ في الجمال عَميمُ [1]

يتغزل قطري بها واصفاً حبه لها وأن القلب يأبى إلا هواها فهي منعمةٌ صفراء، مدللة ذات حسن وجمال وخلق رفيع.

وهذا عمران بن حطان يصف زوجته جمرة بأبيات مفعمة بالصدق والإحساس فيقول:

يا جمرُ إني على ما كان من خُلقي ... مُثْنٍ بِخِـلاقِ صِدقٍ كُلُّـها فيـكِ
اللـهُ يعلم أني لم أقل كذبـاً ... فيما علمـتُ وأنـي لا أزكـيك [2]

عمران في هذين البيتين ينزه زوجته جمرة عن كل وصف مادي لها فيصف لوعة حبه واشتياقه لها، فمن ذوب أحاسيسه وحبه لها يقول هذين البيتين، ويصور أنهما آخر ما يستطيع الوصول له صدقاً وتنزيهاً لعاطفته اتجاه جمرة وهو في غزله هذا لا يؤذي زوجته، ولا يعبر عن علاقة سيئة معها، بل يظهر محاسنها المعنوية، إعلاء لقدرها وفكرها وقوة شخصيتها، وذكر هذه الأمور في المرأة لا ينقص من شأنها عند العرب، فهذه الأبيات تأتي مطابقة تماماً مع الغرض الذي يدور في ذهن الشاعر، فأخرج الشاعر الخارجي الغرض في معرض النسيب.

ولكن سرعان ما نجد عمران في القصيدة نفسها التي يصف بها محبوبته ينتقل ليصف الموت وانتهاء الأجل ليبعث في نفسه الشوق للموت في سبيل الله وكره الحياة فيقول:

يا جمرُ يا جمرُ لا يطمح بكِ الأمـلُ ... فقـدْ يكـذِّبُ ظنَّ الآملِ الأجـلُ
يا جمْرُ كيْفَ يذوقُ الخَفْضَ مُعـترف ... بالموتِ والموتُ فيمـا بَعْـدَهُ جَلل
كيـفَ أواسيـكِ والأيـامُ مقبلـةٌ ... فيها لِكـلِّ امرئٍ عنْ غيـرِهِ شُـغل
وقـدْ أظلتكِ أيـامٌ لهـا حَمَسٌ ... فيـها الزلازِلُ والأهـوالُ والوهَـلُ [3]

(١)السابق، ص ١٠٨.
(٢)السابق، ص١٥٠.
(٣)السابق، ص١٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يظهر الصراع بين النقيضين في نفسية عمران، فنجده في الأبيات السابقة يذكر حبه لجمرة فهو حقاً يشتاق لها، ولكن شوقه للموت وكرهه للحياة يفوق حبه لجمرة، ولذلك فإن ارتباطه وحبه لجمرة نقيض لما سبق، فهو يواسي نفسه، ولكنه سرعان ما يعود فيعترف بأنه وهم متبدد عما قريب سينقشع، فالنعيم والاطمئنان والسعادة تجاه محبته لجمرة لا يستطيع تذوقها، لأنه يرى أن نهايتها وزوالها قد اقتربت، وعلى الرغم من ذلك إلا أن عمران جعل جمرة مرآة تعكس جمال الحياة ونعيمها فعدَّها الرابط والمعبر لما يحاك في صدره من مشاعر وعواطف، وفي عقله من أفكار مناقضة.

وهذا يزيد بن حبناء يقول رداً على زوجته التي كانت تطالبه بالهدايا:

دَعي اللّوم إنّ العيْشَ ليس بدائـــم ... ولا تعجـــلي باللّوم يـــــا أُمَّ عاصِمِ
فإن عَجَلتْ منكِ الملامةُ فاسمعي ... مقـــــالة معنـــيٍّ بحقِـــــــكِ عالمِ
ولا تعْذُلينـــا في الهديَّـــةِ، إنّما ... تكُونُ الهدايـــا من فضُـــولِ المغانم
فليسَ بِمُهدٍ من يكونُ نهـــارُهُ ... جِـــــــلاداً ويُمْسـي ليْلُهُ غير نائِمِ
يريـــدُ ثوابَ اللهِ يومـاً بطعنةٍ ... غَمُوسٍ كشِـــدْقِ العَنْبَريَّ بن سالمِ
أبيت وسربالـي دلاصٌ حصـــينةٌ ... ومغـــفرها والسـيف فوق الحيازم [1]

في هذا الحوار اللطيف الذي دار بين الشاعر وزوجته نجد زوجاً باراً يعلم حقوق زوجته عليه تمام العلم، ولكنه يطلب منها بأسلوب مقنع أن تجد له عذراً، فلا تعذله في الهدية، لأن الهدايا عنده من فضول المغانم، ثم يقدم بين يدي زوجته عذراً فيه من وصف حالته وحال إخوانه ما فيه من إشفاقه على زوجته، وعلمه بمكانتها وقدرها، ولكن يعتذر فلا يستطيع تقديم هديته التي يتمنى لو كان ذلك باستطاعته، فيتساءل كيف يهدي من في ليله قائم، وفي نهاره جلاد ومحارب، فعلى الرغم من أن الشاعر يقسم بالله أنه في شغل عن الهدايا والحلل، إلا أنه يعتذر لها ليبين لها أنه حقيقة مشغول بها، ومع ذلك إلا أنه يصب اهتمامه في قضيته بالرغم من تلك المقدمة الغزلية اللطيفة التي حولها إلى تأييد لفكره ومذهبه.

ويرى الباحث أن الشعر عند الخوارج بجميع ألوانه كان سلاحاً قوياً من أسلحة العقيدة التي يدافعون بها عن مبادئهم وأفكارهم، حيث نجد أن الشاعر الخارجي يحول أشعاره ببراعة فائقة نحو الغاية والهدف الذي يسعى من أجله.

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث
الظواهر الأسلوبية

- المبحث الأول: التكرار.
- المبحث الثاني: التناص.
- المبحث الثالث: التقديم والتأخير.
- المبحث الرابع: الالتفات.
- المبحث الخامس: الصيغ الإنشائية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: التّكرار

التكرار يحمل معنى الرجوع عن الشيء كما في اللسان [1] ، وهو بفتح التاء على وزن التَّفْعَال، ويُذْكر أن المصادر التي على هذا الوزن لا تكون إلا مفتوحة التاء إلا التِّبيان والتِّلقاء بكسرها[2].

والتكرار هو الإلحاح على معنى بقصد توضيحه وإبرازه، " وكرر الشيء أعاده مرة بعد مرة، وكررت عليه الحديث إذا رددته عليه " [٣].

ولابد أن يؤدي التكرار دلالة معينة، وإلا فهو عامل مساعد على ذهاب حيوية النص ، وترى نازك الملائكة أن تكرار جزء من العبارة لا يحتم تكراره ضرورة نفسية يقتضيها المعنى فلا بد أن يميل بالعبارة ، والتكرار يجنح بطبيعته إلى أن يُفقِد الألفاظ أصالتها وجدتها، فمن الضروري أن تكون العبارة المكررة من قوة التعبير وجماله ومن الرسوخ والارتباط بما حولها بحيث تصمد أمام هذه الطبيعة، فالتكرار يظهر ضعف البيت الرديء [٤].

وللتكرار شرف عظيم ومنزلة رفيعة، إذ إنه من الأساليب التي وظفت في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، قال تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [٥]

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٦] ومن فوائده الزيادة في كل شيء كالزيادة في إظهار التحسر أو التشويق أو التهويل أو التنبيه.

وللتكرار أهمية موسيقية فهو يؤدي جانباً إيقاعياً في النص ذا صلة بالوزن وذا صلة بالمعنى، ويضع بين أيدينا مفتاحاً للفكرة التي تسيطر على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشاعر على أعماق النص [٧].

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مج٥، ج٤٣، م .س، ص ٣٨٥١.

(٢) انظر: إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد (مخطوط)، إسماعيل بن غنيم الجوهري، ص١.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ط٢،(بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ)، ص ٤١٠ .

(٤) انظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، منشورات مكتبة النهضة (د.م)، ط٣ ، ١٩٦٧، ص ٢٤٥، ٢٥٢.

(٥) سورة الحاقة، الآيات من ١–٣ .

(٦) سورة التكاثر ، الآيتان ٣–٤ .

(٧) انظر: دراسات في الشعر المقاوم، عبد الخالق العف، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين بغزة ، ٢١١٠، ص١٤٠– ١٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتكرار أحد الأساليب التي اعتمد عليها الشعراء الخوارج في شعرهم ، سواء كان تكراراً لكلمة واحدة في أول كل بيت، أو تكراراً لأكثر من كلمة ... ، ولقد ذكرت نازك الملائكة أن تكرار أول كلمة في كل بيت أبسط أنواع التكرار، وهو منتشر، ثم تكرار العبارة ويكثر في الشعر الجاهلي، ومن تكرار العبارة ما يكرر فيه الشاعر عبارة معينة في نهاية مقطوعات القصيدة جميعاً، ويشترط في هذا النوع أن يوحِّد القصيدة في اتجاه يقصده الشاعر، وإلا فيعتبر زيادة لا غرض لها، ثم تكرار المقطع كاملاً، ولكن هذا النوع يحتاج إلى وعي كبير من الشاعر لطوله، وأخيراً تكرار الحرف وهو كثير في الشعر الحديث [١].

ويرجع الدكتور إحسان عباس غلبة سمة التكرار وبروزها في شعر الخوارج إلى أن الحاجات التي يعبر بها عن هذا الشعر محدودة ومشتركة بين شعراء الخوارج، ويرى أن التكرار لا ينقص من درجة الصدق والإخلاص في هذا الشعر، وذلك لأنه ليس تكراراً بالتقليد أو الاستدعاء لنموذج شعري غالب [٢].

ومن التكرار لكلمة واحدة قول امرأة خارجية عندما قدم الحجاج ليقتل خارجياً فدخل عليه نسوة ، أقارب ذلك الرجل ، فقالت الخارجية :

أحجاجُ لو تشهدُ مقامَ بناته وعمّاتِهِ يندبن بالليل أجمعا
أحجاجُ إمّا أن تمنَّ بتركـهِ علينا وإمّـا أن تُقَتِّلنا معا
أحجاجُ لا تفجعْ به ونسائهِ ثماناً وتسعاً واثنتين وأربعا[٣]

جاء تكرار كلمة (أحجاج) في الأبيات السابقة ليفيد التحسر وإظهار الضعف أمام الحجاج وذلك عندما أراد قتل أحد الخوارج فأرادت الخارجية أن تستدر عطفه وشفقته علي نسائه وأبنائه وما سيحل بهم ، وبحالهم بعد مقتله .

ومنه قول عمران بن حطان يرثي أبا بلال موجهاً الحديث لجمرة :

يا جمرُ قد مات مرداساً وإخوتُـه وقبـلَ موتـهِمُ مـات النبـيونا
يا جمرُ لو سلمتْ نفس مطـهرةٌ من حادثٍ لم يزلْ يا جمْرُ يعيينا [٤]

(١) انظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٩ .
(٢) انظر: ديوان شعر الخوارج ، إحسان عباس ، (م.س) ، ص ١٣.
(٣) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص ٢٢٨.
(٤) السابق ، ص١٣٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فجاء التكرار في هذه الأبيات في قوله (يا جمر) ليعمل على استمالة قلب جمر، وترغيبها في قبول النصح والإرشاد، وحتى يزيل كل شك وريب في نفسها حول حقيقة هذه الحياة واقتراب الموت، فهو لا يفارق أحداً ويذكرها ناصحاً بما حلَّ بمرداس وإخوته وليس هذا فحسب، بل سبقهم إلى ذلك الأنبياء.

وقوله:

يا خولَ يا خولَ لا يطمحْ بك الأملُ فقد يُكذّبُ ظــنَّ الآمِلِ الأجَـلُ
يا خوْل كيف يذوق الخفض معترفٌ بالموتِ، والموتُ فيما بعده جللُ[1]

ومن التكرار قول حسان بن جعدة:

بنوا مقاصــر في الدنيــا لتخــلدهم فمن لهم بخلود في المقاصر
هيهات لن يخلدوا فيها ولو حرصـوا حتى تروح أناس نفخة الصدر
قــد كــان قبلــهم قوماً فمــا خلدوا وأصبحوا بين مقتول ومقبور [2]

إن تكرار مفردة (الخلود) أدى إلى تنامي البعد الدلالي والصوتي ، فالشاعر حاول أن يجسد رؤيته الخاصة للحياة ، وأن كل شيء معرض للفناء فيها، فهذه النظرة الزهدية عند الخوارج تعكس قيمهم الروحية والفكرية، فركز النص على معنى الخلود وجاء به مكرراً، بل ولجأ إلى التنويع للمفردة المتكررة لأن تكرار نفس الصيغة يفقدها البعض من قوة تأثيرها على المتلقي فيكون المتلقي قد وصل إلى حالة من التشبع لهذه الخاصية.

ومن الرجز ما يدل على التكرار قول صالح بن مخراق العبيدي في حروبه مع المهلّب:

وصالحٌ في الحرب كبشٌ ناطحُ
وصالحٌ في الغيــلِ ليــثٌ كالحُ
وصالحٌ ظفرٌ ونـــابٌ جــارحُ [3]

(١) السابق ، ص١٢٨ .
(٢) السابق ، ص٤٩.
(٣) السابق ، ص٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعتمد الشاعر على تكراره لكلمة (صالح) في بداية الرجز حتي يدلل على مدى قوته وشجاعته في مقاتلة المهلَب ، وحتى يلفت الانتباه لمدى الشجاعة والبسالة التي تحلى بها ، فتكرار الاسم في كل شطر يضيف معنى جديدًا من معانى القوة التي امتاز بها .

وقول حبيب بن خدرة ، مؤكداً لوعة وحرارة ألمه بالبكاء على قتلى الخوارج :

أبكى الذين تبوؤا الغرف العلا فجرت لهم من تحتها الأنهار
أبكى لنفسي ، لا لهم أبكيهم لا صبر حيث تعارف الأنهار[١]

فتوظيف الشاعر لصيغة المضارع في(البكاء)، يدل على الديمومة والاستمرارية في هذا البكاء، إلى أن يكتب له ما كتب لهم من الشهادة والموت في سبيل الله.

وقول المرأة الشيبانية في رثاء عمها:

أم من يرجى للقريب ومن يكون لكل نازح ؟
أم من يؤمل لليتيم وكل ذي غرب ونائح ؟
أم من يعم صديقه خيراً ويحجر كل نابح ؟[٢]

تكرار الشاعرة لصيغة التساؤل (أم من) في الأبيات السابقة دلالة على كثرة مناقب هذا الفقيد وصفاته الحسنة، وتساؤل يحمل بين طياته الحيرة والحزن الشديدة ولوعة الفرقة لموته .

وقول زياد بن الأعسم:

فإن يكُ داود مضى لسبيله فقد كان ذا شوق إلى الله تاليا
وقد كان ذا أهل ومال وغبطة وكان لما يفنى من العيش قاليا [٣]

توظيف الشاعر التكرار لصيغة (كان) الماضية يعد دلالة على تقوى وورع من يرثي، وذلك بتعدد صفاته ومناقبه الحميدة، فقد كان مجاهدًا في سبيل الله ، وصاحب مال وجاه ، وكان زاهدًا في حياته، وغيرها من المناقب التي كان يتحلى بها.

ولقد صور عمران بن حطان الموت بوصف لم يعهده الشعراء من قبل حيث يقول:

---

(١) السابق ، ص٤٣.
(٢) السابق ، ص٢٠١ .
(٣) السابق ، ص ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يعجز الموت شيء دون خالقه　　الموت فانٍ إذا ما ناله الأجلُ
وكل كرب أمام الــموت متضـعٌ　　لموتِ والموت فيما بعده جلل [١]

يبرز التكرار لكلمة (الموت) التي تواترت في أبيات الشاعر محدثة كثافة صوتية، فالموت كان يمثل للشعراء النهاية المحتومة إلا أن تصور الشاعر الخارجي قد جعل الموت ينتهي بالموت، فنلاحظ صدر البيت الأول وصف الشاعر الموت بأنه لا يقهر بعد خالقه، ويرجع في العجز فيؤكد نهاية الموت المحتومة بالأجل، وهذا من شأنه أن يخلق إحساساً قوياً يقودنا فيه إلى تصوير مختلف تمام الاختلاف، فالموت الذي لا يقهر أولاً يمكن أن يموت، فالقارئ الذي يسمع الصدر يفاجأ بالعجز من خلال خلق موقفين متضادين هما قوة الموت وقهره، فتثير القارئ وتلفت انتباهه، فيصبح الموت معادلاً للذات الإنسانية، فكلمة الموت وما تحمله من بعد إيحائي، عملت على إثراء وجداني وعاطفي يثير المفاجأة ويجلب انتباه القارئ أو المتلقي من خلال ذلك التكرار وكذلك البيت الثاني الذي حمل نفس الدلالة نفسها.
وأحياناً يصبح الموت هو الآخر حياة ، كما في قول الأعرج المعني مرتجزاً:

لَاَ جَزَع اليــــوم قرب الأجـــــــلِ
الموتُ أحلـــــى عندنا من العســـل
نحنُ بني ضبةُ أصحـــاب الجمـــــلِ
نحنُ بنو الموتِ إذا المـــوتُ نَـــزلِ [٢]

من خلال هذه الأسطر الشعرية تبرز دلالة جديدة عند الشاعر ، فنرى أن الموت أصبح مساوياً للحياة، بل هو أحلى من العسل، ولقد أراد الشاعر من خلال تكراره لكلمة(الموت) أن يعبر عن الحالة النفسية والجو الحماسي وما يشعر به مما جعل هذه المفردة تنسجم مع عنصر المفاجأة التي حاول الشاعر أن يبرزها، فساعدت على خلق جو موسيقي خاصاً حتى أن هذه اللفظة أثرت في تكرار صوت (اللام) الموجود في النص مما ضاعف جرس التكرار وجماله .

(١) السابق، ص١٢٨.
(٢) شعر الخوارج ، إحسان عباس، ص ٢٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتكرار الحرف يستخدم كوسيلة لإنتاج الموسيقى لأن التكرار بطبعه عنصر موسيقي لما فيه من التماثل ، ويعرض البحث بعض الأمثلة التي ترددت فيها الحروف بشكل بارز كقول الضحاك بن قيس:

لا تطردوني إذا ما جئت زائركـُم ... رجُّوا الفَلاح وكونوا اليوم إخْوانا
كأنّهم لم يكونوا من صحابــتنا ... ولم يكونوا لنــا بالأمس خُلاَّنــا
يا عينُ اذري دموعاً منك تَهتَانا ... وابكي لنا صحبةً بانوا وإخوانا
خلَّوا لنا باطن الدنيا وظــاهرها ... وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا [١]

تكرار حرف (النون) في هذه الأبيات وفر للحروف نغمة موسيقية تتلاءم مع الألفاظ ، فالشاعر تعلو نغماته وتنخفض، وترتفع أمواج ألفاظه وتهدأ في حركة متسقة تشهد ببراعة الشاعر اللفظية والفنية، فنلاحظ أن حرف النون في كل بيت من أبيات القصيدة يتردد، وهذا يتناسب مع القافية النونية وصوت النون قد حاكى أنات الشاعر، مما يوحي بالأنين لأنه يخرج من الأنف وفيه غنة، وقد أوحى بنبرة مفعمة بالحزن.

فهناك تجاذب بين الموسيقى وانفعال الشاعر، فتكرار حرف النون بصورة مكثفة عكس الحالة النفسية المضطربة وصوت النون وما يحمله من معنى يفيد الأنين عمل على الكشف عن الرؤيا الشعرية وما يكتنفها من دلالات نلمسها في الأبيات السابقة بصورة الجمع (رجوا، كونوا، إخوانا ...).

حيث إن هذه الضمائر عكست ما كان يعانيه الشاعر من حرقة وحزن لفقد إخوانه الذين قتلوا .

ومن تكرار الحروف قول حجية بن أوس في رثاء رجاء النميري وأصحابه من الشُّراة:

إذا ذكرت نفسي رجــاء وصــحبهُ ... أكادُ على بعض الأمور ألومـها
فلله عينا من رأى مثل عُــصبةٍ ... أقام بضبع ابن الزبــير مُقيمها
ترى عافيات الطير يحجلن حولهم ... يقلبن أجســاماً قليـلاً لحــومها
فــوا حربــا ألا أكــون شــهدتــهم ... بمكة والخــيلان تدمي كلومها
ندمت على تركي رجاء وصـحبه ... وتلك لعـمري هفـوةٌ لا أُقالُـها [٢]

(١) السابق، ص ٢١٧.
(٢) السابق، ص ٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتكرار حرف (الهاء) في هذه الأبيات جاء بشكل لافت للنظر، فقد ورد حرف الهاء في هذه الأبيات اثنتا عشرة مرة، وهو حرف حلقي يحتاج إلى بعض الجهد في نطقه، حيث هدف الشاعر من خلال تكراره لما فيه من تأوه يدل على حزن الشاعر الشديد الممتد مع قافية الهاء الممدودة .

إن الحروف المكررة تأتي معبرة ومتناغمة مع الجو العام للقصيدة ، من ذلك قول عمران بن حطان:

أصبحت عن وجل مني وإيجاس — أشكو كلوم جراح ما لـها آسي
يا عين بكى لمرداس ومصرعه — يـــا رب ألحقـني بمـرداس
أنكرت بعدك ممن كنت أعرفـه — ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
قد كنت أبكيك حينا ثم قد نسيت — نفسي فما ردعني عبرتي ياسي [1]

إن تكرار حرف (السين) بصفيره العالي، قد منح النص طاقة صوتية منبعثة بفعل ذلك الصفير الذي أسبغ على الأبيات جمالية تنغيمية مميزة، فتكرار حرف السين وجعله رويا للقافية ألجأ الشاعر إلى فرض هذا الحرف داخل السياق النصي للأبيات، مما خلق جواً تنغيمياً امتد عبر الأبيات التي تجسد لنا معاناة الشاعر وحزنه الشديد على موت (مرداس)، فجاء حرف السين المكرر منسجماً مع حالة الحزن واليأس، فهذا التكرار لحرف السين صدر عن نفس مضطربة قلقة، فارتبط حرف السين باسم المرثي (مرداس)؛ ونتيجة الاهتمام بهذا الشخص تكرر السين في نسيج الأبيات فكان صدى له.

ومن تكرار الحروف ، التكرار لحرف (الراء) ومن ذلك قول المرأة الشيبانية:

ما بال دمعك يا مليكة جار — أم لا لقلبك لا يقر قرار ؟
أم ما لنفسك ليس يسكنها حزنها — ليلاً وليس نهارها بنهار؟
ألقيتُ جلبابي لعظم رزيتي — وبرزتُ سافرةً بغير خمارِ
زرتُ المقابر كي أُسلِّي عبرتي — هيهات مِمن زرتُ بعد فَرارِ
فلتبكِ نسوان الشراةِ بعبرةٍ — عند العِشاء، وكلّ كهلٍ شاري [2]

(١) السابق، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد تكرر حرف (الراء) في هذه الأبيات بشكل ملحوظ ، فقد ورد حرف الراء في هذه الأبيات تسع عشرة مرة ، وهو من الصوامت التي لها قوة إسماع دون الصوائت ، فصوت الراء من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، وإن تكرار الشاعرة لهذا الحرف في أبياتها علاوةً على اتخاذها روياً لقافيتها يتناسب مع تجسيد حالة الضعف التي أصابتها ؛ لذا فهو مشحون بانفعالات ألقت بظلالها على أبيات النص التي جاءت مملوءة بأجواء الحزن التي هيمنت على أبياتها، وقد جاء حرف الراء مكسوراً لينسجم مع حالة الأسى التي تعيشها الشاعرة .

يقول عمرو بن الحصين :

ما بال هــمك ليس عنك بعازب	يمري سوابق دمعك المتســاكب
وتبيت تكــتلي النــجوم بمقلةٍ	عبري تُسَرُّ بكل نجم دائب
حذر المــنية أن تجيء بداهة	لم أقضِ من تبع الشراة مآربي
فأقود فيــهم للــعدى شَنِجَ النَّــسا	عَبْلَ الشّوى أشران ضَمْرَ الحالبِ
أرمي به من جمع قومي معشراً	بُورًا أولي جَبْريــَّــةٍ ومــعايبِ [1]

حرف الباء حرف انفجاري شديد مجهور وهو من الحروف الشفوية، إذ يوحي انطباق الشفتين به على نغمة حزينة مع الكسرة التي تليها، ولقد جسد لنا تكرار حرف الباء أجواء الحرب والعنفوان التي مر بها الشاعر.

(١) السابق، ص١٣٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يأتي التكرار في أسلوب الكتابة، وذلك ما يسمى في العربية بالترصيع، حيث يكرر الشاعر بناء التركيب مع اختلاف المركبات، ومنه قول عمرو القنا مرتجزاً:

اليومَ عمروٌ وغدًا عبيدهْ
كلاهما شوكتُهُ شديدهْ
كلاهما غايته بعيدهْ
كلاهما طعنتُهُ عنيدهْ
كلاهما صَعْدَتُهُ جريدهْ
كلاهما وَقْعته مُبيدهْ
كلاهما فِرارُهُ مَكيدهْ (١)

فكلاهما في البيت الثاني تقابل (كلاهما) في البيت الثالث والربع إلى السابع، وكلمة (شوكته) تقابل (غايته)، ويمكن تمثيل الترصيع على النحو التالي:

كلاهما _____ شوكته _____ شديده
↓
كلاهما _____ غايته _____ بعيده
↓
كلاهما _____ طعنته _____ عنيده
↓
كلاهما _____ صعدته _____ جريده
↓
كلاهما _____ وقعته _____ مبيده
↓
كلاهما _____ فراره _____ مكيده

لقد وظف الشاعر بنية الترصيع المكررة بشكل واسع في الأسطر الشعرية لينشئ موسيقى غنائية تضفي رونقاً عذباً على النص الشعري، وحتى ينجذب المتلقي إلى هذه اللوحة الموسيقية استعان الشاعر بالترصيع الذي يُصيِّر الأسطر الشعرية عيناً تفيض نغماً.

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا عن تكرار الجملة الذي ظهر في شعر الخوارج فمنه قول أيوب بن خولى البجلي:

فإن بك خلي هدبة اليوم قد مضى — فإني بآلاء الفتى أنـــا نــادبه
فيا هدب للهـيجا يا هـدي للـندى — ويا هدب للخصم الألد يحاربه
ويا هــدب كــم من ملحم قد أجبته — وقـد أسلـمته للرماح حوالبــه [١]

تتجلى فكرة التكرار في إبراز المكرر به والعناية به لأنه محور الاهتمام، فقد جاءت جملة (يا هدب) التي تكررت في الأبيات السابقة خمس مرات وأتت أحدها بدون (يا)، فالتكرار الذي أتى به الشاعر يعكس طبيعة الحدث فالعاطفة الجياشة والإحساس بفقد هذا الرجل، جعل اسمه يتكرر بصورة لا شعورية عكست انفعال الشاعر، فهذا التكرار ولد لدى القارئ حسا بالتوتر ، مما جعله مشدوداً إلى هذا الاسم .

ولقد استغل الشاعر تقنية التوازي في البيت الثالث لكي يعرض فكرته ويرسخها في الآذان عبر إبراز شجاعة هذا الرجل من خلال التركيز والإلحاح على التكرار .

وقول الشيبانية في رثاء عمها:

أصبرت عن عمي الذي — قد كان بالمعروف آمر؟
أصبرت عن عمي الذي — كان المؤامر والمؤازر ؟ [٢]

إن التكرار هنا ليس من قبيل التنغيم الموسيقي المحض، بل جاء نابضاً بإحساس الشاعرة وعواطفها لفقدها عمها، فجاء التكرار لجملة (أصبرت عن عمي الذي) ليعمق الإحساس بالألم الذي تحمله تلك المرأة فجعلت تعدد مناقبه الحسنة ومكارمه الفضيلة ، فسارت الأبيات على وتيرة واحدة من الإيقاع الذي يشد المتلقي ليعرف ما كان عليه عمها من أخلاق وصفات حسنة.

ونرصد تقنية أخرى لهذا النوع من تكرار الجملة في قول أخت الحازوق الخارجي:

فلو كان لي مُلك اليمامة سومت — فوارس يسبون العذارى من شكر
ولو كان مُلك اليمامة قد غــزتْ — قبائل دَوْس كل قبيلة شقر [٣]

---

(١) السابق، ص ٢٩ .
(٢) السابق ، ص ٢٠١.
(٣) السابق، ص١٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتجلى في هذا النص التكرار لجملة الشرط (فلو كان لي ملك اليمامة)، فالنص يصور حالة الشاعرة المضطربة والمتوترة وما تكابده من حزن وآلام لفقدها أخيها . فعبر التكرار في الجملة الشرطية عن الرؤية الشعورية التي حاولت الشاعرة إسقاطها على سياقات النص، وتقوية الفكرة والأمنية التي تهدف لها الشاعرة بملك اليمامة لقدرة هذه الأمنية على الأخذ بثأر أخيها، فجاء تكرار (لو) الذي يفيد التمني معبراً عن ذلك.

ومن التكرار قول مليكة الشيبانية في رثاء عمّها:

أين الذين إذا ذكرتُ فعالهم عرفوا بحسن عفـافة ووقار؟

أين الذين إذا أتـاهم سـائلٌ بذلوا له أموالهـم بيسـار؟

أين الذين إذا ذكرنـا دينهم قالت عشائرهم: همُ الأخيارُ؟ [1]

يبرز التكرار واضحاً للجملة الاستفهامية (أين الذين إذا)، والتي جاءت في معرض الجواب، ففي الحقيقة الشاعرة لا تريد جواباً بتكرار سؤالها عن صفات عمها ومناقبه الحسنة ، لأنها تعلم جيداً ما كان عليه من أخلاق نبيلة ، فيبدو أن التكرار جاء منسجماً مع حالة الحزن والأسى الشديد لفقدها إياه، مما أضفى على الأبيات جواً تنغيمياً موسيقياً يبرز الإيقاع الداخلي للنص.

(١)السابق، ص ٢٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: التناص

يقوم التناص على التلاحم بين ما هو قديم والنص الحديث فيقوم المبدع بإضفاء لمسات من الموروث التراثي القديم على نصه الحديث ، وذلك عن طريق شيفرات يفهمها المتلقي ويقوم بعملية تفكيكها مما يضفي جواً من الإثراء والحيوية علي النص.

" والتناص أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكار أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب " [١]

" إن تقنية التناص بوصفها توالداً لنصوص جديدة من نصوص سابقة، أو نمواً لها، قد أصبحت غاية في الأهمية؛ لكونها تؤدي إلى تحديد هوية النص الأدبي ومنحه أبعاداً تضفي عليه صفة العمق والجدّة " [٢]

ويشكل التناص ظاهرة من ظواهر الحداثة في الأدب الحديث، كما يشكل التضمين ظاهرة بارزة في الأدب العباسي، غير أن التناص في الأدب الحديث يتميز عن التضمين في الأدب العباسي بأنه يتخذ شكلاً أكثر غموضاً وباطنية في النص الحديث فيبعد عن المباشرة [٣]، وللتناص دور هام في العمل الإبداعي ففيه " يغتني القديم بقراءة جديدة على ضوء المبدع ونظراته الساخرة المسلطة عليه، ويثري الجديد نفسه بأبعاد القديم التي يكسبها هذا المبدع "[٤]

وقد تعددت صور التناص وتنوعت أساليبه، فقد يثري المبدع فكرته فيتخذ من القرآن الكريم بحراً ينهل منه سواء ألفاظه أم شخصيات، وقد يتجه الشخص إلى السيرة النبوية وأحداثها المشرفة، وكذا الحال مع التاريخ وأحداثه وشخصياته البارزة والتي تركت بصمات خُلِّدت على مر العصور.

---

(١) ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان، محمد سليمان، ط١، (دار اليازوي العلمية للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٧م)، ص ١٢٦.

(٢) مصادر التناص في شعر سعدي يوسف، أحمد جبر شعث، (مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ٢٠١١م)، ص ٢٠ .

(٣) انظر: ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان، محمد سليمان، ص ١٢٧ .

(٤) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، إبراهيم خليل، ط١، (دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م)، ص٣٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويبرز التناص حضوراً واضحاً في شعر الخوارج، وذلك من خلال تناثره في المقطوعات الشعرية ؛ مما زاد في شعرية النصوص، واكتمال معانيها، وكان من بينه: التناص الديني، والتناص الأدبي، وقد كان هناك تفاوت في حضورهما ، حيث إن التناص الديني قد اكتسب اتساعاً واسعاً على مدى شعر الخوارج، أما عن التناص الأدبي فكان له حضور ولكن بصورة أقل من التناص الديني، أما على صعيد التناص التاريخي فلا نجد له حضوراً في أشعارهم وإن كان هناك بعض الإشارات البسيطة التي لم ترق إلى مستوى التناص التاريخي.

لقد تفرد الخوارج عن غيرهم من الفرق في كثرة التمثيل بآيات القرآن الكريم، ويجد المتأمل لشعر الخوارج أن شعراءهم قد اقتبسوا من القرآن كثيراً، وأن ظاهرة التناص مع آياته، قد بدت جلية واضحة في شعرهم، وهذا يعود إلى كثرة مدارستهم للقرآن، والشواهد على ذلك كثيرة، وجميعها تؤكد على أن الخوارج جماعة لا همّ لهم إلا عبادة الله وطاعته.

يقول عيسى بن فاتك الخطي مبيناً انتصار الفئة القليلة المسلمة على الفئة الكثيرة الكافرة وأن النصر لا يكون إلا من عند الله:

أألفاً مؤمنٍ فيما زعمتم	ويهزُمُهُم بآسك أربعونا
كذبتمُ ليس ذاك كما زعمتم	ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك	على الفئة الكثيرة ينصرونا [1]

استمد هذا المعنى من قوله تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [2] فالشاعر هنا استحضر أيضاً معركة بدر التاريخية الكبرى، التي انتصرت فيها الفئة القليلة المؤمنة على جموع الكفار، ومزج بين معركة بدر ومعركة (آسك) ليبين مدى التلاحم والارتباط الوثيق بين انتصار المسلمين في بدر وهم قلة مستضعفة، وبين فئة الخوارج المؤمنة الصالحة.

كما أن هذه الأبيات مستمدة من الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن منكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُم مِئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[3].

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٥٤-٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

(٣) سورة الأنفال، آية ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول أيوب بن خولي:

قتيلٌ قضى إذ عاهد الله نحبه ولم ينتظر إذا قيل أنك هالك [١]

نجد التناص في هذا البيت مع قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٢]، وقد وظف الشاعر هذا التناص ليدلل على صدق الخوارج واستماتتهم في الدفاع عن مبادئهم.

تقول مليكة الشيبانية في رثاء أخيها:

ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسانَ بالإحسان [٣]

تتناص الشاعرة مع قوله تعالى : ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٤]، ونلمس من خلال هذا التناص حرص الشاعرة على إبراز نبل أخيها وحرصه على سلوك دروب الخير.

وهناك تناص قرآني مع قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٥]

نجد ذلك واضحاً في قول الطرماح بن حكيم:

للهِ درّ الشـــــــراة إنـــــهم إذا الكرى مالَ بالطُّلا أرقُوا

يرجعون الحـــنينَ آونـــــةً وإن علا ساعةً بهم شَهَقوا

خوفاً تبيت القلوبُ واجفـــةً تكادُ عنها الصدورُ تنفلِقُ [٦]

وفي هذا التناص دلالة على الصورة الإيمانية الحقة التي تجلت في فرسان الخوارج فقارئ هذه الأبيات سرعان ما تتماثل له صورة المؤمنين الأوائل وقد تجلت في أبطال الخوارج، وقد هدف الشاعر من وراء هذا التناص إلى استمالة القلوب للتعاطف مع فرسان الخوارج.

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٣٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٢٣.

(٣) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢٠٣.

(٤) سورة الرحمن، آية ٦٠

(٥) سورة الأنفال، آية ٢.

(٦) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص٢٣٨-٢٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الصورة تتكرر عند الكثير من شعراء الخوارج، فقيس بن الأصم الضبي يرثي الخوارج الذين قتلوا عند الجوسق، فيقول:

إنني أدينُ بما دان الشُّراة بهِ ... يوم النخيلة عند الجوسق الخربِ
النافرين على منهـاجِ أوّلـهم ... من الخوارج قبـل الشـكِّ والرَّيبِ
قوماً إذا ذُكِّروا باللهِ أوْ ذَكروا ... خرُّوا منَ الخوفِ للأذقانِ والركبِ [١]

استقى الشاعر فكرة وصفه لإخوانه الشراة من قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّا﴾[٢].

وأراد آخر أن يكمل وصف إخوانه ، وهذا ما نجده في قول عمرو بن الحصين يرثي أبا حمزة الشاري وغيره من الشراة ، متناصاً مع قوله تعالى : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣]، إذ يقول:

إلا تجـــــئهم فـــــإنـــهـم ... رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأنَّ جَمْر غَضَـــاً ... للموتِ بينَ ضُلوعهِمْ يسْري [٤]

ويقول عمرو بن الحصين مستلهماً ما جاء في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٥]

صرعى فخاوية ببيوتهم ... وخوامع بجسومهم تفري [٦]

ومن التناص الديني قول عمران بن حطان:

لا يستـــوي المنـــزلان ولا الـــ ... أعـمالُ لا تستـوي طرائقُها
هما فريقـان – فِرقةٌ تدخلُ الـ ... ـجنّةَ حفّـتْ بهـمْ حَدائِقـها
وفِرقــةٌ منهمُ قد أُدخِلـتْ النـــا ... رَ فشـــانتـــهُمُ مـرافِقُـــها [٧]

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٧٧.
(٢) سورة مريم، آية ٥٨.
(٣) سورة السجدة، آية ١٦.
(٤) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٤١-١٤٢.
(٥) سورة الحاقة، آية ٧ .
(٦) ديوان الخوارج، نايف معروف ، ص ١٤٥.
(٧) السابق، ص١٢٢-١٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأخذ معناها من قوله تعالى :﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾(١).

إن الخوارج أصحاب عفة لا يسألون الناس حتى وهم في أمس الحاجة إلى ذلك ، حتى أن الجاهل بهم يظنهم أصحاب مال وثروة، يقول عمرو الإباضي:

متراحمين ذوو يسارهم ... يتعطفون على ذوي الفقْر
وذو خصاصَتِهم كأنَّهُم ... من صِدْقِ عِفَّتِهم ذوو وَفْرِ
مُتجملينَ بِطِيبِ خيمِهِم ... لا يهلعُون لِنُبُوة الدهْرِ (٢)

استقى عمرو بن الحسن الإباضى ذلك من قوله تعالى:﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(٣).
وهناك تناص آخر في الأبيات السابقة مع الآية الكريمة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

ولا يخفى علينا ما في هذا التناص من استمالة لقلوب نحو الخوارج وكأنهم الفئة التي عناها الله في كتابه العزيز .
وهناك تناص قرآني مع قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾(٥).

نجد ذلك واضحاً في قول عمران بن حطان:

فيها شرابٌ لهم يشوي وجُوههم ... مِن الحميم ويُروَى شُرْبُها المُهلُ (٦)

فيصف عمران بن حطان حال من يدخل النار مقتبساً ذلك من الآية الكريمة السابقة.

---

(١) سورة السجدة، الآيات من ١٨-٢٠ .
(٢) شعر الخوارج ، إحسان عباس، ص ٢٢٣ .
(٣) سورة البقرة، آية ٢٧٣ .
(٤) سورة الحشر، آية ٩ .
(٥) سورة يونس، آية ٤ .
(٦) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد حذر الخوارج من الدنيا، ومن الاغترار بها، ودارت هذه الفكرة في أشعارهم معتمدين في تحذيرهم على القرآن الكريم، وعلى الآية الكريمة التي تقول:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١]، فهي بمثابة الصرخة المدوية في آذان الغافلين تنبه وتوقظ ، فيسمعها عمران بن حطان ، فترتعد أطرافه ، ويحشرج صوته ، ويرتجف قلبه ، فيقول متناصًا مع الآية السابقة:

وليس لعيشنا هذا مــهاةٌ ... وليستْ دارُنا هــاتا بــدارِ
وإن قُلنا لعلَّ بـِها قــراراً ... فمـا فيــها لحــيٍّ من قرار
ولا تبْقى ، ولا نبقى عليها ... ولا في الأمْرِ نأخُذُ بالخِيَار [٢]

واتخذ آخر من أسماء سور القرآن الكريم عنواناً لأبياته مثل (**طه ، وآل عمران**) يقول عمران بن حطان مستشهدا بذلك:

لو كنت مستغفراً يوماً لطاغيةٍ ... كنت المُقَدّم في سرّي وإعلاني
لكنْ أبتْ لي آياتٌ مُطــهرةٌ ... عند الولايةِ في **طه وعِمــرْانِ** [٣]

ففي هذا التناص إشارة إلى انسجام الخوارج مع الموقف الذي يجب أن يسلكه المؤمن مع الطغاة ، وهذا ما برز جلياً واضحاً في هاتين السورتين .

ومنه قول مليكة الشيبانية في رثاء أخيها ، متخذة من سورة (**الفرقان**) عنواناً لأحد أبياتها فتقول:

سوف أبكي عليك ما سمعت ... أذناي يوماً تلاوة **الفرقان** [٤]

إن القارئ لهذا البيت سرعان ما يتبادر إليه الوصف الذي ذكره الله – عز وجل – لعباده في هذه السورة وكأن الشاعرة أرادت أن تقول إن الخوارج هم المعنيون بهذه الأبيات.

ومما يلفت الانتباه ويزيد القصيدة حيوية ،أن نجد في القصيدة الواحدة أكثر من تناص قرآني، ويظهر ذلك واضحاً في قول الطرماح بن حكيم:

---

(١) سورة الرحمن، آية ٢٦.
(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١١٢.
(٣) السابق، ص ١٣٦.
(٤) السابق، ص ٢٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عجباً ما عَجِبْتُ للْجـــامِعِ الما ... ل يُـــــباهي به ويرْتَـــفدُهْ
وَيضِيـــعُ الـذي يُصـــيَّرُهُ الـلَّـ ... ـهُ إليهِ فليـــس يعتـــــقدُهْ
يـومَ لا ينفـعُ المُخـوّلَ ذا الثَّر ... وَة خِـلاَّنُه ولا وَلـــــدُهْ
يوم يُؤْتى به وخصماهُ وسط الـ ... ـجنِّ والإنْـــسِ رجلُـهُ ويـدُهْ
خاضعَ الطَّـرفِ ليْـسَ ينفعـهُ ... ثَمَّ أَمـانيُّـهُ ولا لَـــــدَدُهْ
قُل لِباكي الأموات لا يَبْكِ للـنا ... س ولا يسْتـــــنِعْ بِهِ فَنـــــدُهْ
إنَّما النّاسُ مثْلُ نابِتَـةِ الـزَّرع ... متى يأنِ يـــــأتِ محتصـــــدُهْ [١]

يتناص الشاعر في هذه الأبيات، مع بعض آيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [٢] وقوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٣] وقوله: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [٤]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٥].

استلهم الشاعر أبياته السابقة من الآيات القرآنية، وكأنها حاضرة أمامه عند نظمه للأبيات السابقة، والتي يحسن القول فيها بأنها أشبه، ما تكون بمواعظ تحذر من الاغترار بالدنياعلى هيئة جملة من النصائح والتوجيهات السديدة.

وتقول أم عمران في رثاء ولدها

اللـــه أيـــد عِمـــــراناً وطهّـرَهُ ... وكانَ عِمـــرانُ يدعو اللهَ في السِّحَر
يدعُـــوهُ سِـــراً وإعـــــلاناً ليرزُقه ... شهادةً بيديْ مِلحادةٍ غُـــدُر [٦]

تستلهم الشاعرة، قولـه تعـالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٧]، لتدلل على تقوى ولدها وورعه الشديد.

---

(١) السابق، ص ٨٤.
(٢) سورة الشعراء، آية ٨٨.
(٣) سورة يونس، آية ٤٩ .
(٤) سورة النور، آية ٢٤ .
(٥) سورة الأعراف، آية ٣٤ .
(٦) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٢٨.
(٧) سورة البقرة، آية ٢٧٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأرادت بعض نساء الخوارج أن تبرز تقوى الخوارج، وأنه الزاد الذي يتزودون به يوم الحساب، مستوحيةً ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[١].

إذ تقول ليلى بنت طريف الشيبانية :

أيا شجر الخابورِ مالكَ مُورقـــاً كأنَّك لمْ تحْزن على ابن طَريـفِ

فتى لا يحبُّ الزَّادَ إلا مِنَ التُّقى ولا المالَ إلا منْ قَناً وســيوفِ [٢]

ويقول الرهين المرادي:

تخالُ صفّهُم في كلّ معتركٍ للموتِ سوراً من البنيان مرصوصا[٣]

يتناص الشاعر في هذا البيت ، مع قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٤]

وقد كشف الشاعر من خلال هذا التناص عن قوة الخوارج وشدة تماسكهم وترابطهم .

وهذا عمران بن حطان ، يؤكد بأن أخوة الإسلام أعظم أخوة ، وهي الرابطة التي تربط وتجمع كل المسلمين على اختلاف ألوانهم و أماكن سكناهم، وهذه الفكرة استقاها عمران بن حطان من قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٥]

إذ يقول :

فنحن بنو الإسلامِ والله واحدٌ وأَولى عبادِ اللهِ باللهِ من شكَر[٦]

ومن التناص الديني من القرآن الكريم أيضاً، والذي يبدو جلياً وواضحاً قول سميرة بن الجعد:

علا فوق عرشٍ فوق سبعٍ ودونهُ سماءٌ يرى الأرواحُ مِنْ دونِها تجْري[٧]

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٧

(٢) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص ١٨٣.

(٣) شعر الخوارج ، إحسان عباس ، ص ٦٢ .

(٤) سورة الصف ، آية ٤ .

(٥) سورة الصف ، آية ٤ .

(٦) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص١١١.

(٧) السابق، ص٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا إشارة واضحة إلى قوله تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ (١).

وكذلك قول الحسن بن عمر الإباضي:

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أنَّ ما يخفى عليه يغيبُ (٢)

فالشطر الأول يتناص مع قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣)

والشطر الثاني يتناص مع قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾(٤).

وكقول عمران بن حطان:

يوشكُ من فر من منيتهِ في بعض غرَّاتهِ يُوافِقُها (٥)

نجد التناص في هذا البيت مع قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٦)، وقوله تعالى:﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾(٧)

ومنه قول قطري بن الفجاءة:

ولست أرى نفساً تموت وإن دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا (٨)

مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾(٩).

---

(١) سورة الملك، آية ٣.

(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس، ٢٣٤.

(٣) سورة إبراهيم، آية ٤٢.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٣٨.

(٥) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص١٧١.

(٦) سورة الجمعة، آية ٨.

(٧) سورة الأحزاب، آية١٦.

(٨) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١٧٦.

(٩) سورة آل عمران، آية ١٤٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن التناص قول أبي الوازع الراسبي:

فجاهِد أناسٌ حاربوا الله واصطَبِرْ عَسى اللهُ أنْ يخْزَى غَوَى بن حربِ[1]

فأبو الوزاع استقى فكرة بيته من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ، وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

هذه الأمثلة التي جئنا بها في معرض تبياننا للأثر الذي أحدثه القرآن في نفوس الخوارج، وذلك من خلال التناص الديني في شعرهم، يعد دلالة واضحة على مدى التأثر العميق الذي أحدثه القرآن في نفوسهم، ولا عجب في ذلك فالقوم كان لهم القرآن دستوراً وقانوناً ملهماً وموجهاً، ومثلاً أعلى في دقة التعبير، ووضوح الأسلوب وصراحته، فجعلوا القرآن الكريم منهج عمل وطريقة تعبير عما يحاك في نفوسهم.

اهتم شعراء الخوارج **بالموروث الأدبي الشعري** وما يحمله من دلالات وإيحاءات، وحاولوا التناص معها، فعملوا على استلهام دلالاتها للبوح عما يختلج في صدورهم، ونلمس من خلال التناصات – التي سيتطرق إليها الباحث – تماثل الحالة النفسية للمتناص مع الحالة النفسية لصاحب النص مما استدعى هذه التناصات فعلى سبيل المثال يقول الطرماح بن حكيم:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا ارتحِ بصُبحٍ وما الإصباحُ منْكَ بأرْوحِ [3]

يتكئ الشاعر في البيت السابق على قول امرئ القيس:

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انْجلِي بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ [4]

ومن التناص الأدبي قول قيس بن الأصمّ الضبي:

فقلت لأصحابي : قِفوا – حين أشرفُوا– قليلاً لكي نبكي وقُوفاً وننظرُ [5]

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١٦.

(٢) سورة المائدة ، آية ٣٥.

(٣) الأغاني، أبوالفرج الأصفهاني، ط٢، ج ١٠(مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧١هـ ، ١٩٥٢م) ص١٥٦ .

(٤) ديوان امرئ القيس ، شرحه وعلق عليه: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٤٩.

(٥) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١٧٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتناص هذا البيت مع قول امرئ القيس في معلقته:

قفا نبكي من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ [١]

أما التناص مع قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيـةُ أنشبـت أظفارهـا ألفيـتَ كـل تميمـة لا تنفـع [٢]

فتمثل في قول بعض الخوارج:

ومن يخشى أظفار المنايا فإننا لبسنا لهن السابغات من الصبر [٣]

ومن القصائد التي تناص معها شعراء الخوارج ما قالته الخنساء يوم سمعت نبأ مقتل أخيها صخر، فوقع الخبر على قلبها كالصاعقة في الهشيم ، فلبّت النار به، وتوقدت جمرات قلبها حزناً عليه، ونطق لسانها بمرثيات له بلغت عشرات القصائد، وكان مما قالته:

أعينـي جـودا ولا تجمـدا ألا تبـكيان لصـخر النـدي [٤]

تناصت معها أخت حازوق الخارجي التي رثت أخاها:

أعيني جودا بالدموع على الصخر على الفارس المقتول في الجبل الوعر [٥]

قالت المليكة الشيبانية ترثي عمّها:

ما بـال دمعكِ يا مليكةُ جـارِ أم مـا لقلبـك لا يقـرُّ قـرارُ؟[٦]

يتناص هذا البيت مع قول الخنساء:

ما بالُ عيْنيْكِ منها دمعُـها سَرَبُ أراعَها حـزَنٌ أمْ عادها طـرَبُ [٧]

---

(١) ديوان امرئ القيس، عبد الرحمن المصطاوي، ص٢١ .

(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين، أبي سعيد السُّكري، تحقيق: عبد الستار فرّاج ، ج١، د.ط ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، د. ت)، ص٨ .

(٣) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص ٢٢٦.

(٤) ديوان الخنساء، تحقيق : أنور أبو سويلم، ط١، (دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) ص ١٤٣.

(٥) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٧٦.

(٦) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ٢٠٢.

(٧) ديوان الخنساء ، تحقيق: أنور أبو سويلم، ص ٢٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول عمرو بن الحصين يرثي أبا حمزة وغيره من الشُّراة:

أَقَــذَيً بعينــكَ مــا يُفَــارقُــهــا أمْ عائــرٌ، أم ما لهــا تُــذْري [١]

استقى الشاعر فكرة هذا البيت مع ما قالته الخنساء من قصيدة مطلعها:

قــذي بعينــك أم بالعيـن عـوار أم ذرفت إذا خلت من أهلها الدارُ [٢]

أما التناص مع قول النابغة الذبياني:

كليني إليــهم يا أميمــة ناصــبُ وليل أقاسيــــه بطيء الكواكــبُ [٣]

تمثله بيهس بنُ صهيب في قوله:

إذا قلــتُ هذا حين أهجعُ ساعةً تـطاول بــي ليــلٌ كواكبُــهُ زُهْرُ [٤]

وهذا عيسى بن فاتك يتناص مع ما قاله القائد المسلم سليمان الفارسي عندما اجتمع مع نفر من العرب، فأخذ كل واحد منهما يفتخر بنسبه، فهذا يقول : أنا قرشي، وذاك يقول: أنا قيسي ، وآخر يقول: أنا تميمي، أما سليمان الفارسي رضي الله عنه فقال:

أبــي الإسـلامُ لا أبَ لي سـواه إذا افتـخروا بقــيسٍ أو تمــيم [٥]

فقال الشاعر الخارجي عيسى بن فاتك متناصاً مع ذلك:

أبــي الإســلامُ ، لا أبَ لي سواهُ إذا فَخــروا ببــكرٍ أو تميـــمِ
كِــلا الحيّين ينـصُرُ مُـدّعِيــهِ ليُلــحقَهُ بذي الحَسَـبِ الصّــميمِ
ومــا حسبٌ ولو كرُمتْ عُـروقٌ ولكــنّ التـــقيَّ هو الكريـــم [٦]

---

(١) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص ١٤١ .

(٢) ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبو سويلم، ص ٣٧٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق: كرم البستاني، ط١، (المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، د.ت)، ص٩ .

(٤) ديوان الخوارج، إحسان عباس، ص ٣٤ .

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: محمد بن سامح، ط١، (دار الجوزي للنشر، القاهرة ، ٢٠١٠م) ، ص١٥٣.

(٦)شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٥٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن القصائد التي تناص معها شعراء الخوارج أيضاً قول عنترة بن شداد مفتخراً بنفسه:

وفي الحرب العوان ولدتُ طفلاً ومن لبن المعامــع قد سقيتُ[١]

تمثله الجعد بن أبي صمام الهذلي في رثائه صالح بن مسرح:

وقد كان في الحرب العوان يشُبُّها ويُسْعِرُها بالخيل محبوكةً جُردا [٢]

أمّا على صعيد التناص الداخلي فلقد تناص الكثير من شعراء الخوارج فيما بينهم بحيث تجد تشابه يكاد يكون واضحاً في مقطوعاتهم الشعرية، وهذا يعود إلى طبيعة التجربة الواحدة، التي مر بها أكثر الشعراء، وظروفهم وطبيعة حياتهم .

ومن التناص الداخلي قول عطية بن سمرة:

وحسبي من الدنيا دلاصٌ حصينةٌ ومغفرها يوماً وصدر قنــاةٍ

وأجرد محبــوبك الســراة مقـلص شديد أعاليه ، وعشر شراة [٣]

يتناص هذا البيت مع قول عمرو القنا:

فحسبي من الدنيا دلاص حصينة وأجردُ خوار العنــان نجيــــب

معي كل أواه برى الصوم جسمه ففي الوجه منه نهكة وشحــوب [٤]

ومثله قول الرهين المرداي:

إنـــي لبائـــع مــا يفنى لباقيــةٍ إن لم يعقني رجاء العيش تربيصا [٥]

يتناص هذا البيت مع قول أبي بلال:

إني وزنت الذي يبقى بعاجلة تفنى وشيكا ، فلا والله ما اتزنا [٦]

---

(١) ديوان عنترة ، كرم البستاني ، ط١، (دار صادر ، بيروت ، د. ت) ، ص ١٠٧ .

(٢) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص٣٨.

(٣) شعر الخوارج ، إحسان عباس ، ص ٦٧.

(٤) السابق ، ص ٨٨.

(٥)السابق ، ص ٦٢.

(٦) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص ١٩٥ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: التقديم والتأخير:

"من الطبيعي أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء ، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة " [١]، كما أن الجملة في العربية تخضع لترتيب معين هذا الترتيب ينظم تتابع أجزائها في الهيكل الأساسي للبناء اللغوي، ومن ثم تستكمل عناصر أخرى يتم بها التعبير وتنقل الآراء والانفعالات، فهناك التركيب الاسمي للجملة، وفيه يتقدم المبتدأ ويتلوه الخبر، وهناك التركيب الفعلي للجملة، تبدأ فيه بالفعل ثم الفاعل وبعده المفعول به، وعلى إثره تتوالى الأجزاء التي تكون مشتركة كالحال والتميز [٢]، وإذا تأملنا البناء النحوي نجد خروجاً عن هذا النظام الذي عرفنا، وضمن احتمالات لغوية كامنة في ماهية اللغة العربية، فيلجأ الشاعر إلى أن يقدم ويؤخر لأسباب معينة.

ويعد التقديم والتأخير فناً من فنون علم المعاني في العربية، ويلجأ الكاتب لهذا الفن لغرض ما، ولقد عقد الجرجاني لهُ فصلاً في مؤلفه (دلائل الإعجاز)، قدّمه بقوله: " ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه؛ ويلطف لديك موقعهُ، ثم تنظر فتجد سبب أَنْ راقك ولطف عندك أنَّ قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان " [٣]، و ذكر ابن الأثير أن التقديم والتأخير في متعلقات الفعل يكون على وجهين: أحدهما الاختصاص، والآخر مراعاة نظم الكلام [٤]، ويقصد بنظم الكلام النظم السجعي، أي الجانب الصوتي، وفي جميع الأحوال والظروف، تأتي أسباب التقديم والتأخير لهدف عند الكاتب أو الشاعر، أو لضرورة معينه هدف إليها الشاعر.

ومن مظاهر التقديم والتأخير في شعر الخوارج تقديم المفعول على الفاعل، ومنه قول حطان الأعسر:

بليتُ وأبلانـــي الجهاد وساقني إلى الموت إخوانٌ لنا وأقاربُ [٥]

---

(١) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ط١، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢) ص١٤٨.

(٢) انظر: جماليات الأسلوب، فايز الداية ، د. ط (مديرية مكتبة المطبوعات الجامعية، حلب، ١٩٨٩) ص٧٦.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، د.ط، (مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤) ص١٠٦ .

(٤) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير، تعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، ج٢، ط٢(دار النهضة ، مصر، د.ت)، ص٢١١.

(٥) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا مناص أمام الشاعر من تقديم المفعول وتأخير الفاعل وذلك لكون المفعول ضميراً متصلاً والفاعل اسماً ظاهراً، وقد قصد الشاعر من وراء ذلك التخصيص ولفت انتباه القارئ وإحداث نوع من التأثير عليه وإشراكه في العملية الإبداعية للنص مما يضفي جمالية موسيقية على البيت الشعري.

وكذلك قول أحد الخوارج:

تعيرني بالحرب عرسي وما درت بأني لها في كل ما أمرتْ ضِدُّ[١]

حيث قدم المفعول وهو الضمير في (تعيرني) على الفاعل (عرسي)، وذلك ليفيد التخصيص، حيث خص نفسه بالمعايرة، وقد قصد من وراء هذا التقديم والتخصيص استهجانه واستغرابه من هذه المعايرة التي تجانب الحقيقة والواقع.

ومثله قول قطري بن الفجاءة المازني:

ولو قرَّب الموتَ القراعُ لقد أنى لموتي أن يدنو لطول قراعيا [٢]

وقد قدم الشاعر المفعول وهو (الموت) وأخَّر الفاعل وهو (القراع) وذلك ليدلل على حرصه الشديد على طلب الشهادة، مما يعكس شجاعة الشاعر، وزهده في هذه الحياة الدنيا.

ومن التقديم والتأخير قول عبيدة بن هلال اليشكري:

فيا نفسُ صبراً أكلُّ ما حُمَّ واقعٌ وليس إلى ما تعلمين سبيلُ [٣]

حيث وجب على الشاعر تأخير كلمة (سبيل) التي حقها التقديم لكونها اسم ليس، وذلك للفت انتباه القارئ وجذب انتباهه إلى الغاية التي ينشدها الخارجي، المتمثلة في طلبه للشهادة وحرصه عليها.

ومثله قول قطري بن الفجاءة المازني:

يــا نفسُ لا يلهينَّك الأمــلُ فربما أكذب المنى الأجــلُ [٤]

---

(١) السابق، ص ٢٢١ .

(٢) السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) شعر الخوارج ، إحسان عباس ، ص ١٠٠ .

(٤) ديوان الخوارج ، نايف معروف ، ص١٧٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث قدم المفعول (المنى) على الفاعل (الأجل) وذلك ليدلل على خداع الأماني للنفس البشرية.

ومثله قول الطرماح بن حكيم :

والنارُ لم ينجُ من روعاتها أحدٌ إلا المنيبُ بقلب المخلص الشاري [١]

التقديم والتأخير جاء في موضعين، أحدهما قوله (النار) حيث قدم المسند إليه ثم كرره في الضمير وذلك لتقوية الحكم وتقريره المعنى في ذهن السامع، والآخر لفظة (أحد) فحقها أن تتقدم لكونه فاعلاً للفعل (ينجو) ، ولكن الشاعر قدم الجار والمجرور على الفاعل وذلك لإفادة التخصيص.

ومن التقديم والتأخير تقديم الجار والمجرور على الجملة الاسمية، يقول الطرماح بن حكيم:

لله دَرّ الشـــرُاة إنـــــهم إذا الكَرى مال بالطُّلى أرقُوا

يُرجعِّــون الحنــين آونـــة وإن عـلا ساعةً بهم شهقوا

خــوفاً تبيتُ القلـوبُ واجفةً تكادُ عنها الصُّدور تنفلقُ[٢]

اعتمد الشاعر على التقديم والتأخير وعمل على توظيفه في الأبيات السابقة ، فنرى أنه في البيت الأول قدم لفظ الجلالة (الله) الذي جاء جاراً ومجروراً على الجملة الاسمية (در الشراة)، وكذلك في الشطر الثاني من البيت الثاني قدم الجار والمجرور (بهم) على الجملة الفعلية (شهقوا) وفي البيت الثالث قدم المفعول به (خوفاً) على الفعل والفاعل، وذلك لإفادة التخصيص الذي قصد من ورائه إبراز تقوى الخوارج، وشدة ورعهم.

وكذلك قول أبي الوازع الراسبي:

لسانُك لا تنكي به القوم إنما تنال بكفيك النجاة من الكرب [٣]

إن عجز البيت يشتمل تقديم شبه الجملة (بكفيك) على المفعول به (النجاة) وهذا التقديم فيه إشارة إلى أن النجاة لا ترجى من الآخرين، بل على الإنسان أن يلتمس النجاة معتمداً

---

(١) السابق، ص ٨٥.

(٢)السابق، ص٨٦.

(٣) السابق، ص ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على قدرته لا مؤملاً في الغير، ففي التقديم والتأخير لفت انتباه المتلقي إلى المقصود من القول، إذ المقصود ليس النجاة فحسب، إنما المقصود النجاة بالاعتماد على الذات.

ومثله قول الحارث بن كعب الشني:

أيهـــات قد أبـــلى عظـامي وشفـــها وأسهر ليلي ذكر عون ابن احمر

فتى كان لا يخشى ســوى الله وحـــده ويطمـع فـي معـروفه كل معتر

يجاهد في اللـه ابـن أحمـــرَ صادقاً إذا ما ارتضى بالجور كل مقصر [١]

إن التقديم والتأخير قام على خرق الأصل في المعيار النحوي لكل بيت من هذه الأبيات، ففي البيت الأول قدم الشاعر المفعول به على الفاعل المتأخر إذ إن الترتيب في الأصل هو (أسهر ذكر عون بن أحمر ليلي) فعمد الشاعر إلى تقديم المفعول وتأخير الفاعل وذلك لجذب انتباه السامع، والعمل على إحداث تأثير عاطفي وجمالي عليه، وذلك لما يحمله هذا المرثي من تأثير على نفس الشاعر، وفي البيت الثاني قام الشاعر بتقديم خبر كان (فتى) على اسمها المحذوف، بالإضافة إلى تقديم الجار والمجرور (في معرفة) على الفاعل (كل) فصورة التقديم والتأخير في البيت الثاني خرجت لتفيد غرضًا بلاغيًا وهو إبراز المخصوص، فالكسر لقانون رتبة الجملة، والخرق للمعيار النحوي في الأبيات السابقة عمل على تحريك دلالات النص وخلق بنية شعورية فاعلة وقادرة على إدهاش المتلقي ولفت انتباهه.

يقول قطري بن الفجاءة:

رمينا بشيخٍ يفلِق الصـخر رأيـه يـراه رجـال حـــول رايـتـه أبـا

نفاكم عن الجســر المـهلب عنـوة وعن صحصح الأهواز نفياً مشذبا[٢]

يجد المتأمل لهذه الأبيات أن الشاعر يتلاعب بأركان التراكيب وسياقاتها المألوفة، ولعل هذا من الوسائل التي لجأ إليها الشاعر لإحداث نوع من التأثير على المتلقي وإشراكه في العملية الإبداعية ، ففي البيت الأول قدم الشاعر المفعول به (الصخر) على الفاعل (رأيه) لتجسيد مضمون الوحدات اللغوية المكونة للنص، ولم يكتف الشاعر بذلك بل عمد في الشطر الثاني من البيت إلى الفصل بين الفاعل والمفعول به بجملة (حول رايته) لإحداث نوع من التنبيه على المتلقي إذ هو في الأصل (رجال أبا ...).

---

(١) السابق، ص ٣٩.

(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي البيت الثاني يكشف لنا النص عن تقديم وتأخير آخر تمثل في تقديم (الجار والمجرور) على الفاعل والمفعول به (المهلب عنوة)، فعمد الشاعر إلى تقديم مكان انهزامهم (عن الجسر) أمام (المهلب) بهدف تجسيد المحتوى النفسي له، حيث أن التقديم والتأخير خرج ليفيد غرضًا بلاغيًا ألا وهو (التخصيص) فالنص يعكس حالة شعورية ولدها إحساس الشاعر بمرارة الهزيمة وفقده لأصحابه، فكانت تلك الطاقة الانفعالية قد فرضت على الشاعر نوعا من التقديم والتأخير يتناسب مع هموم الشاعر وآلامه ومع الطاقة النفسية الكامنة في وعيه.

ومثله قوله:

وأنحى عليكم يوم أربل نابه وكان من الأيام يوماً عصبا
فلن تهزموه بالمنى فاصبروا له وقولوا لأمر الله أهلاً ومرحباً [1]

عمد الشاعر إلى التقديم والتأخير في الأبيات السابقة فقدم الجار والمجرور (عليكم) على المفعول به (اليوم)، وكذلك في الشطر الثاني تم تأخير (كان) وتقديم الجار والمجرور، وفي عجز البيت الثاني تقدم الجار والمجرور (لأمر الله) على المفعول به (أهلاً ومرحبا)، ولقد أدى التقديم والتأخير دوراً في تصعيد درجة التوتر لمحاولة استكشاف أبعاد التجربة الشعرية عند الخوارج، وما يتطلب ذلك من استحضار لدور القارئ ولفت انتباهه من أجل التفاعل مع النص.

ومنه قوله:

لعمرك إني يوم ألطم وجهها على نائبات الدهر جد لئيم [2]

فالشاعر لجأ إلى تأخير خبر إن إلى آخر البيت وذلك لتحقيق الانسجام الموسيقي بين هذا البيت والأبيات الأخرى، لأن الخبر يحمل القافية التي يمكن من خلالها الحفاظ على وزن البيت، وللقارئ أن يدرك الفارق الموسيقي فيما لو جاء الخبر في مكانه الأصلي فقلنا: (إني جد لئيم على نائبات الدهر يوم ألطم وجهها)، فإن التفكك الموسيقي واضح في ذلك، لذا فإن الغرض من تأخير الخبر هو الحفاظ على موسيقى البيت، ومراعاة للنظم السجعي للنص، حيث إن الشاعر قد وفق في نسجه للبيت وتوظيفه للكلمات في المكان الصحيح مما أحدث جواً من الموسيقى والجمال على البيت الشعري.

---

(١) السابق، ص ١١٦.

(٢) السابق، ص ١٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثله قول عمران بن حطان:

لقد زاد الحياة إليَّ بغضاً وحبَّاً للخروج أبو بلال [١]

فتأخير الفاعل وتقديم المفعول ليس للتخصيص هنا فحسب إنما الغرض الأساسي منه هو مراعاة نظم الكلام، لأن النص يفقد رونقه الموسيقي إذا لم يتأخر الفاعل ليكون آخر البيت لكونه يحمل حرف الروي الذي يشكل القافية التي تحدث بشكل أساس موسيقى النص.

ومثله قول أحد الخوارج:

سقى بلداً تضمن خيبراً ومسكيناً ويعقوب الغمامُ [٢]

وذكر ابن الأثير في المثل السائر نوعاً آخر من التقديم والتأخير يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك [٣]، كتقديم الأكبر على الأصغر، والأقرب على الأبعد وهذا النوع يكون غرضه بلاغياً.

ومنه قول عبد الله بن أبي الحوساء الكلابي:

تجري المجرَّة والنَّسران عن قدرٍ والشمس والقمر الساري بمقدار [٤]

فقدم الشاعر المجرة على الشمس وقدم الشمس على القمر من باب تقديم الأكبر على الأصغر، وهذا التقديم من شأنه أن ينظم عرض النص، حيث إن ذكر الأشياء دون علاقات واضحة بينهما من شأنه أن يجعل النص غير مقبول لدى المتلقي لما يحويه من غموض واضطراب .

وكذلك قول امرأة من الخوارج مخاطبة الحجاج:

أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبن بالليل أجمعا [٥]

لجأت الشاعرة إلى التقديم والتأخير في البيت السابق فقدمت (بناته) على (عماته) وهذا التقديم والتأخير خرج ليفيد غرضًا بلاغيًا جديدًا وهو تقدم الكلمة لتقدمها في الرتبة فقدم البنات لأنهن أقرب في الرتبة إلى المرثي من العمات.

---

(١) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص ١٢٨ .

(٢) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٢١٧.

(٣) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ص٢٢٣.

(٤) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٤١.

(٥) ديوان الخوارج، نايف معروف ، ص٢٢٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع : الالتفات :

يتضمن الالتفات معنى الصرف والالتواء، يقال: لفت وجهه عن القوم ، صرفه، والتفت التفاتاً، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، ويقال لفتُّ فلاناً عن رأيه، أي صرفته عنه، ومنه الالتفات [(١)]، ويرى ابن المعتز أنَّ الالتفات هو: " انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك"[(٢)].

ولقد ذكر ابن رشيق أنه يسمى الاعتراض وعند الآخرين الاستطراد، فبين أن سبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول [(٣)].

" والكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد " [(٤)]، ويرى الخطيب القزويني أن المشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، ثم إنه يوافق الزمخشري في رأيه في الغرض من الالتفات [(٥)].

وخير من تحدث عن الالتفات ابن الأثير في كتابه المثل السائر، فيحاول أن يعطينا صورة مفصلة وأكثر وضوحاً، فيبن دلالات الالتفات، فذكر أنه يعرف بشجاعة العربية، ثم يعترض على من يعلل استخدام هذا الفن بأنه عادة في أساليب كلامها، ثم يعارض الزمخشري في تعريفه بأن الالتفات يستعمل للتفنن في الكلام، وأن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب يعمل على تطرية ذهن السامع، ويرد عليه بأن ذلك إشارة على أن السامع يمل من أسلوب واحدة على وتيرة واحدة، فينتقل إلى غيره ليجدد النشاط، وهذا قدح في الكلام لا وصف له، لأنه لو كان حسناً لما

---

(١) انظر، لسان العرب، لابن منظور، مادة: (لفت) ، مج٥، ج٤٥، ص ٤٠٥١ .

(٢) البديع، لابن المعتز، تعليق إغناطيوس كراتشقوفسكي ط٣ ،(دار المسيرة ، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ،ص ٥٨.

(٣) راجع: العمدة في محاسن الشعر، الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط ج٢،(دار الجيل ، بيروت ، د.ت) ص ٤٥ .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عُمر، ط١، ج١ ، تحقيق: عبد الرزاق عبد المهدي (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان . ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م) ، ص٥٦.

(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص٦٨ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملَّ، ثم يعلل استخدام هذا الفن بأن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو من الخطاب إلى الغيبة لا يكن إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة لا تحد بحد، ولا يجري غرض هذا الفن على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود [١]، وقد بانت هذه الظاهرة بصورة جلية في شعر الخوارج، ومن أشكالها:

الالتفات من التكلم إلى الخطاب كقول أخت حازوق الخارجي:

أعيني جودي بالدموع على الصدر ... على الفارس المقتول في الجبل الوعر
فإن تقتلوا الحازوق وابن مطرفٍ ... فإنا قتلنا حوشبا وأبا حشرِ [٢]

التفتت الشاعرة، في هذين البيتين، من التكلم إلى الخطاب، وقد وظفت هذا الالتفات للانتقال من حالة الحزن والأسى التي ألمت بها، لمقتل أخيها، إلى التعالي على الجراح والألم والمفاخرة بما أوقعوه من قتل في صفوف أعدائهم.

وقول عمران بن حطان:

أصبحتُ عن وجلٍ مِني وإيجاس ... أشكو كُلُومَ جراحٍ ما لها آسي
يا عين بكى لمرداس ومصرعه ... يا ربُّ مرداسٍ ألحقني بمرداس
أنكرتَ بعدكَ مـمن كنت أعرِفهُ ... ما الناسُ بعدكَ يا مرداسُ بالناسِ [٣]

بدأ مقطوعته بالتكلم وانتقل إلى الخاطب الموجه إلى مرداس، ثم عاد إلى الإخبار بالتكلم، مبيناً الحال الذي آل إليه بعد موت مرداس ليفيد حالة الحزن والتألم لفقده، فيوجه له الخطاب موضحًا مناقبه الحسنة، وخصاله العطرة، متمنياً اللحاق به لأن الحياة من بعده أضحت لا تطاق.

وقول زياد الأعسم:

أقيم على الدنيا كأني لا أرى ... زوالاً لها ، وأحسب العيش باقيا
ألا فاذكرون داود إذ باع نفسه ... وجاد بها إذ يبغى الجنان العواليا [٤]

---

(١) انظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج٢، ص ١٦٨ –١٦٩.
(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١٧.
(٣) السابق، ص١١٦ .
(٤) السابق، ص ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يلتفت الشاعر من التكلم إلى الخطاب، ليؤكد على الغاية السامية، المتمثلة ببيع النفس لله وعدم الاغترار بهذه الحياة الفانية.

****

ومن الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، قول أيوب بن خولي:

تركننا تميماً في الغبار ملحبا　　تبكـــي عليه عرسه وقرائبه

وقد أسلمت قيس تميما ومالكا　　كما اسلم الشحاج أمس أقاربه [١]

لقد وظف الشاعر التفاته ، من التكلم إلى الغيبة لاستدراك ذكر قادة أعدائهم الذين نكل بهم الخوارج وأنزلوا بهم الموت المؤزر.

وقول الجعدي بن أبي صمام الذُّهلي في رثائه صالح بن مسرّح:

أيا عينُ فابكي صالحاً ، إن صـالحاً　　شـرى لله يبـغي بهـا الخُـلدا

وقـد كـان ذا رأي مُـبين ورأفـةٍ　　صفوحاً عن العوْراء يدْفَعُها عَمْدا[٢]

يلتفت الشاعر في هذين البيتين ، من التكلم إلى الغيبة، حتى يبين مناقب هذا القائد الخارجي المقدام ، بل إن من حق العين أن تبكي على قائد صنديد مثله.

ومن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، قول أبو العيزار:

فثوى صريعاً ، والرماح تنوشه　　إن الشراة قصيرة الأعمار

أدبـاء إذا ما جـئتهم خطباء　　ضـمناء كل كتـيبة جرَّار [٣]

فالالتفات في النص يتحرك من الغيبة (فثوى ، تنوشه) إلى الخطاب في (جئتهم) وفي ذلك تفنن في أساليب الكلام بالإضافة إلى أن ذلك يعظم مكانة جماعة من الخوارج من خلال ذكر صفاتهم، ويبرز أيضاً من شأن المخاطب.

****

(١) السابق، ص ٢٩.

(٢) السابق، ص ٣٨.

(٣) السابق، ص ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قول عمران بن حطان:

يا عين بكى لمرداس ومصرعه — يا رب مرداس ألحقني بـمرداس
تركتني هائـــماً أبـكي لمـرزئه — في منزل موحـش من بعد إيناس
أنكرت بعدك ممن كنت أعـرفه — ما الناس بعدك يا مرداس بالناس [١]

نتلمس من خلال هذه الأبيات، كيف أن الشاعر عمد إلى اختيار بعض تقنيات الالتفات ليمثل التجربة الذاتية، إذ أنه اعتمد على أسلوب الالتفات فانتقل في الخطاب من أسلوب المخاطب إلى الغائب مما ساعد على إضفاء جمالية تنغيمية حزينة على الأبيات، وإكسابها أسلوبها الخاص من خلال ذلك الانفعال والدفق الشعوري المتواصل، ومن الواضح أن الشاعر قد وقع تحت تأثير انفعالاته العاطفية والنفسية نتيجة شعوره بالمرارة والحزن لفقده أصحابه وقد انبثق ذلك الالتفات ليبين لنا الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر، واليأس الذي لا يمكن مقاومته.

ومن ذلك قول عمرو بن الحصين:

إلا تـــجئـهـم فـإنـهـم — رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كـــأن جمر غضا — للموت بين ضلوعهم يسري
تـلـقاهـم ألا كـأنـــهـم — لخشوعهم صدروا عن الحشر [٢]

يبرز في الأبيات السابقة الالتفات من الخاطب (تجيئهم، تلقاهم) إلى الغيبة المتمثل في الضمير (لخشوعهم، ضلوعهم، ...) وذلك ليعظم من شأن الخوارج وصفاتهم التي يحبها المسلمون والعرب، وفي هذا الانصراف من الخطاب إلى الغيبة إشارة إلى أهمية الطرف المنصرف إليه.

****

(١) السابق، ص ١١٦.
(٢) السابق، ص١٤١- ١٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الالتفات من الخطاب إلى التكلم قول الشاعر معاذ بن جوين:

فشدوا على القوم العداة فإنما إقامتكم للذبح رأياً مضللا
ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التي إذا ذكرت كانت أبر وأعدلا
فيا ليتني فيكم على ظهر سابح شديد القصيري درعا غير أعزلا
يعز علي أن تخافوا وتطردوا ولما حرر المحلين منصلا [1]

لقد جاء الالتفات من الخطاب الذي جاء على صورة الخطاب الجمعي الذي يمثل واقع الشاعر والجماعة في قوله (ألا فاقصدوا ، شدوا) إلى ضمير المتكلم (يا ليتني ، عليَّ) وفي ذلك دلالة على معاناة الشاعر الشخصية المتمثلة بحسبه فأراد أن يجعل معاناته الشخصية تالية لمعاناة الجماعة كما هو موضح في الأبيات، بالإضافة إلى إيقاظ ذهن السامع إذ يتوقع المتلقي حسب السياق أن يكون التعبير (فيا ليتهم) بدلا من (ليتني) وهذا التغاير الحاصل يستدعي من المتلقي أن يمعن النظر في النص .

وكذلك قول عمرو بن الحصين:

أنى اعتراك وكنت عهدي لا سرب الدموع وكنت ذا سرب
أقذي بعينك ما يفارقها أم عائر أم ما لها تدري
أم ذكر أخوان فجعت بهم سلكوا سبيلهم على قدر
فأجبتها بل ذكر مصرعهم لا غير عبراتها تمري
يا رب أسلكني سبيلهم ذا العرش واشدد بالتقى أزري [2]

فالالتفات يتحرك من الخطاب(بعينك ، اعتراك ، ...) إلى التكلم في البيتين الأخيرين(فأجبتها، يا رب أسلكني) فالملاحظ أن الدلالة هنا تتجسد في الأبيات وتستمد قوتها بفعل تقنية الحوار الداخلي مع الشاعر (المنولوج) الذي له القدرة على الإيحاء والعمل على ترابط الأسطر الشعرية لاستكمال حقيقة الحدث، حيث إن طبيعة الخطاب هنا انفعالية من المبدع وإفهامية من المتلقي، ولقد تم من خلال توظيف الالتفات من الخطاب إلى التكلم تحويل الخطاب إلى تقنية إبلاغية يوظفها المبدع لانجاز حدث تواصل بين الأنا والشخص الآخر.

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٤٥.
(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: الأساليب الإنشائية:

إن اللغة وسيلة لتقديم المعارف والخبرات الإنسانية، حيث تعد مادة الفك، ومادة التفاعل النفسي والشخصي، ووسيلة لنقل الشحنات العاطفية " إن اللفظ هو وسيلتنا الوحيدة إلى إدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي، وهو الأداة الوحيدة المهيأة للأديب لينقل إلينا من خلالها تجاربه الشعورية، وهو لا يؤدي هاتين المهمتين إلا حين يقع التطابق بينه وبين الحالة الشعورية التي يصورها وعندئذ فقط يستنفذ – على قدر الإمكان – تلك الطاقة الشعورية ويوجهها إلى نفوس الآخرين " [١] وتعد اللغة من أهم عناصر بناء العمل الأدبي والمادة الأولية التشكيلية، واللغة أداة الأدب المحققة لكل سماته الموسيقية والرمزية والدلالية، تحافظ من حيث البناء والدلالة على معنى اللفظة القاموسي، مع الحرص على وضوح الجرس الصوتي لها " [٢] .

ويقول رينيه وارين حول نظرية الأدب عنها: " واللغة هي بالحرف الواحد، مادة الأديب، ويمكن القول إن كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة " [٣]، واللغة عندما تدخل في صناعة الشعر فإنها تتخلى عن وظيفتها العادية، إلى وظيفة أكثر رفعةً وسمواً، ألا وهي وظيفة الجمال التي تتسع فيها الرموز والمعاني ، فتفتح أبواب التأويل أمام الناقد والمتلقي على مصراعيها [٤].

يجد القارئ أن الخوارج قد استخدموا في شعرهم الأساليب والصيغ الإنشائية بديلاً عن المقدمات التقليدية، ويلاحظ المتأمل لشعرهم أن معظم قصائدهم، جاءت بلا مقدمات، وقد غلب على قصائدهم المقطوعات، وهذا ما دفعهم إلى ترك المقدمات التقليدية، واستعاضوا عنها بأسلوب المحاورة والتساؤل الذي يساعد الشاعر على الدخول وبسرعة في موضوعه، ويعتقد الباحث أن ذلك يرجع إلى الحالة النفسية المتأزمة التي مروا بها، وطبيعة التجربة التي عاشوها وألمت بهم عند نظمهم قصائدهم، ومن الأساليب اللغوية التي برزت في شعرهم:

---

(١) البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ط١ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٤م) ص١٢٩.

(٢) شعر ناجي الموقف والأداة، طه وادي، ط١ (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م) ص٢٥.

(٣) نظرية الأدب، رينيه وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، ط٢ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٨٢م)، ص١٧٩.

(٤)انظر: الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد عام ١٩٦٧م، أحمد زعرب، (رسالة ماجستير، لجامعة الإسلامية، غزة ، ٢٠٠٨م)، ص ٧٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: النداء:

يعدُّ من الأساليب الإنشائية الطلبية، ويستخدم بهدف تنبيه المدعو لتلبية النداء باستخدام العديد من الأدوات، تنوب جميعها مكان الفعل (أدعو) أو (أنادي) وقد لجأ شعراء الخوارج إلى استخدام هذا الأسلوب بصورة واضحة بسبب الظروف القاسية والمريرة التي تعرضت لها فرقهم، فكانت حاجة الخوارج للنداء ملحة للتعبير عمّا حل بهم من ظلم وجور الحكام، ومن الملاحظ أن شعراء الخوارج قد استخدموا أدوات النداء المخصصة للقريب والبعيد دائماً لاستحضار المنادى، وجعله يقع دائماً في منزلة القريب، وقد ظهر هذا واضحاً في أغراض الدعوة للجهاد، ورثاء قتلاهم ،ووصف الانتصارات، والنقد السياسي، وهذا ما نلاحظه في دعاء حبيب بن خِدرة الهلالي إلى الله لرفع البلاء عنهم، وتخليصهم من ظلم الحكام يقول:

يـــاربُّ إنـّهُم عصـوك وحكموا في الـدين كل مُلَّـعنٍ جبار
يدعو إلى سُبُل الضَّلالة والرّدى والحقُّ أبلجُ مثل ضوء نهار[١]

وظـف الشـاعر النـداء للدلالـة علـى تعظيمـه لله – عـز وجـل– وإظهـار ضـعفه أمامـه، واستجلاب قدرته لينتصر له من أولئك الحكام الذين عصوا الله وحكموا بغير ما أنزل.

ومن النداء قول الضحاك بن قيس، راثياً سعيد بن بهدل:

فيا ملحق الأرواح ، هل أنت ملحقي بموتى مضى فيهم سعيد بن بهدل؟[٢]

يتمنى الشاعر من خلال توظيفه أداة النداء(يا)، وهذا التساؤل على الله عز وجل أن يعجل له باللحاق بمن أحب من قتلى الخوارج، وقد أظهر الشاعر من خلال توظيفه لأسلوب النداء والاستفهام الحسرة على فقدان الأحبة، والعزم على طلب الشهادة.

وفي الغرض ذاته يقول أيوب بن خولي راثياً أصحاب شوذب الخارجي :

فيا هدبُ للهيجا، ويا هدب للنَّدى ويا هُدْبُ للخصم الألدِّ يحاربُه
ويا هدب كم من ملحم قد أجـبته وقد أسلمْتهُ للرماح جوالبُه [٣]

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٤٣ .
(٢) السابق، ص٨٢.
(٣) السابق، ص ٢٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد وظف الشاعر النداء لتعظيم المنادى وإظهار مناقبه الحسنة، ولقد لجأ الشاعر إلى توظيف (كم) الخبرية في صدر البيت الثاني لإبراز مناقب من يرثيه من محاربته لأعدائه، وتحرير الأسرى؛ فجاء ذلك منسجماً مع جو النص.

ومنه قول عمران بن حطان :

يا جمر قد مات مرداس وأخوته وقبل موتهم مات النبيونا

يا جمر لو سلمت نفسٌ مطهرة من حادثٍ لم يزل يا جمر يعيينا [١]

يوجه الشاعر النداء لجمرة ليبين مدى التحسر والألم الذي أصابه لفقد الأحبة، ولكنه سرعان ما يتحول من التحسر والحزن الأليم الذي ألمّ به إلى ناصحٍ وموجهٍ لجمرة، فيبين لها حقيقة الدنيا وزوالها، وحقيقة الموت ووجوبه على كل إنسان.

ويقول أبو مرداس بن أدية متمنياً على الله أن يرزقه الشهادة، وأن يؤيد أخوانه بالنصر والصبر على المحن:

إلهي هب لي زلفة ووسيلة إليك فإني قد سئمت من الدهر

وقد أظهر الجور الولاة وحكموا على ظلم أهل الحق بالغدر والكفر

فيا رب لا تسلم ولاتك للردى وأيدهم يا رب بالنصر والصبر [٢]

يلاحظ المتأمل للأبيات السابقة أن الشاعر وظف أسلوب النداء من خلال حذفه لأداة النداء في البيت الأول ، وذلك للدلالة على تعظيمه لله عز وجل ، ومدى قربه من نفسه من ناحية، ولتبيان مدى حرصه الشديد على طلبه للشهادة ، مع توظيف الشاعر للطباق (الجور، الحق،) مما ساعد على جلاء المعنى والفكرة التي أرادها الشاعر.

ومن ذلك قول أبو المِصكّ الطّائي:

يا لهف نفسي على سيفٍ وشيعته لو كنتُ ألحقت سيفاً بالخبيثينا [٣]

---

(١) السابق، ص١٥٠.

(٢) السابق، ص١٩٣.

(٣) السابق، ص١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد وظف الشاعر النداء في مطلع بيته ليبث لواعج حزنه وأسفه على ما فعله سيف بن هانئ حين قدّمه للقتل وقد حمل أسلوب النداء في طياته معنى التوبيخ والإنكار، وتمثل ذلك بوصف سيفٍ (بالخبيثينا) .

يقول عمرو بن الحصين موظفاً أسلوب النداء:

ياربِّ أوجبها ولا تتعلقن نفسي المنون لدى أكفُّ قرائبِ [١]

يجد المتأمل لهذا البيت بأن الشاعر يظهر، من خلال هذا التوظيف تلهفه الشديد للموت في سبيل الله ، حيث يتمنى الشهادة وتحقيقها في أسرع وقت.

ومن ذلك قول امرأة من الخوارج في بداية مرثيتها:

يا عين جودي بالدموع وابكي بجهد المستطيع

يا موت ويحك ما تزال مفرقا بين الجميع [٢]

تخاطب هذه المرأة الخارجية عينها وتطلب منها أن تجود بالدموع على فقيدها، مما يظهر مدى الألم والحسرة الذي ملأ قلبها ووجدانها لفقدها من تحب، وتعود في البيت الثاني فتوجه النداء مرة أخرى للموت لعله يستجيب لها ، فتحقره وتوبخه لأنه أخذ منها أغلى ما تملك فهو المفرق للجمع والمسبب للحزن، وكأنها تريد أن تلومه على ذلك مما يوحى بحرارة الموقف وهول المصيبة التي ألمت بها.

ومنه قول حصين بن السعدي:

أيا قطري بن الفجاءة أمنا من النصف شيءٌ غير فعل الجبابر [٣]

يوظف الشاعر النداء في هذا البيت ليدلل على مدى حبه لقائده قطري ، ولومه على حذره وفراره من العدو ، وحرصه الشديد على نصحه ليرجع عن ذلك الفعل.

---

(١) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ٢٢٩.

(٢) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص٢٢٩.

(٣)السابق، ص٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الاستفهام:

لجأ إليه الشعراء الخوارج لينوعوا لغتهم الشعرية عبر ما يحدثه من تغيير في بنية الجمل الشعرية، من أجل الخروج بصيغ جديدة توحي بنضج الإبداع لديهم، وقد عكس توتراً وقلقاً يستشعره الشعراء كل يوم مع تكرار المحنة أمامهم في كل لحظة، حيث أصبح الاستفهام وسيلة بحثهم الذهني الذائب عن بوابات الفرج، ولقد شكل هذا الأسلوب مساحة تعبيرية كبيرة تستوعب دلالات متنوعة تكون قادرة على الإحاطة بأسئلة الشاعر، مما يؤدى إلى زيادة طاقة النص الإيحائية، وإن الأسئلة التي أطلقها الشعراء الخوارج كانت في الغالب تجسيداً للروح التشاؤمية التي ترجو الخلاص ومعرفة سر الوجود، وهذه التساؤلات المختلفة والأفكار نجدها مطروحة على الساحة الفكرية للخوارج.

يقول سلامة بن عامر القُشيري راثياً الخطّار النميري:

ألا خبّراني – بارك الله فيكما– متى العهدُ بالخطّار يا فتيان؟[1]

يظهر الشاعر نغمة قلبية حزينة، فيتساءل عن موعد الشهادة، واللحاق بإخوانه الذين سبقوه إلى طريق الجنان مستخدماً أداة الاستفهام (ألا).

ومن ذلك قول مليكة الشيبانية:

من لجارتك الضعافِ إذا حـلَّ بها نازلٌ مِن الحـــــدثانِ؟
من لضيفٍ ينتابُ في ظلمةِ الليلِ إذا ملَّ منزل الضـــيفانِ؟
سوف أبكي عليكَ ما سمعتْ أذنايَ يوماً تـــلاوة الفرقـــانِ
أين منْ يحفـظُ القرابةَ والصهر ويُؤتى لحـــاجة اللهفـــانِ؟
ويحوطُ المولى ويصطنعُ الخيرَ ويجزي الإحســانَ بالإحسانِ
ويكـفُّ الأذى ويبتذلُ المعروفَ سَمْـــحَ اليدين سَبْطَ البنان[2]

نوعت الشاعرة في أدوات الاستفهام ، فنجد البيت الأول والثاني يقومان على تكرار أداة الاستفهام (من)، بينما البيت الرابع يقوم على توظيف أداة الاستفهام (أين)، فيأتي تساؤل الشاعرة على شكل حوار داخلي بينها وبين نفسها ، فهي لا تريد جواباً من الآخرين، وإنما جاءت بالاستفهام لتظهر الحزن الشديد واللوعة لفراق من ترثيه، فهذا التساؤل يجسد قضية نفسية أليمة

(١) السابق، ص ٦٩.
(٢)السابق، ص٢٠٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاشتها الشاعرة، لذلك بدت الأبيات أكثر حزنا، فقد حملت أفقين، أفق الشاعرة الحزينة وأفق الغياب الذي خلفه فقيدها، فهي لا تغفل صفاته الحميدة ومناقبه الحسنة مثل(حفظ القرابة، صلة الرحم، الكرم والشجاعة، بذل المعروف ، ...) لتقدم معنى جديداً للقارئ أو المتلقي لتقريره في النفوس، ثم تعود في البيت الثالث فتخاطب المرثي وكأنه جواب لأسئلتها التي لم تلق الإجابة عنها، فلا تجد أمامها سوى البكاء الذي يخلصها من الحزن الأليم، وتعاود مرة أخرى فتعدد مناقب من ترثيه وصفاته على توظيف مكثف لصيغ الفعل المضارع (يحفظ، يحوط، يصطنع، يكف، يجزي، يبتذل) التي تحمل بعداً نفسياً بأن الحدث يصاحبه شعور بالحرقة والولع بصورة مستمرة لا ينقطع.

ومن الاستفهام قول سميرة بن الجعد مرسلاً أبياتا للحجاج باحثاً عمن يبلغه إياها:

فمن مبلــغ الحــجاج أن سميــرة ... قلى كل دين غير دين الخوارج
رأى الـــناس إلا مــن رأى مثـله ... ملاعين تراكين قصد المــناهج
فأي امرئ أي امرئ يا ابن يوسف ... ظفرت به لم يأت غير الولائــج
إذن لرأيــت الحق مـنه مخـالفــا ... لدينك إن كنت امرءا غير فالج [1]

بدأ الشاعر أبياته بأسلوب الاستفهام (من مبلغ) الذي يحمل معنى الرفض والإنكار الذي يتلاءم مع موقف الشاعر الرافض لسياسة الحجاج، ثم يعود ليوظف أداة الاستفهام (أي) التي خرجت لتفيد معنى التعجب، ولقد أراد الشاعر من خلال ذلك أن يقدم رؤية فكرية اعتقدها الخوارج وآمنوا بها ألا وهي الانتماء القوي لمذهبهم ومحاربة كل من يخالفهم وتكفيره، فتوظيف الشاعر لبنية الاستفهام في الأبيات السابقة شكل نقطة انطلاق دارت من خلالها أفكار الشاعر التي أراد إيصالها للحجاج، وبالنظر إلى هذه الأبيات نجد أن الشاعر قد أبدى براعة فنية عالية الجودة في تقديم أفكاره، فلم يكتف الشاعر بأسلوب الخطاب المباشر بل اعتمد على تقنية الاستفهام وأراد تأخير جواب الاستفهام في البيت الثالث من قصيدته حتى يشد المتلقي ويجذب انتباهه، مما ساعد على تحقيق وحدة الانسجام الموضوعي للفكرة التي أراد الشاعر إيصالها والتعبير عن الموقف السياسي والديني الذي يحمله.

(١) السابق، ص٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثله قول الحصين بن حفصة السعدي:

أيا قطـري بن الفجـــاءة أمـا لنا ... من النصف شيءٌ غير فعل الجبابر
أما تستـحي يا ابن الفجاءة من التي ... لبست بـها عـــاراً وأنـت مـهاجـر
أفـي كـل يـــوم للمهلب أســلمت ... لـه شـفتاك الفـم والقـلـب طـائـر
فحـتى متى هـذا الفـرار حـذاره ... وأنـت ولـــي والمـهـلـب كـافـر
أإن قال يـومـاً عـامـر فـضربـته ... بأبيض مصـقول فـلله عـامـــر [1]

تنهض فعالية النص عبر تتابع صيغ الاستفهام التي جاءت متنوعة في الأبيات، وخاصة الهمزة التي جاءت لتفيد معنى التوبيخ والإنكار، والمتأمل لسياق النص يلاحظ بأن الشاعر لم يرد الإجابة من خلال الأسئلة التي يطرحها؛ وإنما جاء بها على سبيل الإنكار، فأدوات الاستفهام تتعلق بقطري بن الفجاءة ، والموقف الشعري قائم على توجيه اللوم والعتاب، وخير دليل على ذلك توظيف الشاعر لأداة النداء التي تستخدم للبعيد بقوله (أيا قطري) مما يوحي بوجود فجوة مكانية كبيرة بين قائل النص وقطري بن الفجاءة الذي يعد من أبرز فرسان الخوارج، بالإضافة إلى أداة الاستفهام (أين) التي تدل على الزمان سواء كان ماضياً أو مستقبلاً، فالشاعر وظف الاستفهام (بالهمزة ومتى) من أجل تعظيم الموقف وتهويله ،وحتى يعبر عن الحالة النفسية المتأزمة التي عاشها الشاعر ومر بها نتيجة ما وصل إليه حال الخوارج، فتصدر أبيات الشاعر بأدوات الاستفهام عملت على تحريك دلالات النص وأضفت مشاركة وجدانية من قبل المتلقي ليتفاعل مع جو النص.

ومن ذلك قول مليكة الشيبانية في رثاء عمّها:

أين الذين إذا ذكرتُ فعالهم ... عرفوا بحسن عفـــافة ووقار ؟
أين الذين إذا أتاهم سـائلٌ ... بذلوا له أموالـهم بيســار ؟
أين الذين إذا ذكرنا دينهم ... قالت عشائرهم : همُ الأخيارُ ؟[2]

تنطـوي هـذه الأبيـات علـى نبـرة حزينـة جسـدها السـياق العـام باسـتعمال الشـاعرة أداة الاستفهام (أين) التي جاءت معبرة في أدائها ووظيفتها، وقد أسهمت في إضفاء جو من التشويق لمعرفة عما تسأل عنه الشاعرة، وهالة من الحزن والمرارة عند ذكر مناقب من ترثيهم من القتلى والتي تمثلت في (العفة، والوقار، الكرم، المروءة ...) حيث أن الشاعرة تعلم تمام العلم، ما كان

(١) شعر الخوارج ، إحسان عباس، ص ١٠٣-١٠٤.
(٢) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص٢٠٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه عمها وغيره من شهداء الخوارج من الكرم والجود والعفاف ، ولكن جاءت بتكرار السؤال في مطلع كل بيت من القصيدة لوصف الانفعالات بصورة بارزة، وتعبيراً عن عاطفة اليأس والحزن التي ملكت خواطر الشاعرة .

ومثله قولها في رثاء عمها:

أصبرت عن عمي الذي قد كان بالمعروف آمر؟
أصبرت عن عمي الذي كان المؤامر والمؤازر ؟ [1]

جاء تكرار(الهمزة) حرف الاستفهام، ليكشف لنا الموقف الأليم الذي تعايشه الشاعرة لفقدها عمها ، وليس من أجل الحصول على إجابات تعلمها مسبقاً، وتعكس كثافة الاستفهام وتكراره المفاجأة والذهول والانفعال الذي يسيطر على الشاعرة بالإضافة إلى تحريك وجدان المتلقي للتوحد مع انفعالات الشاعرة والتحليق مع دلالات الألفاظ وما توحيه من ألم وحسرة.

ثالثاً: الأمر:

الأمر نقيض النهي، يقال: أمره يأمره أمراً فأتمر أي قبل أمره[2]، والأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، فينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى رتبة ممن يخاطبه أو يوجه إليه الأمر [3].

ويعد أسلوب الأمر بتحولاته التركيبية من الأساليب التي حرص الشاعر الخارجي على توظيفها ضمن تجربته الشعرية، وهو أسلوب إنشائي طلبي مهم له قيمة إيحائية في بنية النص، لما يضيفه من أثر جمالي على الصورة التي يظهر فيها، ولما يحمله من طاقة دلالية وتعبيرية قادرة على الإفصاح عن هموم الشاعر وآماله.

إن توظيف أسلوب الأمر جسد المعاناة الروحية والنفسية للخوارج، ونلتمس ذلك في قول عمران بن حطان:

فاكفف كما كف أنني رجل إما صميم وإما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومي مسألتي ماذا تريد إلى شيخ لأوزاع
أما الصلاة فإني غير تاركها كل امرئ للذي ينعى به ساع

---

(١) السابق، ص٢٠١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (أمر)، ج١، ص ١٢٥.

(٣) انظر: معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، د.ط ، ج١ (مطبوعات المجمع العلمي العراقي، تكريت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص٣١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكــرم بروح بن زنباع وأســرته قـــوم دعـــا أولـيهـــم للعـــلا داع
فاعمـــل فإنـك منـعي بواحدة حســـب اللبيب بهذا الشيب من ناع [١]

إن مجيء أسلوب الأمر بسمته التراكمية أدى إلى تحريك دلالات النص التي عبر عنها الشاعر في أبياته السابقة، فعمل على إقامة علاقة ترابطية تستجيب لحالة التأزم النفسي والمعانة التي حلت بالشاعر بعد أن أصبح مطارداً، لذا نجد أن توظيف الشاعر لأفعال الأمر (اكفف، أكرم،اعمل) أشاع جواً من الحيوية تتناسب مع حالة الشاعر، فاستخدام الشاعر لهذه الأفعال إنما تعكس رفض الشاعر واحتجاجه على ذلك الواقع الأليم ، وتكثيف الشعور بتشتت الشاعر وتوتر حالته النفسية ، ولعل توظيف الشاعر لأفعال الأمر في الأبيات السابقة أمرٌ مقصودٌ لما يحمله من شحنات الغضب والانفعال، فعمد الشاعر من خلالها إلى إسقاط كل ما كان يشعر به من مرارة وحسرة على ذاته.

ومن ذلك قول عمران بن حطان:

إن كنت كارهةً للموت فارتحلي ثم اطلبي أهل أرضٍ لا يموتونا [٢]

وظف الشاعر في هذا البيت صيغة الأمر (فارتحلي – اطلبي) معجزاً بها هذه النفس التي أرادت التعلق بهذه الحياة الفانية، ومقراً للحقيقة الكونية الخالدة، أن الموت نهاية كل كائن حي.

وقال شاعر من الخوارج:

يا طالب الحــق لا تستهوِ بالأمل فإنَّ من دون ما تهوى مدَى الأجـلِ
واعمل لـربـك واسـألـهُ مـثوبـتهُ فـإنَ تقْواهُ ، فاعلمْ أفضلَ العَمـلِ[٣]

يحذر الشاعر في البيتين السابقين المؤمن السائر إلى الله من الاغترار بالآمال الخادعة، التي يكشف زيفها انقضاض الأجل على هذا الإنسان، ويطلب منه الالتفات إلى الأشياء التي تعينه على بلوغ غايته بنيل رضا الله – سبحانه وتعالى– وقد غلّف هذا الطلب بصيغ الأمر(اعمل، اسأله، اعلم) التي تحمل في طياتها معنى النصح والإرشاد.

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص١٢٠.
(٢) السابق، ص ١٣٢ .
(٣) السابق،ص٢٣٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه قول قطري بن الفجاءة مخاطباً سميرة بن الجعد:

وتُبْ توبةً تـهدى إلـيك شهادةً فـإنـك ذو ذنـبٍ ولستَ بكافرِ
وسِر نحونا تلقَ الـجهاد غنيمةً تُفِدْك ابتياعاً رابِحاً غير خاسرِ [1]

يبين الشاعر من خلال البيتين السابقين سلامة الطريق الذي سلكه الخوارج، وذلك من خلال توظيفه للأمر (تب، سر)، الذي جزم به فلاح من سار على درب الخوارج، وضلال من تنكب عن طريقهم وسلك غيرها.

(١) السابق، ص١٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع
الخيال والصورة الشعرية

- مفهوم الخيال والصورة الشعرية.
- أولاً: التشبيه.
- ثانياً: الاستعارة.
- ثالثاً: الكناية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفهوم الخيال:

يعد الخيال وسيلة فنية هامة بالنسبة للعمل الشعري، ويلعب دوراً مهماً بالنسبة للإنسان، فهو قوة دافعة تجدد نشاطه، وقلب نابض بتجديد الحيوية، حيث أن الخيال ضروري ومهم ونافع في نفس الوقت، وعلى هذا فإن للخيال أهمية كبرى في حياة الإنسان، يقول أبو القاسم الشابي " إن الخيال ضروري للإنسان لابد منه ولا غنية عنه، ضروري له كالنور والهواء والماء والسماء، ضروري لروح الإنسان ولقلبه ولعقله وشعوره " [١].

ويقول " وبالخيال يعبر الشاعر عن خوالج نفسه وعن تجربته، وعن ما يحس ويشعر به، إذ أن الشعور هو العنصر الأول من عناصر الفن ... وهو ذلك النهر الجميل المتدفق في صدر الإنسانية منذ القدم مترنماً بأفراحها وأتراحها " [٢]، وليس للشعراء غنى عنه البتة فهو الوسيلة التي يعبرون من خلاله عن تجربتهم الشعرية، وأفكارهم ومعانيهم، وما يحاك بداخلهم من عواطف وأحاسيس، ويمتاز الشعر عن باقي ألوان التعبير الأخرى بالخيال، فهو لبنة أساسية في العمل الشعري ، ويعد عنصراً من عناصر تشكيل صورة الأدب، وله الدور الفعّال في إثارة العاطفة وتجميع جزيئات الصورة الشعرية والربط بينهما [٣].

ويعرفه جابر عصفور بقوله: " قدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو بمكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك " [٤].

ويذهب الشايب إلى أن تعريف الخيال وتحديده أمر صعب وشاق وذلك لسبب أن الكلمة ترد في العبارات مبهمة غير واضحة كأنها تعني شيئاً غير واضح ومفهوم، ولأنها تدل على صور عقلية متشابهة وإن لم تكن متحدة [٥].

---

(١) الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، ط٢،(مطبعة الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٥م) ص١٨ .

(٢) السابق، ص ٢٣ .

(٣) انظر: الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، علي إبراهيم أبوزيد، ط٢،(دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م) ص ٢٥٢.

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م) ص١٣.

(٥) انظر: أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ط٧، (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤م) ص ٢١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشعر يجمل ويحسن باعتماده على الخيال الذي يساعده على التحليق في الفضاء هرباً من الحياة ومشقاتها، فيصور لنا ما في العالم من جديد وطريف، ويجعل من الظلام الدامس نوراً ساطع تنشرح له صدورنا، تطمئن له نفوسنا، علاوة على أن الخيال هو الأساس لما في الأدب من تشبيه ومجاز [١].

وعلى هذا فإن للخيال أهمية كبرى في صناعة الشعر، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله إن " تسمية الشاعر شاعرًا لأنه شعر بما يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشعراء توليد معنى ولا اختراعه، أو استطراف لفظة وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص ما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر مجاز لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن "[٢] .

ولنا بعد هذا أن نتصور شكل الشعر بلا خيال ، إنه يبدو نظماً بارداً فاقداً لروح الحياة . ولنا أن " نتصور واحة صحراوية تسرح فيها الطيور وتمرح وتنساب بين أشجارها الينابيع والغدران ، وتكسوها الخضرة وتدب فيها الحياة، ولنا أن نتصور هذه الواحة وقد غدت قفراً يبابا، وانقطعت عنها أسباب الحياة هذا هو الفرق في رأيي بين قصيدة تقوم على المجاز والخيال، وأخرى باردة تقريرية، فالخيال هو لب الشعر وهو الذي يهبه روحه وحياته " [٣].

أما عن الخيال عند الخوارج فإنه يمتاز بالواقعية، وقربه إلى الحقيقة،لاستقائه من ثقافتهم التي اكتسبوها من القرآن الكريم، والسنة المطهرة ، كما كان خيالهم تصويرا للحقائق التي كانوا يدعون إليها والأفكار التي كانوا يدافعون عنها.
ومن هنا فقد جاء خيالهم قوياً عميقاً بعيدا عن الوهم والضلال، ولقد زاد من قوة خيالهم وواقعيته اعتمادهم في أغلب أشعارهم على الغاية والهدف المنشود الذي سعوا من أجله، وهو الموت، وبيع النفوس رخيصة في سبيل الله، فسخروا الخيال، لخدمة أغراضهم وأهدافهم.

---

(١) انظر: الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن ، ط٣ ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤) ص٩٩- ١٠١ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، ج٢ ، ص١١٦.

(٣) الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي ، عبد المنعم الرجبي، رسالة دكتوراه (جامعة القاهرة ، مصر، ١٩٧٩م)، ص ٥٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصورة الشعرية:

لاقت الصورة الشعرية اهتماماً واسعاً من العرب القدامى والمحدثين، فعملوا على إبراز دور الفكرة وإثراء المعنى المراد، ولاقت أيضاً اهتماماً كبيراً من أدباء الغرب، فاهتموا بالخيال وما ينتج عنه من قيمة جمالية تثري العمل الأدبي وتساعد في إبراز جماله.

والصورة الشعرية جوهر الشعر، وأدواته القادرة على الخلق والابتكار، والتحوير والتعديل لأجزاء الواقع، بل واللغة القادرة على استكناه جوهر التجربة الشعرية، وتشكيل موقف الشاعر من الواقع، وفق إدراكه الجمالي الخاص ، وطريقة الشاعر في تشكيله اللغوي الجمالي تمثل أسلوبه في إدراك الواقع [١]، والصورة الفنية ملازمة للشعر منذ وجوده إلا أنها تختلف باختلاف البيئة والشاعر نفسه، فيجب أن يجعل صورة جديدة أولاً ناقلة للتأثير، مترابطة في مجموعها " [٢].

وتعد الصورة للشعر كالروح للجسد لا ينفكان عن بعضهما، ولا يمكن أن تنزع أحدهما من الآخر وهي : تجسيد لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكل حسي وأن الخيال عنصر هام من عناصر إنتاجها " [٣].

"وتعد الصورة تشكيلاً لغوياً وتقترب من الخيال وتستمد مادة تشكيلها من عالم الحس، فالصورة تشكيل لغوي بكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية" [٤].

والصورة الفنية تأصلت في الشعر العربي على مر العصور، لكن فهم القدماء للصورة يختلف عن فهم المحدثين . فالتشبيه والمجاز والكناية كانت تشكيلات للصورة تفرض نفسها على وجدان الشاعر وخياله، لكن الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة أولت اهتماماً بالجوانب الأخرى وركزت على الطبيعة الزخرفية والتزينية للصورة الشعرية منطلقة في ذلك من أن الأسلوب والصورة عنصران خارجيان في العمل الأدبي [٥].

---

(١) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، مدحت الجيار، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٤.

(٢) فن الشعر، إحسان عباس، ط١، (دار صامد، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م) ص١٩٥ .

(٣) عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غريبة ، نبيل أبو علي، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠م ص٩٧ .

(٤) السابق، ص ٣٠.

(٥) انظر: جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م) ص ١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بالصورة فقال: " اعلم أن قولنا: الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فلما رأينا البينونة بين آحاد الناس تكون من جهة الصورة ، فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك، كذلك كان الأسر في المصنوعات فكان بين خاتم من خاتم، ومواد من مواد بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في تلك " [١]، فالتجديد في الصياغة والشكل تختلف من شاعر لآخر بحسب فهم ونظرة كل منهما ونظرته للمادة.

ولما اختلفت الدوافع في تكوين الصور الشعرية وتباينت سبل استخدامها وطرق ورودها في القصيدة " تبع ذلك اختلاف الصور، فالشعراء يتناولون الشيء الواحد معجبين به ولكن سبب الإعجاب أو مستواه مختلف بينهم، فإذا بصورة أدبية متباينة للشعور الواحد في أصله المتعدد بتعدد المشتركين فيه " [٢].

وتتلخص أهمية الصورة الشعرية في نقل التجربة التي يعيشها الشاعر نقلاً صادقاً وواقعياً بطريقة فنية منظمة، كما أنها من أقوى الوسائل التي يمكن من خلالها التعبير عن الأفكار والمشاعر تعبيراً حياً ومؤثراً.
إن طبيعة الصورة عند الخوارج تعتمد على القرآن الكريم، وعلى واقع بيئتهم التي غلب عليها الصراعات الفكرية والسياسية، وعلى الطبيعة التي شكلوا صورهم من موادها ومشاهدها المختلفة

يقول قطري بن الفجاءة:

سبيل الموت منهج كل حي وداعيـــــه لـــأرض اللــه داع
ومن لم يغتبط يسأم ويــهرم ويفض به القضاء إلى انقطاع [٣]

يجد القارئ في تلك الأبيات أن الشاعر في تكوينه لهذه الصورة الفنية اعتمد على القرآن الكريم، الذي نفر في الكثير من آياته من الحياة الدنيا ونعيمها الزائل، وأقر بالحقيقة القائلة بأن

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٦٤.
(٢) أصول النقد الأبي، أحمد الشايب، ص٢٤٥.
(٣) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٦٩- ١٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموت أمر محتوم لكل الكائنات ، وقد استلهم الشاعر ذلك من قوله تعالى "﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [١].

حيث صور الشاعر الموت وكأن له داعياً يدعو الناس فلا يجدون بداً من الاستجابة له، وفي ذلك تأكيد على حقيقة زيف الحياة التي ما هي إلا ظل زائل، والشاعر يوظف التضاد بين (يغتبط – يهرم) تأكيدا لتلك الحقيقة وإبرازاً لها.

ولقد كانت صورهم قريبة المأخذ سريعة في تدفقها لتناسب سرعتهم في الحياة، ولتناسب طبيعة الظروف التي ألمت بهم – من عدم الاستقرار، واضطراب الأمور، والنزاع السياسي – وهذه الظروف كان لها التأثير الأكبر على شعرهم بشكل عام، فجعلته في الغالب قصائد قصيرة ومقطوعات متزنة، وبشكل خاص على صورهم، فجاءت بسيطة عفوية يغلب عليها طابع السهولة بعيدة عن التكلف، ويرى الباحث أن السبب في ذلك يعزو إلى أنهم كانوا يتوسلون في شعرهم تسلية النفوس والتنفيس عنها من واقع الهموم الذي أحاط بهم، وهذا لا يحتاج إلى التفنن وإظهار البراعة الفنية، كما استعانوا بالطبيعة فشكلوا منها صورهم، كما أدخلوا عناصر الطبيعة بصوتها ولونها وحركتها، وقد غلبت الأوصاف المحسوسة كالبصر والسمع والذوق والشم على شعرهم، فشبهوا فرسانهم بالأسود، لما هو معروف عنها من الجرأة والشجاعة.

يقول داود بن عقبة العبدي:

شهدتهم أُسداً إذا الحرب شمّرت مساميح بهم بالمهندة البترُ [٢]

فيشهد لهم بأنهم أسد في شجاعتهم إذا ما الحرب شمرت عن ساقها ، حيث جمع الشاعر الخارجي في تصويره بين القوة والشجاعة، من خلال تشبيهه للفارس الخارجي بالأسد في عنفوان قوته.

وآخر يشبههم بأسود في حالة حرب تدافع وبكل قوة عن عرينها:

هم الأسود لدى العرين بسالةً ومن الخشوع كأنهم أحبارُ [٣]

---

(١) سورة الرحمن، آية ٢٥-٢٦ .

(٢) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص٦٠.

(٣) السابق، ص٢٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالشاعر يصور قوة الأسود وبسالتها في حالة الدفاع عن أوكارها ليضفي هذه الصفات على قومه، ويشبههم بالأسود في الدفاع عن عقيدتهم، ويخيل للناظر من شدة خشوعهم وتقواهم بأنه أمام علماء صالحين، قد غلبت عليهم صفة الإصلاح والتقى.

ومن الصور الحسية التي تعتمد على السماع قول شاعرهم:

لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تتفرج الضلوع

يعالون النحيب إليه شوقاً وان خفضوا فربهم سميع [١]

في هذه الأبيات المفعمة بالأمل والحيوية يسلّط الشاعر الضوء على مشهد رائع من مشاهد الخوارج في عبادتهم وتقربهم من الله عز وجل ، من خلال تصويره لهم وهم سجود لله عز وجل ، ولعل الشاعر قد اختار الظلام لما له من الخوف والرهبة في النفس البشرية من جهة، ومن جهة أخرى دلالة على الإخلاص لله عز وجل، وقد وفق الشاعر في اختيار الألفاظ الموحية على ذلك (أنين- تتفرج- يعالون- خفضوا).

ومثل ما اتجه شعراء الخوارج إلى الصور الحسية، فقد اتجهوا إلى بعض التعبيرات المعنوية التي يتجسد فيها المعنى بصورة مادية، ومن ذلك قول أبو بلال بن مرداس:

لا كنت إن لم أصم عن كل غانية حتى يكون بريق الجور أمطارُ [٢]

فالشاعر يصور الجور مضيفاً عليه البريق ، لكي يبين مدى ظلم الحكام وجورهم الذي أصبح لا يطاق، فالجور شيء معنوي، وكذلك البرق فهو شيء معنوي وإن كان يرى، والشاعر جمع بين عنصري صورته المعنويين، ليشكل من خلالهما شيء مادي محسوس.

ومن الصور الحسية التي تعتمد على الحواس، الصورة الذوقية، ومن ذلك قول أحدهم:

إن كرية الموت عذبٌ مذاقه إذا ما مزجناه بطيب من الذكر [٣]

يصور الموت بأن له مذاقاً، وليس أي مذاق، بل المذاق العذب وعذوبة هذا المذاق وحلاوته في نظر الشاعر تكتمل إذا مزجت بتلاوة القرآن الكريم ومذاكرته.

---

(١) السابق، ص١٥٤.

(٢) السابق، ص ١٩٢.

(٣) السابق، ص٢٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الألوان البيانية المعروفة، والتي ركز عليها النقاد القدماء في مفهوم الصورة الشعرية

أولاً: التشبيه:

" هو صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه لكان إياه ... " [١].

وقد ذكر العلماء تعريفات عدة للتشبيه، منها ما ذكره قدامه بن جعفر بقوله: " التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها" [٢].

وقد عرفه السكاكي بقوله: " إن التشبيه مستدع طرفين: مشبهاً ومشبهاً به ، واشتركا بينهما في وجه الشبه، وافترقا من آخر" [٣]، ويعد التشبيه من أكثر الفنون البيانية جرياناً في الشعر، فهو أقدم صور البيان، ووسائل الخيال، وأقربها إلى الفهم والأذهان [٤].

ولقد استعان شعراء الخوارج بالطبيعة ليشكلوا صورهم من موادها ، فاختاروا لتشكيل صورهم ألوانا من التشبيهات، وأنماطاً من الاستعارات، ونماذج من الكنايات، ليحققوا من خلال ذلك الجمال والمتعة في اعتدال وتوسط، مما يساعد على إمداد الصورة الفنية بالمتعة الفكرية في تآلف فني.

ومن تشبيهات الخوارج قول عمرو بن الحصين:

متأوهون كأن جمر غضى — للموت بين ضلوعهم يسري

تلقاهم أُلاً كأنهم — لخشوعهم صدرُوا عن الحشر [٥]

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج١، ص٢٨٦ .

(٢) نقد الشعر، قدامه بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت) ص١٢٤.

(٣) مفتاح العلوم، للسكاكي، تعليق: نعيم زرزور، ط١ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، ص٣٣٢.

(٤) فنون بلاغية، أحمد مطلوب، ط١، (دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م) ص ٢٧.

(٥) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصور لنا عمرو بن الحصين في هذه الأبيات المفعمة بالتقوى والإيمان لوحة فنية جميلة، تبرز تقوى الخوارج وزهدهم في الحياة، ومدى طاعتهم لله عز وجل، وشدة خشوعهم وتعبدهم، حتى أنه ومن كثرة أنينهم، يخيل للرائي وكأن جمر الغضى (شجرة ذات صلابة وقوة، وجمرها يدوم فترة طويلة لا ينطفئ) يسري بين ضلوعهم ، فيصدر عنهم هذا الصوت (الأنين)، ويبين لنا أنهم من شدة خشوعهم وتذللهم في دعائهم يخيل لك أنهم في يوم الحشر.

ومنه قول شمر بن عبد الله اليشكري في رثاء أخيه:

كمد تجلل في فؤادي حسرة كالنار من وجد على الريان [١]

يصور لنا الشاعر في البيت السابق، الهم والحزن الذي لحق به وبفؤاده، فجلجله وألحق به الحسرة، التي أحرقت قلبه، لفقدانه أخيه، بالنار الملتهبة المحرقة، فالجامع بينهما الإحراق، والذي يعني انتهاء الحياة، فلا حياة لفؤاده بعد موت أخيه، ولقد وفق الشاعر في اختياره لألفاظه، التي صورت الفاجعة الأليمة التي مر بها تصويراً دقيقاً فعبر عنها بكلمات موحية (كمد، تجلجل، حسرة، النار).

وقول سميرة بن الجعد:

وأمّا إذا ما الليــلُ جنَّ فإنَّهم قيامٌ كأنواح النــساءِ النّوَاشــجِ

ينــادون بالــتحكيم لله إنــهم رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج [٢]

يشبه لنا الشاعر في البيت الأول شدة تقوى فرسان الخوارج ، وخوفهم الشديد من الله عز وجل، وقد تمثل هذا الخوف بطول القيام وكثرة النواح بنواح النساء الثواكل، وقد جمع بينهما صدق المشاعر، ويصف لنا في البيت الثاني حكم عمرو بن العاص الذي قلب الموازين – كما يرى الشاعر– بالرياح الهائجة التي لا تنذر إلا بالشر الذي يستدعي مقاومته.

وقول أبي العيزار:

يدنو وترفعه الرماح كأنه شلّوٌ تنشَّب في مخالبِ ضارِ [٣]

يصور الشاعر في البيت السابق مدى قوة الخارجي ، واستبساله ، وإقدامه في المواجهة، فهو يهاجم الأعداء غير خائف ولا مهتم لتلك الرماح التي أحاطت به من كل النواحي، فيخيل

---

(١) السابق، ص٧٩.

(٢) السابق، ص ٧١.

(٣) السابق، ص ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للرائي أنها ترفعه كأنه قطعة لحم، تتكالب عليها الحيوانات المفترسة فتنهشها، مما يدلل على مدى شراسة المعركة وقوتها.

وقول الطرماح بن حكيم:

إنما الناس مثل نابتة الزرع متى يأنِ يأتِ محتصده [١]

يوضح لنا الشاعر في هذا البيت الحقيقة الخالدة على مر العصور والتي لا مفر منها ألا وهي حقيقة الموت ، وأنها منهج كل حي ، والمتمثلة بفناء الإنسان، وحتى يجعل الشاعر تلك الحقيقة قريبة من الأذهان فإنه يربطها بصورة أخرى استمدها من واقع الحياة الذي يعيشه ، فمثل لنا فناء الناس وموتهم بفناء الزرع، فالإنسان متى يأت أجله يمت، وكذلك الزرع متى يحن موعد حصاده يحصد وينتهِ، فالجامع بينهما الفناء، فأراد الشاعر من خلال ذلك التشبيه إلى حث الإنسان ودفعه إلى عبادة الله عز وجل ولزوم طاعته، وعدم الاغترار بهذه الحياة التي مصيرها الفناء، بل عليه أن يسارع إلى تحصيل الخيرات حتى ينعم بدار البقاء لا الفناء.

وقوله:

فأُقْتلُ قعْصاً ، ثمَّ يُرْمى بأعظُمي كَضِغْثِ الخَلَى بين الرياح العواصف [٢]

يصور الشاعر في هذا البيت حالته عند قتله (قعصاً) أي سريعا، وإلقاء عظامه أرضاَ، بقبضة من الحشيش الجاف الذي يلقى بين الرياح العواصف الشديدة، وهذا ما عبر عنه بقوله (ضغثِ الخلى) فالشاعر هنا يشبه لنا سرعة موته وفناء عظامه بسرعة فناء الحشيش الجاف الذي يلقى في جوٍ من الريح العاصف، فيذهب سريعاً ولا يبقى له أثر من شدة الريح مما يوحي بحرص الشاعر على طلب الشهادة، والفوز بها، غير آبه بما يحل بجسده بعدها.

وقول عمران بن حطان في رثاء أبي بلال:

تركتنا كـيتامى بـــاد والـــدهم فلم يروا بعده خفضاً ولا لينا [٣]

يكشف لنا الشاعر من خلال التصوير السابق على طبيعة العلاقة المتينة التي تربط أبطال الخوارج بقائدهم أبي بلال ، فهذه العلاقة ليست مجرد علاقة رئيس ومرؤوس، أو علاقة بين قيادة وجند فقط، بل علاقة أب رحيم بأبنائه الذين فجعوا لموته، فأهملوا من بعده وتقطعت بهم

---

(١) السابق، ص٨٤.

(٢) السابق، ص٨٦ .

(٣) شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١٤٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسباب، فلم يجدوا من بعده من يعطف عليهم ويرعاهم، وهذا ما عبر عنه بقوله (فلم يروا) حتى أنهم أصبحوا من بعده كاليتامى الذين فقدوا والدهم البار بهم وبحقوقهم، فصور الشاعر(أبا بلال) بالأب لما له من دلالة على الأمن والحنان بأبنائه (فرسان الخوارج).

ومن شدة زهدهم في الحياة ترى أجسادهم ضعيفة نحيلة براها الصومحتى أصبحت حادة كحواف السيوف، يقول فروة بن نوفل الأشجعي واصفاً ذلك:

تظل عتاق الطير تحجل حوْلهم يُعـلِّلن أجـساداً قلـيلاً نعيـمها

لطافاً براها الصوم حتى كأنـــها سيوفُ إذا ما الخيلُ تُدمي كلومها [١]

فيشبه الشاعر الأجساد التي براها الصوم وأضمرها حتى أصبحت نحيفة هزيلة بالسيوف الحادة التي تدمي كلوم الخيل إشارة إلى قمة الزهد في الحياة الفانية في نظرهم.

ويقول أيوب الخولي:

وأجرد محـبوبك الســـراة كأنه إذا انقض وافي الريش حجن مخالبه [٢]

يستحضر الشاعر صورته الفنية من الطبيعة المحيطة به، حيث يصور لنا قوة هذا الحصان وجرأته واندفاعه في ساحات القتال وهو طرب مسرور بصورة الصقر عند انقضاضه على فريسته بجامع القوة والحماسة فجاء بالصقر لما له من دلالة على القوة والجرأة.

وقول عمرو بن الحصين:

بيْنا كذلك نحن جالت طعنةٌ نـجلاء بين رهائب وترائـب

جوفاء مُــنهرةٌ ترى تامورها ظُبتا سِنانِ كالشهاب الثاقب [٣]

يستند الشاعر في هذين البيتين إلى التشبيه في إظهار جلالة الموقف الذي حدث بعد معركة شديدة حاسمة واستطاع من خلال ذلك أن يصور ما حدث له من طعنة شديدة أصابت جسده، فيصور الدم الذي علق بحواف السيف، وكأنه الشهاب الثاقب الذي يخترق الظلام الحالك، وفي ذلك إشارة إلى حدة السيف ولمعانه وجلاء الدم وصفائه.

---

(١) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١٥٩.

(٢) السابق، ص٣٠.

(٣) السابق، ص١٣٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى قدامة بن جعفر أنه من المستحسن أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت شعري واحد وألفاظ يسيرة [١]، وقد جمع الأشل الأزرقي في صورته التشبيهية أكثر من تشبيه في بيت واحد:

نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينه وكالبدر يغشى ضوءُه كل كوكب [٢]

يرسم لنا الشاعر في هذا البيت لوحة فنية في غاية البراعة والجمال، فيبين من خلالها شجاعة صاحبه وبسالته، حيث يشبهه بالليث الذي يدافع عن عرينه ويحميه، لما هو معروف عنه بالشجاعة والجرأة والقوة، ويعود في عجز البيت فيشبهه بالبدر الساطع المضيء الذي يغطِّي ضوءه جميع الكواكب فالجامع بين الصورتين القوة المادية والمعنوية.

يلجأ شعراء الخوارج أحياناً إلى حذف أداة التشبيه للمبالغة والتأكيد والإمعان في بلاغة التصوير، حيث يرى الجرجاني أن "التشبيه المحذوف الأداة قريب من الاستعارة في إفادة المبالغة "[٣].

ومن أمثلة حذف الأداة عند شعراء الخوارج ، قول عمران بن حطان:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنَّهم فيها عــُراةٌ وجـوَّعُ

أراها وإن كانـت تُحــبُّ فإنها سحـابةُ صيفٍ عن قليلٍ تقشعُ

كركبِ قضوا حاجاتهم وترحلوا طريقهم بادي العــلامة مهْيعُ [٤]

يصور عمران بن حطان في هذه المقطوعة تعلق الناس بالحياة الدنيا وحبهم لها على الرغم مما هم فيه من شقاء وبؤس بالعراة الجوّع الذين يتلهفون للطعام والكساء، ويعود في البيت الثاني فيشبه الحياة الدنيا بسحابة صيفٍ سرعان ما تزول وتذهب وفي البيت الثالث يشبهها بركب المسافرين الذين يأخذون في طريقهم فترات راحة لقضاء حاجاتهم ثم يرتحلوا، فالجامع بين الصور السابقة الذهاب والفناء، وقد وفق الشاعر في الممازجة بين الجمل الفعلية التي تحمل معنى الاستمرارية والتجدد والجمل الاسمية التي تحمل معنى الثبات والاستقرار في الكشف عن هذه الصور الفنية وإبرازها (أرى، أنهم ....، عراة)، (أراها، فإنها سحابة)، (كركب، ترحلوا) فلا

---

(١) انظر: نقد الشعر، قدامه بن جعفر، ص١٢٧.

(٢) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص١٩.

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق: محمود محمد شاكر، ط١(الناشر دار المدني، جدة، ١٩٩٢م) ص٢٣٩.

(٤) ديوان الخوارج، نايف معروف، ص ١١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستطيع المتأمل لهذه الأبيات إلا أن يسلم بالحقيقة التي عرض إليها الشاعر في أبياته والمتمثلة بغرور هذه الدنيا وسرعة زوالها.

لقد تعرض الخوارج إلى أعدائهم فشبهوهم بالنعام، ومن ذلك قول عمران بن حطان:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ ربْداء تجْفُلُ من صفير الصَافِرِ [١]

يصور الشاعر في البيت السابق فزع الحجاج وخوفه لمّا دخلت عليه جيش غزالة بالنعامة لما لهذا التشبيه من دلالة على الجبن والضعف، حيث إنها تفزع من شدة الخوف بمجرد سماعها أي صوت أو صفير خارجي.

ومثله قوله:

ومـا أمـوالـنا إلا عـوارٍ سيأخذها المُعير من المعارِ [٢]

يشبه الشاعر أموالهم التي يجمعونها ويسعون لتحصيلها بالعوار أي الدين وهو ما تعطيه غيرك على شرط أن يعيده لك، وذلك إشارة على زهدهم وتعففهم في الحياة الدنيا، وكأنه يريد أن يقول كل ما سنجمعه ذاهب إلى فناء فعلام التسابق والجري وراء المال ما دام هو ذاهب ؟، فحذف الشاعر أداة التشبيه ليؤكد المعنى ويوضحه ويزيده جمالاً.

ويرى الباحث أن الصور التشبيهية لم تكن من قبيل الزينة العارضة أو هدفاً للصنعة المتكلفة؛ بل بدت غالباً في محاكاتها أجمل من الأصل بطرافتها فأقنعت وأمتعت وكشفت عن وشائج القرابة بين مظاهر الكون التي بدت وكأنها متباعدة.

---

(١) السابق، ص١١٤.

(٢) السابق، ص١١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الاستعارة

" وهي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشادة إليه بالقليل من اللفظ "(١).

ومن ذلك ما أورده عبد القاهر الجرجاني، " فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به وتجريه عليه " (٢).

وقد شرفت الاستعارة وعلا من شأنها لورودها في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ (٣)، وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً ﴾ (٤).

" والاستعارة تشبيه خسر أحد ركنيه الرئيسين (المشبه أو المشبه به) لعلة جمالية أو دلالية واحتفظ بإشارة تمنع إرادة المعنى الظاهر" (٥).

" والاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، وتنزلت موضعها، والناس مختلفون فيها: منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا له، ومنهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه، ومنهم من يخرجها مخرج التشبيه " (٦).

ومثلما قامت بعض صورهم على التشبيه كذلك قامت على الاستعارة فالشاعر يستخدم ألفاظه استخداماً ينمي اللغة في معجمه، ويدرك العلاقة بين أشياء مختلفة لم تكن بينها علاقة من قبل فيتعدى العلاقات المألوفة لينسج علاقات مبتكرة.

---

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م) ص٢٩٥.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٦٧.

(٣) سورة مريم، آية ٤.

(٤) سورة الكهف، آية ٩٩.

(٥) الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، عبد الإله الصائغ، ط١، (المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ، ١٩٩٩م)،ص ٣٢٥.

(٦) العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق القيرواني، ج١، ص٢٦٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تعددت الصور الاستعارية في شعر الخوارج بين لوحات، وصور جزئية.

ومن اللوحات التي زخر بها شعرهم قول أحدهم:

ومن يخش أظفار المنايا فإننا لبسنا لهن السابغات من الصبر [١]

كشفت لنا الاستعارتان المكنيتان الواردتان في هذا البيت (أظفار المنايا) (لبسنا ... الصبر)عن رباطة جأش فرسان الخوارج وشدة بأسهم وصبرهم في ميادين القتال، وقد وفق الشاعر في اختياره لهاتين الصورتين الملائمتين للمعركة وفرسانها.

ومثله قول عيسى بن فاتك:

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأرض في الدنيا هجوع [٢]

يصور لنا الشاعر من خلال الاستعارتين المكنيتين، نوم الخوارج بالطائر الحذر، والخوف بصياد ماهر يريد اقتناصه، ولعل الشاعر أراد من وراء ذلك إظهار ورع وتقوى الخوارج وشدة خوفهم من الله عز وجل، ومن الموت أن يداهمهم في كل لحظة، فيقومون ليلهم تعبداً لله سبحانه، كما أن الشاعر أراد أن يثبت للخوارج صفة الذكر والعبادة الخالصة، ولأهل الأرض صفة النوم والغفلة، ولعل هذا ما نلمسه في التضاد بين(قاموا – هجوع).

إن وقفة الشعراء الخوارج أمام الموت لم تكن وقفة تأملية تسعى إلى صياغة أفكار فلسفية بل كانت تشكل هاجساً لديهم بأن الموت هو النهاية الحتمية للحياة، وهي ليس عدما أبدياً، بل هي حياة أخرى، ونلمح ذلك من خلال قصائدهم ومقطوعاتهم الشعرية، يقول قطري بن الفجاءة:

مشهراً موقفي والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطرد

فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمداً على الطعان وقصر العاجز الكمد

ولم أقل لما أساق الموت شاربه في كأسه ، والمنايا شرع ورد [٣]

(١) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص ٢٢٦.

(٢) السابق، ص ١٥٤.

(٣) السابق ، ص ١٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المتأمل للنص يلاحظ أنه قائم على الطابع الصدامي القائم في بنية اللغة الشعرية بين النفي والإثبات ، فقد جسد هذا النص توتراً حاداً يثير السؤال ويحرك فينا التأمل من خلال الدوال الشعرية المنزاحة مما أدى بروز النسق الاستعاري، حيث تنهض فعالية النص من خلال تعدد الاستعارات فيه وتمثل ذلك بقول الشاعر(الحرب كاشفة عنها القناع) فقد شبه الحرب بالإنسان الذي يلبس قناعاً ويقوم بكشفه، فحذف المشبه به وجاء بصفة من صفاته أو لازمة من لوازمه (القناع) على سبيل الاستعارة المكنية، وكذلك في قوله(بحرالموت، أساق الموت) مما أسهم في نقل الدلالة من المادي والمحسوس إلى المعنوي والنفسي مما جعل النص ثرياً بالدلالات، ينفتح على قراءات متعددة، وهو ما يفتح على القارئ باب التأويل حول الدلالة الثانية وما ترمز إليه.

يقول عمرو بن الحصين، في رثاء علي بن الحصين:

لم ينفك في جوفه حزن تغلي حرارته وتستشري [١]

قام الشاعر على توظيف الاستعارة المكنية في بيته السابق، وذلك من خلال تصويره الحزن بالماء الساخن، حيث كشف لنا الشاعر من خلال هذه الصور الفنيةعن صفة الحزن وملازمته لفرسان الخوارج، وهذا الحزن قد وصل إلى أعلى درجاته، كما الماء المغلي الذي تجاوز درجة الغليان، وقد عمد الشاعر إلى توظيف أداة النفي، والأفعال المضارعة(لم ينفك، تغلي، تستشري) حتى يدل على استمرارية هذا الحزن وديمومته فهو كان ومازال ويزداد، وفيه إشارة إلى أن ذلك سمة بارزة في فرسان الخوارج، نتيجة لظروف حياتهم التي عاشوها من السخط على الواقع الأليم الذي مروا به، ومن زهدهم في الحياة وطبيعتها الصحراوية الجافة.

ومن الأبيات الأخرى التي تجسد دلالة الاستعارة قول قطري بن الفجاءة وهو من (الرجز):

حتى متى تخطئني الشهادة
والموت في أعناقنا قــلادة
ليس الفرار في الوغى بعادة [٢]

(١) السابق، ص١٤٤.

(٢) السابق، ص١٦٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الرؤية النصية لهذه الأسطر الشعرية تكشف لنا عن موقف شعري وتأزم نفسي من خلال نبرة حزينة تعلو الأبيات وهي الفكرة الرئيسية لها، إن بنية الاستعارة التي تولدت في البيت الأول والثاني بقوله (تخطئني الشهادة) تحدد البعد الزمني لصورة الموت وقد تمثلت بالمشاركة الوجدانية للشاعر، فقد شبه الشاعر الشهادة بالإنسان أو بالشيء الذي يخطئ هدفه ويبتعد عن جادة الصواب، وشبه الموت وهو شيء معنوي بالقلادة التي تلبس وفي ذلك دلالة على قوة فرسان الخوارج، إذ تحول الموت عندهم إلى قلادة يتزينون بها، وقد دعم الصورتين السابقتين بأسلوب النفي الجازم بنهج الخوارج في مواجهة الأعداء.

وقول أحدهم:

وإن كرية الموت عذبٌ مذاقه إذا ما مزجناه بطيب من الذكر (١)

شبه الشاعر الموت بشراب له مذاق وطعم حلو على سبيل الاستعارة المكنية، حيث صور لنا الشاعر في هذه اللوحة الفنية الرائعة، نظرة الخوارج للموت، فقد أصبحت مفردة (الموت) المولد الدلالي والمحرك الشعوري في نصوص الشعراء، ولقد هيمنت هذه المفردة على معجم الشعراء الدلالي والمرتبطة مع مفردات القهر والضياع، ونظرة الخوارج للموت تختلف عن نظرة الآخرين له، فالنفس البشرية جبلت على كراهية الموت، ومع ذلك يسعى إليه الخوارجويفتشون عنه، فيكشف لنا الشاعر من خلال ذلك التصور عن فلسفة الخوارج، فالموت عندهم غاية ينشدونها لأنهم ملئوا دنياهم بطاعة الله عز وجل، فهم يستعجلون لقاءه، حتى ينالوا الثواب العظيم الذي ينتظرهم، وفي ذلك إشارة إلى غفلة الآخرين التي أودت بهم إلى كراهية الموت.

ومن ذلك قول عمرو القنا:

معي كُلُّ أواهٍ برى الصومُ جِسمَهُ ففي الوجهِ منه نهْكةٌ وشُحُوبُ (٢)

لقد وفق الشاعر في توظيفه الاستعارة المكنية (برى الصوم) لوصف تقوى الخوارج وخوفهم الشديد من الله عز وجل.

---

(١) السابق، ص ٢٢٦.

(٢) السابق، ص١٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول تميم بن جميل السدوسي:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يُلاحظني من حيثُ ما أتلفَّتُ [١]

وظف الشاعر الاستعارة المكنية في البيت السابق وذلك من خلال تشبيهه الموت بصائد يتربص فريسته، وقد كشف لنا الشاعر في هذه الصورة الفنية، عن قوة الفارس الخارجي وعدم خشيته من الموت الملازم له في كل مكان يذهب إليه، بل هو غاية يتمناها، ويحرص عليها، ولعل في استخدامه للأفعال المضارعة ما يكشف عن استمرارية الملازمة والطلب (أرى – يلاحظني – أتلفت) ولعل في قوله (كامنًا يلاحظني) ما يوحي بشدة طلب الموت له، حيث يحاصره من كل الجوانب، في انتظار الفرصة المواتية للانقضاض عليه، وهذا ما يتمناه الفارس الخارجي.

وقول حبيب بن خدرة الهلالي في إحدى معارك الخوارج:

هل أتى قائد عن أيسارنا إذ خشينا من عدو خرقا

إذ أتانا الخوف في مأمننا فطوينا في سواد أفقا

وشهدت الخيل في ملومة ما ترى منهن إلا الحدقا

يتساقون بأطراف القنا من نجيع الموت كأسا دهقا [٢]

تتمحور الاستعارة المكنية في الأبيات السابقة على فخر الشاعر واعتزازه بنفسه وبقومه، وقد تعمقت الدلالة الإيحائية من خلال تكرار الاستعارة المكنية في البيت الثاني والبيت الرابع (أتانا الخوف ويتساقون ... من نجيع الموت) فقد شبه الشاعر الخوف بالإنسان الذي يأتي فحذف المشبه به وهو الإنسان وجاء بصفة من صفاته وهو المجيء وذلك على سبيل الاستعارة المكنية وكذلك الحال في البيت الرابع، مما ساعد على تكثيف المثيرات الأسلوبية التي تعاطاها الشاعر في بناء علاقاته اللغوية وربطها بمدلولاتها فساعدت على إنجاح الفكرة التي أراد الشاعر التعبير عنها المتمثلة في تصوير بشاعة الحرب ، ويقظة الخوارج وحذرهم، فلا يأخذون من عدوهم إلا عزة مع لفت انتباه القارئ للفكرة، فلا يقف عند القراءة الأولية بل يحاول الوصول إلى القراءة التحتية.

---

(١) السابق، ص ٣٥.

(٢) السابق ، ص٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول قطري بن الفجاءة:

ومن لا يعتبط يسأم ويهرم وتُسلمه المنونُ إلى انقطاع [١]

وفق الشاعر في توظيفه الاستعارة المكنية (تسلمه المنون) التي أبرزت قهرية الموت، واستسلام الإنسان أمام جبروته.

وقول الجعدي بن أبي صمام الهذلي في رثاء صالح بن مسرح:

أيا عين فابكي صالحاً ، إن صالحا شرى نفسه لله يبغي بها الخُلدا [٢]

يلاحظ المتأمل للبيت السابق أنه يحوي استعارتين مكنيتين، وهما (أيا عين) و(شرى نفسه)، حيث تكشف لنا الأولى عن حب الشاعر لصالح من خلال طلبه من عينه البكاء، ومعروف أن العين لا تبكي إلا عزيزاً، ولعل الشاعر في استخدامه أداة لنداء (أيا) ما يدل على الحسرة، وتكشف الاستعارة الثانية (شرى نفسه)عن رغبة صالح الشديدة للشهادة، طمعاً في الآخرة ونعيمها الدائم، وقد أكد ذلك من خلال توظيفه أداة التوكيد (إن)، حيث استحضر الجعدي قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٣]، وقد عمد الشاعر من خلال هذه الصورة الفنية، أن يوضح أن الطريق لنيل رضوان الله هو بيع النفوس رخيصة في سبيل الله.

ونتلمس عند لشاعر (داود بن عقبة العبدي) توظيفاً للاستعارة يقول:

شهدتهم أُسْداً إذا الحربُ شمَّرت مساميحُ بُهْمٌ بالمهندةِ البُتْر [٤]

يجد المتأمل لهذا البيت أن الشاعر وظف الاستعارتين التصريحية (أسداً) والمكنية (شمرت الحرب) وذلك ليوضح شراسة الحرب التي يخوضها أبطال الخوارج، وقوة الخوارج واستبسالهم وهم يخوضون غمار هذه الحرب.

---

(١) السابق، ص١٧٠.

(٢) السابق، ص٣٨.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٠٧.

(٤) السابق، ص٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول عبيدة بن هلال:

هل الفضـــل إلا أن مالـــي أعـــزه ... لديـــن إذا مـــا الحـق آب دليـــل
وإني إذا ما المـوت كان بمرتـــأى ... من العين مقـــدام عليه صـــؤول
وإني إذا مـــا الحـــرب أسلم ابنها ... لدرتـــها عند اللقـــاء وصـــــول
أجود بنفســـي عند ذاك وبعضـهم ... بأرذل من نفســـي هنـاك بخيـــل [1]

يفخر الشاعر بنفسه في الأبيات السابقة، وقد وظف لذلك الاستعارتين المكنيتين(الموت كان بمرتأى)، (الحرب أسلم ابنها) ليدلل على قوته وشجاعته وحرصه الشديد على طلب الشهادة، وقد وفق في توظيفه الفعل المضارع (أجود) للدلالة على استمرارية هذا الطلب.

ويلاحظ الباحث غلبة الاستعارة المكنية على النماذج التي تعرض لها، ويمكن القول: إن التشكيل الاستعاري عند الشعراء الخوارج كان قائماً على تجسيد الأمور (المعنوية – الحسية) التي تطرقوا إليها (الموت، الخوف، الحرب، العين، النفس، الشهادة)، بهدف تقريبها وتوضيحها للعقول والأذهان، مما جعل صورهم محملة بشحنات إيحائية ودلالية واحدة لأن معاناتهم كانت متشابهة، فكل صور الحرب لديهم والموت قائمة على المفاهيم الفكرية نفسها والعقيدة الواحدة، مما جعل هذه الأفكار والمعاني تنعكس على أسلوبهم الشعري.

(١) السابق، ص٩٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: الكناية:

تلعب الكناية دوراً كبيراً، في نفسية الشاعر، فمن خلالها يستطيع إفصاح ما خفي في نفسه وتبيينه، أو ما لا يستطيع أن يعبر عنه بصراحة، فيعمد إلى الكناية، التي تعتمد على التلميح أكثر من التصريح، والتي تيسر للمرء أن يقول كل شيء وأن يعبر عمّا يجول بخاطره [١].

وهي " إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى تاليه ودونه فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، ومثال ذلك قولهم " هو طويل النجاد " يريدون طويل القامة ، و" كثير رماد القدر" يعنون أنه كثير القرى" [٢]، يعني كناية عن الجود والكرم.

وقيمتها في الإخفاء أكثر من الإفصاح أي في المواضع التي لا يحسن فيها التصريح تبرز قيمتها وجمالها وحسنها[٣].

والكناية من العناصر البارزة التي توسل بها الشاعر في تشكيل صورته وتقف الكناية مع التشبيه والاستعارة جنباً إلى جنب، وقد تنوعت صور الكناية في شعر الخوارج، وعبَّر بها الشعراء عن مختلف نواحي شعرهم، وامتزجت مع عناصر التشكيل الأخرى، من تشبيه، واستعارة لتسمو بالصورة وترقى بها في عالم الفن والتصوير.

وطبعت بعض صورهم التي اعتمدت على الكناية بطابع الزهد والتعفف، وطابع القوة والشجاعة، ومنه قول الخيبري الشيباني، في رثاء عبد الملك بن علقمة:

فلا رعش اليديـــن ، ولا هـــــدان ولا وكل اللقـــاء ، ولا كهـــــام [٤]

يكشف لنا الشاعر من خلال هذه الكنايات المتعددة، قوة وبسالة هذا الفارس المقدام، ولعل لشاعر في تكراره لأداة النفي (لا) ما يدلل على نفيه لكل صفات الخوف والجبن، عن فارسه، وعليه إثباته لكل صفات الشجاعة والقوة التي تقابلها، فهو ليس بالخائف الذي ترتعش يداه عند اللقاء، وليس بالثقيل في الحرب، ولا الجبان البليد، ولا البطيء الكليل.

---

(١) انظر: الصورة الفنية، علي إبراهيم أبو زيد، ص٥٢ .

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٦٦.

(٣) انظر السابق ، ص٧٠.

(٤) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول حجية بن أوس:

ترى عافيات الطير يحجلن حولهم يقلبن أجساماً قليلاً لحومها [١]

كناية عن الزهد والتعفف، حيث أراد الشاعر أن يوضح ويلفت انتباه القارئ إلى إخوانه من الخوارج وزهدهم في هذه الحياة، وقد استلهم الشاعر تصويره من البيئة المحيطة به، فمعروف أن الطيور الجارحة كالنسور مثلاً تجتمع على الأشلاء الممزقة، والجثث المتناثرة، لكنها تصاب بخيبة أمل عندما تحط على جثث الخوارج، لقلة لحومها، وهذا إشارة إلى زهدهم في الحياة ونحافة أجسادهم من الصوم، ولقد وفق الشاعر في استخدامه لألفاظه (يقلبن، يحجلن، حولهم) للدلالة على صعوبة الوصول إلى هدفها من اللحوم.

وقول مليكة الشيبانية في رثاء أخيها:

أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتى لحاجة اللهفان ؟ [٢]

أرادت الشاعرة من خلال هذا التساؤل أن تعبر عن مرارة الحزن والألم الذي انعكس على صفحة وجدانها، من خلال كناياتها المتنوعة، من صلة الرحم، وإغاثة الملهوف الذي أصابها لفقدانها أخيها.

وقول ليلى بنت طريف في رثاء أخيها:

تضمن سروراً حاتمياً وسؤددا وسؤرة ضرغام وقلب صحيف [٣]

تصور لنا الشاعرة، من خلال هذه الكنايات المتعددة، عن المزايا الجمّة التي تميز بها هذا البطل، فقد جمع بين الجود، والكرم، والسيادة، والقوة، وسداد الرأي وهي صفات ما اجتمعت في رجل إلا رفعت منزلته وأعلت مكانته، ولعلها أرادت من وراء ذلك، إلى إظهار عظم المصيبة التي حلت بها، لفقدها هذا البطل الخارجي.

---

(١) السابق، ص ٤٧.

(٢) السابق، ص ٢٠٣.

(٣) السابق، ص ١٨٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول عمران بن حطان:

أحـــاذر أن أموت على فراشـــي وأرجـــو الموت تحت ذُرى العوالي [١]

يكشف لنا الشاعر عن حبه للموت في سبيل الله ورغبته الملحة لذلك، وفيه كناية عن شجاعة هذا الفارس وقوته، فكانت نظرة هذا الفارس الخارجي وفلسفته للموت عميقة، فهو يرفض حياة الجبن، والموت على الفراش، وكأني به يقول يجب أن أموت قتلاً في المعركة لأنال وسام الشهادة وشرفها، فالشهادة في نظره منحة ربانية لا ينالها إلا المخلصون من جند الله يقول الله تعالى:﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء ... ﴾[٢].

لقد تباينت الصور عند شعراء الخوارج بحسب مقدرة الشاعر وبراعته في قول الشعر، وقد استطاع شعراء الخوارج أن يرقوا بصورهم إلى مستوى فني رائع، فحركوا المشاهد الجامدة، وجعلوها تنبض بالحياة، كما شخصوها، وخلعوا عليها صفات البشر، وجسموا المعنويات، وأظهروها بمظاهر حسية تتحرك، ولك أن تتخيل هذه المقطوعة الشعرية التي اشتملت على أكثر من صورة جزئية وكونت في النهاية صورة كلية، يقول فروة بن نوفل:

هم نصبوا الأجســـاد للنبل والقنـــا فلم يبـــق منهـــا اليوم إلا رميهـــا

تظلُ عتـــاق الطير تحجل حولهـم يعللـــن أجســـاداً قليلاً نعيمهـــا

لطِافـــاً براها الصوم حتى كأنهـــا سيوفٌ إذا ما الخيلُ تدمـــي كلومـها [٣]

فالشاعر من خلال هذه الصورة الجزئية التي أوردها، في البيت الأول، يصور حال أصحابه في المعارك، وأجساد الخوارج التي أضحت وكأنها أهداف تصوب عليها الرماح، وفيه كناية عن شجاعة الخوارج وكثرة الحروب والمعارك التي خاضوها، إذ لم يبق من هذه الأجساد إلا الرميم البالي، ولقد كنى الشاعر في البيت الثاني، عن زهد الخوارج في الحياة وتمثل ذلك في قوله (أجساداً قليلا لحومها)، أمّا البيت الثالث فقد اشتمل على كناية وتشبيه يظهران تقوى وورع الخوارج، وقد تظافرت الصورة الجزئية التي بدأ بها الشاعر، وكذلك عناصر الصوت واللون والحركة (النبل، القنا، الطير، السيوف، الخيل) في رسم ملامح الصورة الكلية التي كونت في النهاية معالم هذه الجماعة، المتمثلة في الزهد وتمني الشهادة في سيل الله.

---

(١) السابق، ص ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٠ .

(٣) ديوان الخوارج ، نايف معروف، ص١٥٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا عن الشاعر عمرو بن الحصين، فيرسم لنا لوحة فنية في غاية الدقة والجمال، يكشف من خلالها ورع إخوانه، وقوة إيمانهم، من خلال الصورة الجزئية التي أوردها التي شكلت في النهاية صورة كلية معبرة عن عمق التقوى والإيمان في نفوسهم، حيث يقول:

إلا تـجئـــــهم فـــإنـــــهم	رجف القـلوب بحضرة الذكـــر
متـــأوهون كـــأن جمر غضـــــى	للخـوف بين ضلوعهم يســـري
تلقـــــــاهمُ أُلَّا كـــأنـــــهم	لخشـوعهم صـــدروا عن الحشر
لا ليـــلهم ليـــل فيلبســـــهم	فيـــه غواشـــي النوم بالسكـر
إلا كـــذا خلســـــة وآونـــــة	حـــذر العقب وهم على ذعـــر [1]

لقد اشتمل البيت الأول على الصورة الجزئية التي تكشف عن شدة خشوع الخوارج، وهم في حضرة الذكر حتى أن خشوعهم ترتجف منه القلوب، فيدفعه للتأوه والأنين خوفاً وخشية من الله سبحانه ، وكأن جمر الغضى يلهب ضلوعهم وهذا ما عبرت عنه الصورة الجزئية الواردة في البيت الثاني ، ويخيل لك في البيت الثالث وأنت تنظر إليهم، وهم في مناجاتهم لله وتهجدهم، وكأنهم في يوم القيامة، ويظهر الشاعر من خلال الصورة الجزئية في البيت الرابع ،حالهم وكأنهم مرضاً معدياً نزل بهم، أو مسهم طرف من الجنون، وفي البيت الخامس يكني الشاعر طول قيامهم وسهرهم في الليل، فلا يعرفون للنوم طعماً، ولقد جاء الشاعر بصيغة الجمع (يلبسهم، ليلهم، ضلوعهم ...) ليدلل على أن هذه الصفات هي سمة غالبة على جميع الخوارج، وامتزاج عناصر الصوت واللون والحركة (الذكر، رجف القلوب، جمر، يسري، ليل) مع الصور الجزئية أسهم في بناء الصورة الكلية المتمثلة في تقوى الخوارج وورعهم.

يرى الباحث من خلال ما سبق أن صور الخوارج الفنية جاءت معبرة عن أهدافهم وأغراضهم في الحياة، فهم لم يتركوا وسيلة فنية تصل بهم إلى تلك الأغراض، إلا وقد وظفوها.

(١) السابق، ص١٤١-١٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة:

وقد اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ومنها:

- اتخذ الخوارج من الشعر وسيلة للدعوة لآرائهم، والدفاع عن معتقداتهم.
- شكلت (البطولة) عند الشعراء الخوارج سمة بارزة في خطابهم الشعري، وانفتحت على مجموعة من المقاربات الفكرية.
- تنوعت صور البطولة في شعر الخوارج فكانت قائمة على واقع يرفض الذات، ويدعو إلى الاندماج بالواقع الجماعي.
- حرص شعراء الخوارج الشديد،على طلب الموت وتمني الشهادة في سبيل الله، إذ أن لحظات الموت وإقبال الخوارج عليه شكلت ملمحاً بارزاً في خطابهم الشعري.
- تميز الخيال عند الشعراء الخوارج بالجدية، لاعتمادهم في استقائه على ثقافتهم التي اكتسبوها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن واقع عصرهم، ومن بيئتهم التي أخذوا من عناصرها، ومشاهدها المختلفة.
- تأثر المعجم اللغوي لشعراء الخوارج، بظروف عصرهم القائم على النزاعات الفكرية والسياسية، وبالعقيدة الفكرية التي آمنوا بها، وبالمعارك والصراعات التي خاضوها.
- من الظواهر الأسلوبية التي برزت في شعرهم، ظاهرة التناص مع القرآن الكريم، والالتفات لجذب انتباه المتلقي لما يقولونه من أشعار.
- جاء التكرار عند الشعراء الخوارج على نحو مكثف بوصفه وسيلة من وسائل الإيقاع الفني ، جاعلين منه أسلوباً إيقاعياً منسجماً في تشكيل بنية النص.
- تنوعت الصيغ الإنشائية في شعر الخوارج (الأمر، النداء، الاستفهام ...) حيث استخدمها شعراؤهم بديلاً عن المقدمات التقليدية.
- جاءت الصورة الشعرية عند الشعراء الخوارج صادقة ومعبرة، ولقد أسهمت في منح متلقي شعرهم شحنة عاطفية بغية إثارة انفعاله وتفاعله مع الحدث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم.**

١- **أحاديث الشهادة والشهيد**، نزار ريان، رسالة ماجستير، غزة، ١٩٩٠م.

٢- **إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أما بعد** (مخطوط)، إسماعيل بن غنيم الجوهري .

٣- **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام**، يوليوس فلهاوزون، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٦م.

٤- **إحياء علوم الدين**، للإمام محمد الغزالي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٥- **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية**، د مصطفى الشكعة، د.ط، مكتبة الإنجاد المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

٦- **آراء الخوارج**، عمار الطالبي، ط١، الإسكندرية، المكتب المصري الحديث، د.ت .

٧- **أسرار البلاغة**، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، ط، الناشر دار المدني، جدة، ١٩٩٢م.

٨- **الأصول الفنية للأدب**، عبد الحميد حسن، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤.

٩- **أصول النقد الأدبي**، أحمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م .

١٠- **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، ط٢، ج ١٠، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

١١- **إلقاء الضوء على الدور المزعوم للقراء في معركة صفين**، عبد العزيز صالح الهلابي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج٤ ،السعودية، ١٩٨٤م .

١٢- **الإيضاح في علوم البلاغة**، للخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٣- **البداية والنهاية**، ابن كثير، تحقيق: محمد بن سامح، ط١، دار الجوزي للنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٤- **البديع، لابن المعتز**، تعليق إغناطيوس كراتتشقوفسكس، ط٣، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٥- **البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين**، رسالة ماجستير ، للباحثة أحلام بشارات ، (جامعة النجاح الوطنية – فلسطين ، ٢٠٠٥م)
١٦- **البطولة في شعر الشهيد(إبراهيم المقادمة)**، د. محمد كلاب، مج ٢٠، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الإنسانية – غزة – فلسطين -٢٠١٢م.
١٧- **البطولة في الشعر العربي**، شوقي ضيف، ط١، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٠م.
١٨- **البطولة في الشعر الغنائي والسير الشعبية** ، محمد أبو الفتوح، ط١ ، ايتراك للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
١٩- **البلاغة والأسلوبية** ،محمد عبد المطلب ، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٤م .
٢٠- **البيان والتبيين** ، للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ،ط٧، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٨م.
٢١- تاج العروس، محمد الزبيدي ، ط٦، دار الهداية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦م .
٢٢- **تاريخ الأمم والملوك** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج٩ ،(مطبعة الاستقامة، القاهرة ، ١٨٨٥هـ- ١٨٨٩م
٢٣- **تاريخ المذاهب الإسلامية** : محمد أبو زهرة، مطبعة السعادة ، دار الفكر العربي للنشر ، د.ت
٢٤- **تاريخ الرسل والملوك**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٢، ج٥، ،دار المعارف، مصر، د.ت.
٢٥- **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٥٩م.
٢٦- **تلبيس إبليس**: للإمام جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٢٧- **جدلية الخفاء والتجلي**، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨م.
٢٨- **جماليات الأسلوب**، فايز الداية ،د. ط، مديرية مكتبة المطبوعات الجامعية، حلب ، ١٩٨٩ .
٢٩- **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، نمر سرحان، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٠- **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، عبد المنعم الرجبي، (رسالة دكتوراه)، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٧٩م .
٣١- **الخطابة الأدبية عند الخوارج ودورها الإعلامي في تشكيل الرأي العام**، ماجد النعامي، (رسالة دكتوراه)، جامعة الأقصى – غزة ، ٢٠٠٢م.
٣٢- **الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية**، عبد الإله الصائغ، ط١، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، ١٩٩٩م .
٣٣- **الخيال الشعري عند العرب**، أبو القاسم الشابي، ط٢، مطبعة الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٥م .
٣٤- **دراسات في الشعر المقاوم**، عبد الخالق العف، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين بغزة، ٢٠١١م .
٣٥- **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجان ، تعليق: محمود محمد شاكر ، د.ط، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤.
٣٦- **ديوان امرئ القيس** ، شرحه وعلق عليه: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
٣٧- **ديوان الخنساء**، تحقيق: أنور أبو سويلم ، ط١ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .
٣٨- **ديوان الخوارج**، تحقيق: نايف معروف، ط١، دار المسيرة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٣٩- **ديوان عنترة** ، كرم البستاني ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
٤٠- **ديوان النابغة الذبياني** ، تحقيق: كرم البستاني ، ط١، المكتبة الثقافية ، بيروت، لبنان، د.ت
٤١- **سنن أبي داوود**، لأبى داوود سليمان بن الأشعث ابن اسحق الأزدي السجستاني ، تعليق: أحمد سعد علي ، ط١، ج٢،مطبعة مصطفى البابي الحنفي، مصر ١٣٥١ هـ- ١٩٥٢م .
٤٢- **شخصية البطل في الشعر العربي المعاصر**، الإمام الشهيد أحمد ياسين أنموذجاً كتاب مؤتمر الشهيد أحمد ياسين، ج١،الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٥.
٤٣- **شرح الطحاوي في العقيدة السلفية**: القاضي علي بن علي الحنفي، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة الرياض الحديثة للنشر والتوزيع ، ط١، د.ت .
٤٤- **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ج١، دار أحياء الكتب العربية ،بيروت، ١٩٦٥م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٥- **شعر الخوارج**، إحسان عباس، ط٢ ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م .
٤٦- **شعر الخوارج دراسة فنية موضوعية مقارنة**: د. حسين عبد الرازق، ط١، دار البشير،عمان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٤٧- **شعر ناجي الموقف والأداة** ، طه وادي، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٧٦م .
٤٨- **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور**، شوقي ضيف، د.ط، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٧م.
٤٩- **الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد عام ١٩٦٧م** ، أحمد زعرب ،(رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة ، ٢٠٠٨م .
٥٠- **صحيح بخاري**: للإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مصور عن طبعة استانبول، دار الفكر، د.ت.
٥١- **صحيح بخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبطه ورقمه: مصطفى ديب البغا، ط٥، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٢- **صحيح مسلم**، للإمام مسلم، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ٢٠٠٤م .
٥٣- **صحيح مسلم بشرح النووي** : أبو الحسن مسلم بن حجاج مسلم ، د ط، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٣٠م .
٥٤- **الصناعتين** ، أبو هلال العسكري ، تحقيق: مفيد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤م
٥٥- **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**، مدحت الجيار، رسالة ماجستير بآداب القاهرة ، ١٩٧٨م .
٥٦- **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** ، جابر عصفور، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٣م .
٥٧- **الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي** ، علي إبراهيم أبوزيد ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .
٥٨- **صورة المرأة في شعر الخوارج في العصر الأموي** ،محمد دوابشة ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية ، مج٢١ ، ٢٠٠٧م .
٥٩- **ظوهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان**، محمد سليمان، ط١، دار اليازوي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٠- **العقيدة والشريعة**، أخباس جولدزيهير، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، ط٢، دار الكتاب الحديثة،مصر، د.ت.
٦١- **علم المعاني**، عبد العزيز عتيق، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢م
٦٢- **العمدة في محاسن الشعر**، الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، د.ط ج٢، دار الجيل، بيروت ، د.ت.
٦٣- **عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غريبة**، نبيل أبو علي، منشورات وزارة الثقافة، عمان ، ٢٠٠٠م .
٦٤- **فجر الإسلام** : أحمد أمين ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م.
٦٥- **الفرق الإسلامية في الشعر الأموي**، النعمان القاضي ، ط١، دار المعارف القاهرة ،١٩٧٠م.
٦٦- **الفرق بين الفرق** ، عبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، مطبعة المدني، القاهرة ، د.ت.
٦٧- **فنون بلاغية**، أحمد مطلوب، ط١، دار البحوث العلمية ، الكويت، ١٩٧٥م .
٦٨- **فن الشعر**، إحسان عباس، ط١، دار صامد، بيروت ، لبنان، ١٩٩٦م.
٦٩- **قضايا الشعر المعاصر**، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة (د.م)، ط٣ ، ١٩٦٧م .
٧٠- **كتاب شرح أشعار الهذليين**، أبي سعيد السُّكري، تحقيق: عبد الستار فرّاج ، ج١، د.ط ، مطبعة المدني، القاهرة ، د. ت.
٧١- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق: أبى الفداء عبد الله القاضي، ط١،ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
٧٢- **الكامل في اللغة والأدب**: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط١، مطبعة البابي، مصر ، ١٩٣٧م.
٧٣- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عُمر، ط١، ج١ ، تحقيق: عبد الرزاق عبد المهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧٤- **لسان العرب**: لابن منظور ،تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ط١. دق، ١٩٨٤م.
٧٥- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ابن الأثير، تعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج٢، ط٢، دار النهضة ،مصر، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٦- **مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث**، إبراهيم خليل، ط١، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م.
٧٧- **مروان بن محمد دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم**، (رسالة ماجستير) للباحث: حسن محمد دراوشة ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ، ٢٠٠٧م .
٧٨- **مصادر التناص في شعر سعدي يوسف**، أحمد جبر شعث ،مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد ٣١، جامعة الكويت، ٢٠١١م.
٧٩- **معجم التعريفات**، للعلامة علي بن محمد السيد الجرجاني، تحقيق: محمد المنشاوي، د.ط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة- د.ت.
٨٠- **معجم المصطلحات البلاغية**، أحمد مطلوب، ط٢،بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.
٨١- **المعجم المفصل في الأدب** ،الخزانة اللغوية ،محمد التونجي، ج١، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت ، ١٩٩٣م.
٨٢- **مفتاح العلوم** ، للسكاكي، تعليق نعيم زرزو ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٨٣- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ط١، ج١ ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٨٤- **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن ابن خلدون، د. ط ، د. ق ، بيروت، ١٩٠٠م.
٨٥- **موقعة صفين** ، نصر بن حزام ،تحقيق : سلام محمد هارون ، ط٢، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ .
٨٦- **الملل والنحل**، تحقيق: محمد بن كيلاني ، د،ط، مطبعة مصطفى البابي، مصر ، د.ت .
٨٧- **نظرية الأدب**، رينيه وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
٨٨- **نقد الشعر**، قدامه بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان د.ت .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٩- **نهج البلاغة**، الشريف أبو الحسن محمد الرضي، تحقيق: محمد عبد محي الدين عبد الحميد ، ج١، د ط ، مطبعة الاستقامة ، المكتبة التجارية- مصر، دت.
٩٠- **ولاية العهد في العصر الأموي**، رسالة ماجستير للباحث: وجيه لطفي ذوقان، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهـرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
ملخص الدراسة.....	أ
الآية القرآنية	ب
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
المقدمة.....	ج
الفصل الأول : الخوارج الفكر والنشأة.....	١
نشأة الخوارج وظهورهم.....	٢
سبب تسميتهم	٥
أسباب خروجهم	٧
أشهر فرقهم	١٧
أخلاقهم وتعاليمهم.....	٢٤
الفصل الثاني : البطولة وصورها في شعر الخوارج.....	٢٧
تمهيد	٢٨
المبحث الأول : البطل الشهيد	٣٤
المبحث الثاني : البطل السياسي	٤٦
المبحث الثالث : البطل المجاهد	٥٣
المبحث الرابع : البطل الزاهد	٦١
المبحث الخامس : البطل العاشق.....	٧١
الفصل الثالث : الظواهر الأسلوبية.....	٧٥
المبحث الأول : التكرار.....	٧٦
المبحث الثاني : التناص.....	٨٧
المبحث الثالث : التقديم والتأخير	١٠٠
المبحث الرابع : الالتفات.....	١٠٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العنوان	رقم الصفحة
المبحث الخامس : الأساليب الإنشائية.....	١١١
أولاً: النداء	١١٢
ثانياً: الاستفهام.....	١١٥
ثالثاً: الأمر.....	١١٨
الفصل الرابع : الخيال والصورة الشعرية	١٢١
أولاً: التشبيه	١٢٨
ثانياً: الاستعارة	١٣٤
ثالثاً :الكناية.....	١٤١
الخاتمة	١٤٥
المصادر والمراجع	١٤٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com